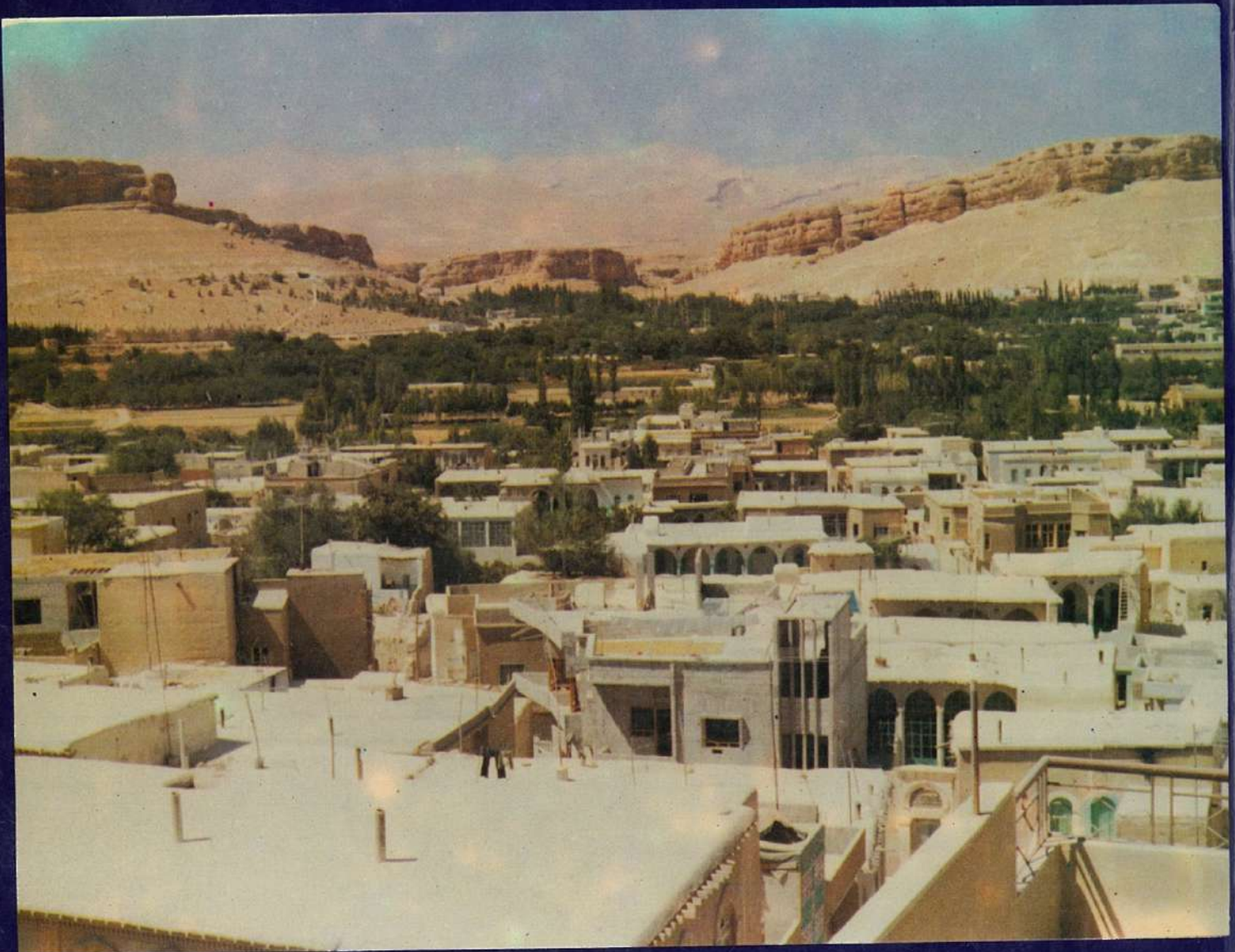


نورالدين عَقِيل

يَبْرُودَ

تَارِيخٌ وَحَضَارَةٌ



١٠٠

بيروت حضارة وتاريخ

المؤلف نور الدين عقيل
المصورون
أسامة السيد أحمد
مصطفى عقيل

موافقة وزارة الاعلام
رقم ٢٦٣٩٧ تاريخ ٣١ / ١٠ / ١٩٩٥
الناشر العربي للطباعة والنشر والتوزيع
حقوق الطبع محفوظة

مطبعة اليازجي - دمشق - ٢٣١١٢٧٩

بيروت

حضارة وتاريخ

نور الدين عقييل

مقدمة

لكل جماعة من بني البشر تقاليد خاصة بها عزيزة عليها، تابعة من أرضها وجوها ومن أدبها وتاريخها، وهي إرث الأجيال، وكل إرث عزيز لأنه يحمل ذكرى الأباء والأجداد.

والانسان بحمد زمانه أويذمه، ولكن في طبعه دائماً حمد الزمن الذي فات، وللزمن حرمة وقداسته ونحن البشر يلذ لنا أن نسترجع الزمن، والزمن هو الماضي، ومن لم يحفظ ماضيه لا يضمن مستقبله، ومن تقاليد الشعوب ومن مآثوراتها ما يسموه بالميراث الثقافي، وهو كل ما انتقل على مر الزمن من جيل إلى جيل، وكل ما اتصل بالفن بشكل خاص كفن الملبس والمطعم، وكل ما في الحياة من أفراح وأحزان.

ولمجتمع يبرود، هذه المدينة الصغيرة الوداعة التي أحببتها طفلاً وشاباً وكهلاً، العديد من العادات والتقاليد التي طرأ عليها بمرور الايام الكثير من التغيير من خلال مؤثرات ألفت بها، وكم كان يحلو لي دوماً أن أستعيد من كبار السن ذكريات الايام التي عاشوها وكنت في ذلك كثير الفضول، وكنت أتخيل نفسي أعيش عادات وتقاليد وحياة تلك الايام، وكم تمنيت لو أنها استمرت على ماكانت عليه، لأنها كانت العفوية الصادقة، وكانت المحبة والالفة، وكانت التعاون والمسؤولية الجماعية، كل ذلك افتقدناه في أيامنا هذه.

حاولت في هذا الكتاب أن أسطر شيئاً عن يبرود، عن تاريخها الذي مازال غالبه مجهولاً، عن عادات وأعراف وتقاليد، عن أفراح وأتراح وصور من حياة أهلها، عن الأشياء التي هي في سبيل الانقراض، لأنه لايمضي يوم دون أن يدخل شيء جديد من صور الحياة العصرية، وقد تسرب هذا الشيء عن طريق الاختلاط بأقوام تخلقوا بغير عاداتنا وتقاليدنا الموروثة، حتى بتنا نسمع عن هاتيك العادات والتقاليد التي طواها الزمن وأصبحت نسياً منسياً، كل ذلك دفعني لأدون بعضاً من الماضي الذي كانت تعيشه مدينتي يبرود، وأصوره تصويراً بسيطاً دون كلفة أو بلاغة أو صنعة لأنني لست من أهل البلاغة والصناعة في الكتابة والكلام، فأنا اقتصرت على تصويرها بطريقة السرد، وأرجو أن يعذرني قارئ على أسلوبه في هذا في الكتابة كما يعذرني إن قصرت في شيء أو أخطأت لأنه جل من لا يخطيء.

وإن فاتني شيء فإنه لايفوتني أن أقدم الشكر والعرفان بالجميل لكل من قدم لي المعلومة والنصح والمساعدة لإنجاز هذا العمل، وأخص بالشكر أستاذي الفاضل منير محمد خير حمود الذي قام مشكوراً بتدقيق وتصحيح لغة هذا الكتاب، كما وأقدم شكري لكل من شجعني وقدم لكتابي هذا، وأدعو الله أن يوفقني في هذا المسعى وأن يكون عوني ونعم الوكيل.

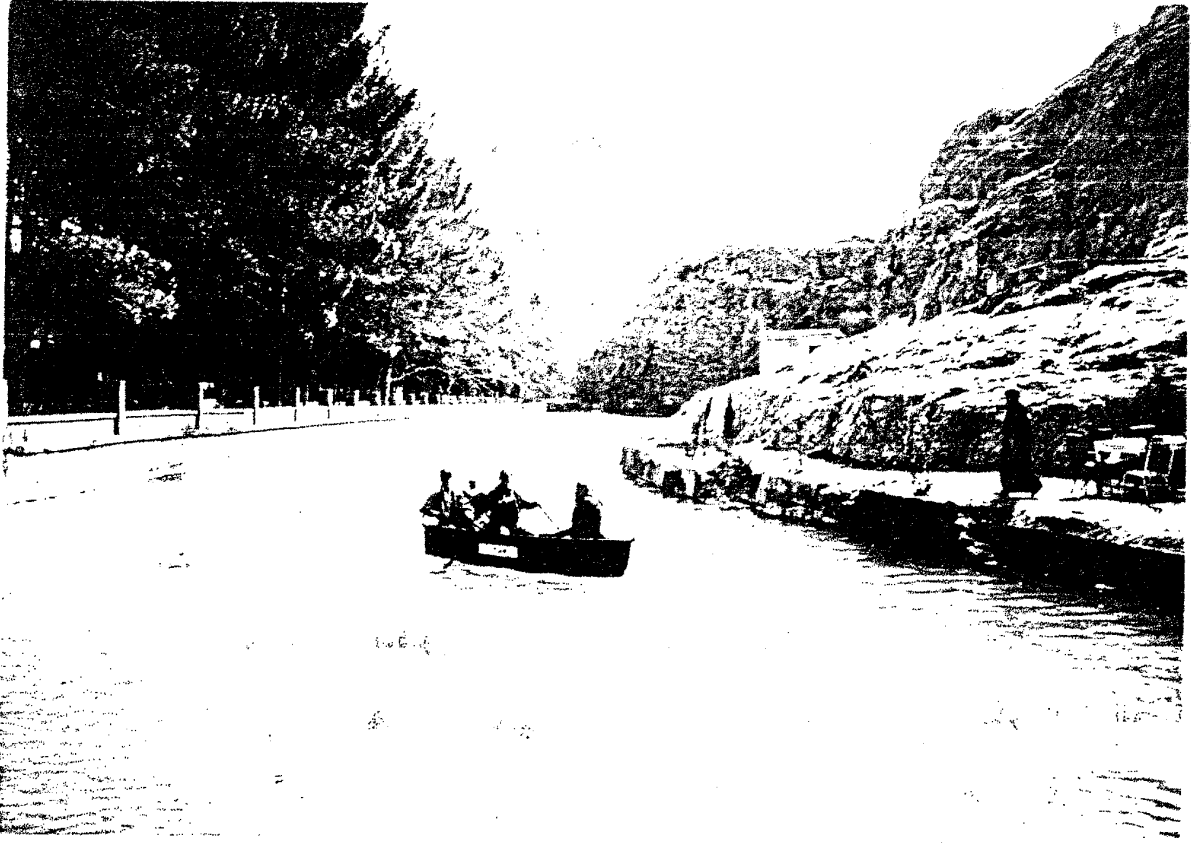
نور الدين عقيل

موقع وجغرافية يبرود

تقع يبرود عند التقاء الهضبة الثانية مع الهضبة الثالثة من هضاب جبال القلمون المتفرعة عن سلاسل جبال لبنان الشرقية، وعلى بعد ٧٤ أربعة وسبعين كيلومتراً في شمال شرقي مدينة دمشق، ترتفع عن سطح البحر حوالي ١٤٥٠ متراً، تربض في منبسط من الارض عند التقاء ثلاثة أودية محصورة بين كتل صخرية بنية اللون مرتفعة، تعلوها تيجان صخرية مهيبة تكاد تتفرد بها جبال يبرود ومايجاورها، تضي على هذه المدينة مهابة وجلالا وسحراً أسراً، وأهم هذه الاودية الثلاثة وادي قرينا الذي يقع في جنوبها الغربي، وحيث يضيق هذا الوادي في أعلاه وتصبح أطرافه عبارة عن جدران صخرية قائمة شاهقة الارتفاع.

وينبجس من أعلاه نبع ماء عذب بارد يشكل بحيرة صغيرة متطاولة تُكوّن الصخور الصلبة حافتها الغربية بينما تظلها أشجار الصنوبر من الحافة الاخرى، وتكاد أغصان بعض الاشجار تلامس سطح الماء فتكسب البحيرة الصغيرة رونقاً وجمالاً، وفي شرق البحيرة وعلى جوانبها أقيم منتزه لطيف يؤمه المنتزهون ورواد المتعة والمصطافون وزوار يبرود، وينساب من البحيرة جدول ماء تروي مياهه بساتين الوادي ذات الاشجار المتنوعة الكثيفة، ويخترق هذا الجدول المدينة من جنوب غربها ويتفرغ في وسطها إلى عدة جداول تروي بساتين يبرود وحقولها، وكانت مياه

هذا الجدول في الماضي تصل إلى منتصف المسافة بين يبرود والنبك، كما أن مياه هذا الجدول كانت تدير سابقاً عدة مطاحن للحبوب تدار بقوة الماء وبميكانيكية عجيبة لم يبق منها الآن سوى مطحنة واحدة هي معطلة بسبب تحول مجرى الجدول عنها، ونبع وادي قرينا هذا يدعى (عين الدير)، ومن المؤكد أنه كان قديماً يجاور ديراً للرهبان المسيحيين قد أقيم قرب هذا النبع، هذا الدير كان قد أقيم على أنقاض معبد وثني لحوريات المياه كان قد بُني قرب النبع وبقربه أسد منقوش على الصخر شبيه بالحيوانات التي تحرس مدخل مدفن سكفتا (مغارة الشيخ محمد)، واسم قرينا نفسه الذي يطلق في أيامنا على البحيرة برهان أكيد على وجود بناء المعبد ودليل على حوريات المياه التي تكرم فيه.



منظر بحيرة قرينة

وقد عثر في حفريات (هرموبوليس) في مصر الوسطى على نصب جنائزي يعود للقرن الثاني الميلادي أُقيم على ذكرى صبية اسمها (ايسيدورا) وقد نُقش على هذا النصب الحجري ثلاثة أبيات ترجمة الأول منها كمايلي: (قرينايا «حورية النبع» التي خطفت هيلوس لتجعله زوجها...).

ويتساءل الباحث الأثري «بول غريندول» ما إذا كانت «قرينا أو قريناها» في الاسم العلم لحورية الينابيع أو هي مجرد صفة لها. ونحن نستنتج من ذلك أن قرينا هي اختصار لقرينايا ومعناها حورية الينبوع التي أُقيم من أجلها المعبد قرب نبع يبرود ثم تحول هذا المعبد بعدئذٍ إلى دير للرهبان المسيحيين.

ومن المحتمل أن بعض حجارة قواعد هذا الدير مطمورة في التربة الزراعية المجاورة غربي النبع، ويروي بعض كبار السن من أهالي يبرود أنهم قديماً كانوا ينقلون من هذا الموقع حجارة صخرية منحوتة لاستخدامها في بناء البيوت في يبرود.

أما الوادي الآخر المجاور ليبرود فهو وادي اسكفتا الذي يقع غربي المدينة، هذا الوادي الذي أصبح ذا شهرة عالمية كبيرة بعد سلسلة الابحاث التاريخية التي جرت فيه وبعد اكتشاف آثار إنسان العصور الحجرية القديمة فيه، يبدأ هذا الوادي بمضيق صخري قائم الاطراف ثم يتسع قليلاً، وتتبع من جهته الغربية عين ماء جارية عذبة تدعى عين اسكفتا، تسير في جدول يروي بساتين الوادي وحقله والتي زرعت بأشجار الفاكهة المتنوعة، وفي نهاية الوادي ينحرف هذا الجدول باتجاه الشمال الشرقي لري البساتين وكروم العنب في منطقة عقوزاً.

أما الوادي الثالث المجاور والواقع في شمالي المدينة فهو وادي المشكونة، وله أهمية أثرية كبيرة إذ وجدت فيه آثار سكن انسان العصر الحجري الذي تدل عليه بعض الادوات الصوانية من العصر النيوليتيكي الاول والتي عثر عليها في كهف فيه، هذا الوادي جاف من المياه ويزرع الفلاحون فيه أشجار الكرمة والسماق مستفيدين من مياه الامطار والسيول التي تسيل في هذا الوادي في فصل الامطار.

وأودية يبرود هذه تجري فيها مياه السيول عقب سقوط الامطار الغزيرة فتجرف معها الاتربة والطمي التي شكلت تربة الاراضي الزراعية الخصبة في يبرود.

أما أهم الجبال المحيطة بالمدينة فهي جبل مارمارون المرتفع حيث يشرف عليها من الجنوب وتبلغ ارتفاع قمة هذا الجبل حوالي ١٦٦٠ متر فوق سطح البحر وهو النهاية الشرقية للسلسلة الثانية من سلاسل جبال القلمون، كما يطل جبل العريض الاقل ارتفاعاً من الغرب وجبل اسكفتا من الشمال الشرقي وتلة القوز الكلسية البيضاء من الجنوب الشرقي، هذه الجبال تحوي بعض المغاور التي لجأ إليها الانسان منذ القديم ثم أصبحت في ظل الحكم التركي والفرنسي مأوى لبعض العصاة والثائرين وأهم هذه المغاور مغارة فتنة ومغارة الطحين، وصخور هذه الجبال رسوبية كلسية تكونت في الزمن الجيولوجي الثالث من ضمن الحركات الالتوائية الالبية - الهيمالاية كما أصابها بعض الانكسارات في أجزاء منها، وتتمو على سفوح هذه الجبال بعض النباتات الطبيعية كالحرمل والشيح والاشنان، وبعض نباتات عشبية حولية تنمو بعد سقوط الامطار كالهندبة وشقائق النعمان

١ - هذه التلة كانت جرداء فيما سبق ثم تم تشجيرها بحوالي ٩٠ ألف غرسة من الاشجار الحراجية بمساعي لجنة شعبية على رأسها الاستاذ تحسين منعم.

والنجليات والاشواك بالاضافة إلى الاشجار الصنوبرية التي لاتزال تعيش على حافات الينابيع، كما يوجد بعض بقايا الغابات في المرتفعات العالية



منظر لتيجان جبال يبرود الصخرية

مما يزيد يبرود جمالا بساتينها الخضراء التي تحيط بها والشهيرة بأشجار الفاكهة المتنوعة كالشمش والتفاح والجوز والخوخ حيث يوجد في يبرود نوع منه لامثيل له في منطقة أخرى، وحقول يبرود وبساتينها كانت تروى بماء ثلاثة ينابيع هي: نبع قرينا^١ ونبع

^١ - قرينا: اسم روضة بالصمان وقيل واد، قال: جرى الرمث في ماء القرينا والسدر، وأنشد أبو زياد لصاعد:

ألا يا صاحبي قفا قليلاً	على دار القدور فحيياها
ودار بالسّميط فحيياها	ودار بالقرينة وأسألاها
سقتها كلّ واكفة هتون	ترحيا جنوب أر صباها

معجم البلدان لياقوت الحموي الجزء الرابع صفحة ٣٣٧.

اسكفتا^١ ومياه قناة عين منعم الرومانية وهذه تقع في جنوب المدينة وتصب في بركة وقد انقطع ماؤها أخيراً بسبب عدم العناية بالقناة وإهمالها، وقد تحولت الاراضي الزراعية التي كانت تروى منها إلى مناطق سكنية وذلك منذ أوائل السبعينات من هذا القرن.

تمتاز ببرود بمياهها العذبة ولاسيما نبع عين كوشل التي تميز بخفة مائه وبرودتها ودوام جريانه، وهذا النبع على الأرجح من نوع الينابيع اللقلوازية المنتظمة ودائمة الجريان، وقد جُرَّت مياه هذا النبع في أوائل هذا القرن إلى المدينة وبني له خزان في وسطها حيث كانت تتجمع فيه المياه وتوزع إلى أحيائها، وأصبحت المصدر الرئيسي لمياه الشرب حتى منتصف القرن الحالي ولا تزال مياه هذا النبع تجري في المدينة والسكان يفضلوها على غيرها لطيب مذاقها وخفتها.

يمكن أن نعتبر المنطقة الواقعة في غربي يبرود وماتدعى بحوض المجر فإنه يحوي أكبر خزان مائي في جوفه في المنطقة، وقد حفرت فيه مؤخراً العديد من الابار التي باتت المصدر الرئيسي للزراعة فيه، ونظراً لعدم ترشيد استخدام المياه في هذه المنطقة ولحفر الابار العشوائي انخفاض مستوى الماء الجوفي فيها لدرجة أصبح يشكل خطراً على ينابيع يبرود الاساسية ويفقدها جريانها في أشهر الصيف من كل عام.

^١ - اسكفتا: من المحتمل أنها كلمة آرامية تعني مجرى الماء الضيق.

المناخ

جاء في كتاب (جولة أثرية)^١ للرحالة أحمد وصفي زكريا وصف لجبال القلمون وليبرود في بداية القرن العشرين مايلي: «صخور القلمون كلسية التركيب وتربته بيضاء قليلة الخصب، الا فيما يروى منها من العيون والقنوات، وهي أقل من الحاجة بكثير، وقد تجرد هذا الجبل عن حراجه القديمة التي فتكت بها فؤوس الحطابين وقطعان الماعز في السنين الخوالي، حتى لم يبق منها الا أثر ضئيل في القمم الشامخة والمنحدرات الصعبة، لذلك صار خالياً من النضرة والبهجة، فقيراً بأمطاره التي تتراوح كميتها في السنة ما بين ٨٠ - ١٣٠ مم، ضعيفاً بريه، شديداً ببرده، قد تهبط الحرارة في الشتاء إلى مادون ١٦ درجة تحت الصفر».

على أن أوديته أخصب من أكامه وتلعاته، وهواء القلمون الاعلى (حيث تقع يبرود) أبرد وأجود، ومياهه أعذب وأنقى، والصحة ومثانة العضلات وعرض الهامات في رجاله، يضاف إلى ذلك تورد الوجدتين واسوداد الحدقتين مع سمرة مستملحة في نسائه، أمور قد اشتهرت بها وبرزت بعض قراه كيبيرود بوفرته، ويبرود أكبر وأغنى وأقدم بلدان القلمون وسكانها ٨٠٠٠ نسمة ثلثاهم من المسلمين وأكثر البقية روم كاثوليك، لهم أبرشية ومطران، وعلوها

^١ - جولة أثرية - لأحمد وصفي زكريا - في كتابه الريف السوري - الجزء الاول - مطبعة دار البيان - دمشق ١٩٥٤م.

١٤٢٥م فوق سطح البحر، واقعة بين جبال متقاطعة في بطحاء واسعة غزيرة المياه كثيرة المرافق، ذات منظر جميل وبساتين أريضة، وكلمة يبرود آرامية تدل على البرد، قال ياقوت الحموي: «يبرود بليدة بين حمص وبعليك، فيها عين ماء جارية عجيبة باردة وبها فيما قيل سميت، وتجري تحت الارض إلى الموضع المعروف بالنبك».

وبسبب موقع يبرود الجبلي وارتفاعها عن سطح البحر فإن مناخها معتدل صيفاً لايعرف الحر الاقليلاً وبارد قارس شتاءً لايزيد معدل درجات الحرارة صيفاً عن ٢٦ درجة مئوية بينما تهبط في أشهر الشتاء حتى لايزيد المعدل عن خمس درجات، وقد تصل في بعض الاحيان إلى مادون ١٦ درجة تحت الصفر حيث يحدث الصقيع وتتجمد المياه ويعاني السكان من ذلك وخاصة عندما تهب الرياح الشمالية والشمالية الشرقية الجافة والباردة، ولكن بردها مع شدته خال من الرطوبة ولايخشى منه ضرر.

وقد وصف برد يبرود الرحالة الشيخ عبد الغني النابلسي^١ في رحلته الشامية عام ١١٠٥هـ الموافقة لـ ١٦٩٣م في أبيات من الشعر قال فيها:

جئنا إلى بلدة يقال لها يبرود ذات الزهور والورود
وبردها زائد ولاعجب يبرود مشتقة من البرد
ويطول شتاء يبرود لأكثر من سبعة أشهر في السنة، حيث يضطر السكان إلى استخدام المواقد والمدافئ خلال هذه المدة الطويلة من العام.

^١ - الحقيقة والمجاز في رحلة الشام والحجاز - الشيخ عبد الغني النابلسي.

أمطار بيرود قليلة تهطل بدءاً من شهر تشرين الاول وحتى نيسان، وعلى فترات متباعدة وغير منتظمة، ويصل المعدل السنوي فيها إلى حوالي ^١ ١٥٠ مم، كما تهطل الثلوج وأغلبها في شهري كانون الاول وكانون الثاني وأحياناً في شباط، حيث يشتد البرد والصقيع، وهناك ماثورة قديمة في بيرود تصف شهري كانون الاول والثاني بـ (القلندس والدنوح) وتقول الماثورة: «في القلندس والدنوح لعند جارك لاتروح، وإن رحت لاترجع، وإن جيت لاتروح».

هذه الثلوج كانت تهطل قديماً وتغطي البلدة بكاملها وتغمر طرقاتها وبيوتها، وقد تبلغ درجة كبيرة من السماكة حتى كان يضطر السكان إلى التعاون فيما بينهم لازالة هذه الثلوج عن أسطح منازلهم لأن رب كل بيت كان يعجز لوحده عن ذلك وكانت أكوام الثلوج تتكدس في الطرقات والازقة حتى تبلغ سماكة وارتفاعاً يوازي ارتفاع المنازل وتسبب صعوبة انتقال الناس في الطرقات، وكان سكان كل حي يتعاونون في فتح ممرات لهم عبر هذه الاكوام من الثلوج، كما كان السكان ينتقلون من أسطح منازلهم إلى أسطح منازل جيرانهم في الطرف الاخر من الشارع أو الزقاق فوق هذه الثلوج.

وكان الاطفال في تلك الاثناء يغتصمون الفرصة ويفتحون أبواباً أونوافذ بعض غرف الدار حيث تلجأ إليها العصافير والزرابير هرباً من البرد وطلباً للدفء ولأنها لاتجد مكاناً تأوي إليه لأن كل شيء مغطى بالثلوج، فيقبض الصغار على هذه العصافير والطيور ويجعلونها وجبة أكل لذيدة لهم.

^١ - يعود السبب في قلة أمطار بيرود إلى وقوعها في ظل مطر مرتفعات جبال لبنان الغربية والشرقية.

وكان بعض السكان يقومون بتسخين الدبس حتى درجة الغليان ثم يصبونه فوق الثلج النظيف فيتجمد الدبس حالا ويصبح كالعلكة وله مذاق طيب، كانوا يقدمونه لأولادهم كنوع من الحلويات اللذيذة.

يبرود التاريخ

يبرود من كتب التاريخ سيرته فيها
في كل حفنة تُرب صرح مملكة
عذراء يحضنها عاتي الجبال وقد
هذي السفوح التي ضمت مغاورها
وفي المغاور عاش الدهر من أبد
شدّ الرماح من الصلد العتيد وفي
حضارة هي للصوان سابقة
وفي الكهوف صدى ماضٍ تهيّبة
وسله يعيد اليوم ماكتبها
كانت لها الشامُ حداً والمدى حلباً
أحنى عليها على حب وما اقترباً
ماضي الجهاد وماردت له طلباً
حباً فطيماً على الجلمود حين حبا
قلب الاعصير ألوى الريح محتطباً
على الحضارات أصلٌ علم العقبا
كرُّ العصور فأغضى طرفه عجباً

يبرود كلمة آرامية وردت في كتاب الجغرافي اليوناني بطليموس
القلوذي الذي عاش في القرن الثاني الميلادي باسم (ايبرودا).
لقد استوطن إنسان العصور الحجرية يبرود منذ الدور الطبقي
الرابع حيث كانت المنطقة مكسوة بالغابات، وعلى عتبات الجبال
المتوجة بالحجر الكلسي وجدت مغاور طبيعية لجأ إليها الإنسان،
وأصبحت المنطقة مأهولة بكثافة في تلك العصور الساحقة في القدم.
وقد تكيف الإنسان مع البيئة الطبيعية ليبرود فالتقط ثمار
أشجارها واصطاد حيوانات أحراجها وغاباتها، وصنّع أدواته
الضرورية من حجارة الصوان الصلبة حيث كان يصنعها بالطرق،
واستطاع ذلك الإنسان أن يؤسس ويقيم مسكنه ويستخدم جلود

^١ - القصيدة للمرحوم الدكتور فريد عقيل.

الحيوانات كساء له مع أن البرد لم يكن شديداً بعد والاقليم كان شبه مداري حتى نهاية العصر الموسستيري وكانت الحرارة والرطوبة تزدادان أحياناً حتى يصبح الاقليم مدارياً تماماً.

أهم الادوات الصوانية التي صنعها ذلك الانسان هي المقاحف والمثاقب والاسنة والفؤوس وكانت جميعها من حجر الصوان الصلب، وكان بعض هذه الادوات وخاصة المقحف مميزاً وفريداً من نوعه في العالم، ولعل أهم الوديان التي استوطنتها انسان يبرود هو وادي اسكفتا، ويعود الفضل في اكتشاف حضارة إنسان عصور ما قبل التاريخ في يبرود للعالم الاثري الالماني الشهير (الفرد روست) والذي يعتبر رائد الاكتشافات السورية لعصور ما قبل التاريخ وذلك من خلال أربعة مواسم للتنقيب له في يبرود منذ العام ١٩٣٠م وحتى ١٩٣٣م^١.

وقد اكتشف هذا العالم في وادي اسكفتا ثلاثة ملاجئ وعثر فيها على أول آثار انسان ما قبل التاريخ السوري في مساكنه الاولى، وأثبت أن هذه الملاجئ كانت مراكز سكن بشري كثيف ومتواصل استمر أكثر من مئتي ألف عام، أي منذ العصر الحجري القديم الادني (الباليوليت الادني) وحتى العصر الحجري الحديث (النيوليت)، وكان أهم هذه الملاجئ هو الملجأ الاول الذي اكتشف روست أنه يحتوي على خمس وعشرين طبقة حضارية، والتي كان أقدمها الطبقة الحضارية المميزة بأدواتها الصوانية الفريدة والتي أطلق عليها روست تسمية الحضارة الليبرودية، وقد استمرت لفترة

^١ - كتاب مكتشفات مغاور يبرود - الفرد روست - ترجمة محمد قدور - إعداد نور الدين عقيل - دمشق - ١٩٨٨م.

تزيد عن خمسين ألف سنة قبل الانتقال إلى العصر اللاحق، وبعد ذلك تتالت حضارات إنسان العصور الحجرية بصناعاتها الحجرية الصوانية في نفس الموقع والتي تشابهت مع صناعة الحضارات الاشورية والميكوكية والاورينياسية والموستيرية واللفوازية ذات الانتشار العالمي الواسع.

وقد تبين لروست أن مستوطني يبرود لم يعتمدوا كثيراً على الفأس اليدوية بل استعاضوا عنها بأداة صوانية جديدة هي المقحف البيروودي المتعدد الاشكال والمصنع من شظية صوانية عريضة وسميكة ولها حدان عليهما تشذيب متدرج على شكل حراشف يشكلان في منطقة التقائهما زاوية حادة، وهذا المقحف هو الاداة المتميزة والافضل لتحضير جلود الحيوانات ولاستعمالات متعددة أخرى.

لقد اكتشف روست أن إنسان يبرود كان أكثر تطوراً من إنسان نياندرتال الذي عاش معه في نفس الحقبة الزمنية.

إن إنسان يبرود القديم والذي عاش في أعماق التاريخ كان من أوائل من اكتشف النار واستعملها خير استعمال للتغلب على البرد والدفاع عن نفسه ضد الحيوانات المفترسة ولطهي طعامه أيضاً، وقد صنع لها موقده المتميز.

إن يبرود غنية جداً بمواقع سكن إنسان العصر الحجري، وكان استيطانه في وادي اسكفتا أكثف حيث عاش على ضفاف بحيرة تعود إلى العصر الجليدي الفاصل الاخير، كما أن بعثة جامعة كولومبيا الاميركية للتنقيب والتي تابعت أبحاث الفرد روست في

^١ - تقرير البروفيسور رالف سوليكي رئيس البعثة الاثرية الاميركية المنشور في الولايات المتحدة الاميركية جامعة كولومبيا.

موقع اسكفتا من خلال ثلاثة مواسم للتنقيب في الاعوام ٦٤ - ٦٥ - ١٩٦٦م برئاسة البروفيسور رالف سوليكي اكتشفت ملجأ رابعاً في وادي اسكفتا، وأعادت الكشف في صيف الاعوام ٨٧ - ٨٨ - ١٩٨٩م وقد عثرت هذه البعثة الاميركية على آثار طبقات أقدم إنسانية تعتبر فريدة في العالم، كما عثرت على آثار أقدم حيوانية وعظام وحيد القرن والاحصنة والسلاحف والاسود، كما تم العثور على عظام وآثار قوائم حيوانية تدل على الحصان ووحيد القرن والوعل والغزال والاسد والدب الاسمر والسحفاة وغيرها، كما عثر على نسبة عالية من عظام الخيل، الامر الذي يدل على ظروف مناخية سهبية، وقد عثر أيضاً على ضرس وحيد القرن من فصيلة (ديسيرورينوس هيميتيكوس) وهو يعود لدور مندل الجمودي أو الفترة بين دوري مندل وريس الجموديين، وهذه الفصيلة نفسها وجدت بين مستحاثات الملجأ الاول، كما أن هناك طبقات في بعض الطبقات خلفتها قوائم ثلاثة أنواع من الحيوان على الاقل، أولها آثار مئات الطيور ثم آثار إحدى السلاحف، وهذه الاكتشافات لم يرد ذكر مثيلاتها في أي من المؤلفات الاثرية من قبل وهي بالغة الاهمية في علمي الحيوان والجيولوجيا وعلم ما قبل التاريخ.

وتُمر القرون وابن يبرود يعيش في وديانها يأخذ ويعطي ويتفاعل وقد استطاع أن يروض بعض الحيوانات وأن يشق التراب بمحراثه الحجري وأن يستتبت بعض الحبوب والنباتات ويبنى الاكواخ من أغصان الاشجار ومن الطين على هضبة قليلة الارتفاع تقع في موقع وسط بين أودية قرينا واسكفتا والمشكونة، وقد أحب ابن

يبرود أرضه واعمل فكره لإنشاء وسائل الاستقرار فابتكر الدرجات الأولى في سلم حضارة الإنسان.

وتشهد يبرود كما شهدت بلاد الشام بكاملها حركات شعوب وهجرات شعوب واستقرارها وقيام كيانات سياسية متعددة ومتنوعة وذلك منذ فجر التاريخ، وقد تركت هذه الشعوب بصماتها على صخور يبرود الصلبة إذ حفرت مدافن لموتائها هي غاية في الاتقان والابداع، هذه المدافن منها ماكان فردياً ومنها ماكان جماعياً حيث يحتوي كل منها على ثلاثة أقواس محفورة في الصخور بدقة مذهلة وأسفل كل قوس مدفن أو أكثر، وأكبر هذه المدافن المعروفة في يبرود باسم (مغارة الشيخ محمد) أو (مغارة مار سابا) تقع في وسط جرف صخري في وادي اسكفتا وهي محفورة في عمق الصخور لها باب كبير حفر على جانبيه أسدين وعدة أقواس ترمز إلى عدد الموتى الذين دفنوا في هذه المقبرة الجماعية.



مدخل مدفن الأسرة الملكية الحفور فيعمق الصخور

ويلي الباب حجرة فارغة تؤدي إلى باب أكبر من الاول وخلفه مكان واسع فسيح ذو ثلاثة أقسام وكل قسم مؤلف من قوس حجري وتحت مدافن متجاورة منقوشة ونقش فوق أحدها صورة الالهة وهي ترتفع إلى الجو وتشير إلى شاب أمامها، وكل ذلك محفور في الصخور الصلبة بدقة متناهية، أمثال هذه المدافن الصخرية البديعة تكثر أعدادها في وادي قرينا حيث حفرت في جدران الصخور الصلبة، وهناك في أعلى الوادي وفي مكان مرتفع عن أسفل السفح توجد مقبرة جماعية تحتوي على أكثر من ثلاثين مدفن منها الكبير ومنها الصغير وجميعها محفور في عمق الصخور ويصعد إليها بدرج محفور أيضاً في الصخور الصلبة.

ليس جميع سكان يبرود قد حفروا قبور موتاهم في هذه الصخور الصلبة على مر التاريخ، بل أن القبور التي تكتشف سنوياً بطريق الصدفة أحياناً أكثر بكثير من المقابر الصخرية.

ولعل الصدفة لعبت دوراً عندما اكتشف أحد فلاحي يبرود قبراً يحتوي على بعض من أوان فخارية وأدوات برونزية في موقع خابية رشيدة قرب مشفى يبرود وفي الجنوب منه عندما كان هذا الفلاح يسوي أرضه ليجعل منها بيدراً عام ١٩٦٤م، ثم قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف بتنقيبات في هذا الموقع والذي كان لوقت قصير مشهوراً بأشجار الكرم ولا يمكن لأي انسان أن يتصور بأنه يخفي تحته قبوراً، فهو لا يملك أية ميزة من ميزات الاماكن الاثرية التي تتمتع بها الاماكن الاثرية عادة في مناطق

^١ - تقرير أولي عن حفريات مقابر يبرود - للدكتور على أبو عساف - مجلة الحوليات التاريخية - عام ١٦٩٥م - المجلد ١٧ - الجزء ١ - ص ١٦٣.

أخرى، وقد تبين لمديرية الآثار أن الأدوات التي وجدت في هذا القبر تعود إلى العصر الكنعاني أو العصر البرونزي الوسيط أي ما بين ١٩٥٠ - ١٥٠٠ ق.م وهي على درجة كبيرة من الأهمية من الناحية التاريخية لأن يبرود المستوطنة منذ العصور الحجرية تفتح لها الآن صفحة جديدة من تاريخها في هذا العصر، وإذا كانت الحقب التاريخية بين العصور الحجرية والعصور البرونزية مجهولة في تاريخ يبرود، فإن هذا الاكتشاف يدعو إلى الاعتقاد بأن استيطان يبرود مستمر منذ العصور الحجرية وحتى يومنا هذا، وقد أتمت مديرية الآثار والمتاحف كشف تسعة قبور متجاورة وعلى عمق بسيط تحت سطح الأرض ٣٠ - ٥٠ سم وهي موجهة نحو الشمال، وكل قبر بني بعدد من الحجارة غير المنحوتة الكبيرة المصفوفة حجراً حجراً بجانب بعضها، بابها يتجه نحو الشمال، والفجوات المتكونة بين الحجارة الكبيرة مسدودة بحجارة صغيرة، بحيث يتألف القبر من مدماك واحد فقط، وقد احتفظت بعض القبور بسقوفها كالقبر الرابع حيث يستدل منه أن القبور كانت مسقوفة ببلاطات كبيرة نسبياً وغير منحوتة، وهناك قبر كان مسقوفاً ببلاطة ضخمة كبيرة على شكل مثلث تقريباً قاعدته نحو باب القبر ورأسه نحو الجنوب، ووجد في نفس القبر عمود فقري يخترق إحدى فقراته رأس نصل رمح برونزي أورأس نبلة برونزية مكسورة فيها بعد طعنة مميتة.

إن قبور يبرود التي ظهرت تدل دلالة واضحة على أنها قبور جماعية أو عائلية كما كان عليه الحال بالنسبة إلى مقابر بلاد الشام في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، حيث كان يحتوي

كل قبر من قبور يبرود على مالا يقل عن رفاة خمسة أشخاص
ويقدر مادفن في القبر الرابع بأكثر من عشرة أشخاص، وقد عثر
في هذا القبر على خاتمين اسطوانيين يعود أحدهما إلى العصر
البابلي القديم ١٩٠٠ - ١٥٠٠ ق.م والآخر إلى العصر الميتاني
١٣٥٠ - ١٥٠٠ ق.م.

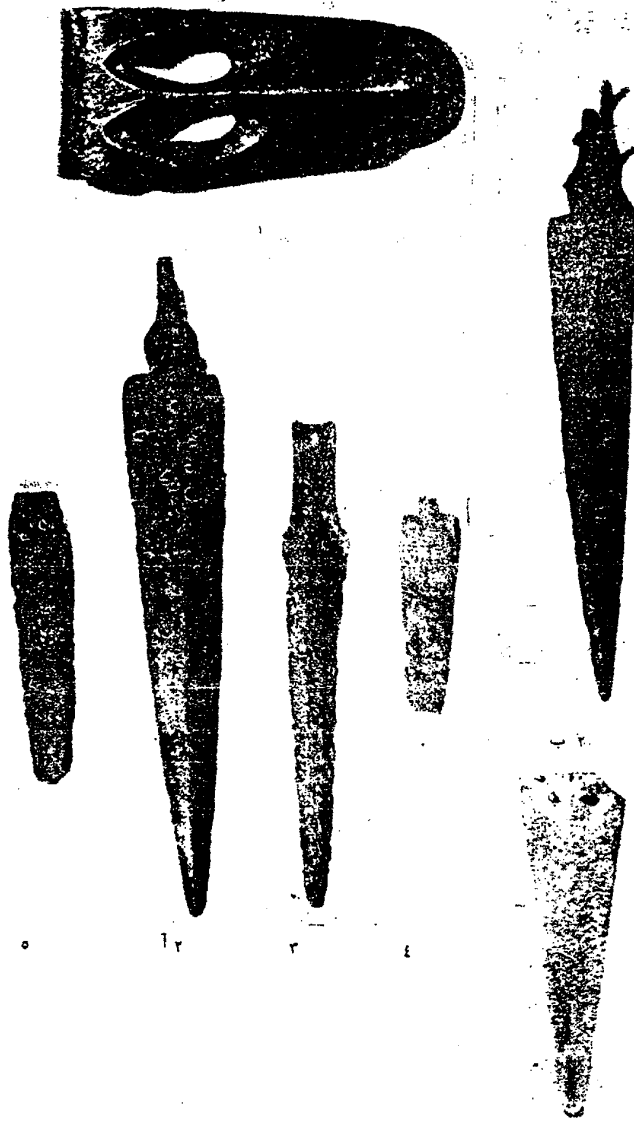
إلى جانب العديد من قطع الأسلحة البرونزية والحلي البرونزية
والاواني الفخارية الكثيرة، والاطواق، وهذا يدل على أن هذا القبر
يعود إلى شيخ العشيرة أو أميرها أو قد يكون ملكاً ليبرود وقد ورد
اسمه على الخاتم الأسطواني وهو: (سن لو ابلط ابن زياخاير خادم
الإله سن إله القمر)، وقد زود كل ميت في هذه القبور بما كان
يملكه في الحياة الدنيا وبالحاجات الضرورية له في الحياة الآخرة،
وقد وجدت هذه الأشياء في القبور على غير حالتها الأولية لأن
السيول ومجروفاتها التي دخلت القبور مع الزمن قد جعلت من
محتويات القبر كومة مختلطة بالأتربة والرمال.

ولعل أهم الآثار التي وجدت في هذه القبور التسعة هي أربعة
فؤوس برونزية لسانية الشكل من النوع الكنعاني والتي شاع
استعمالها في بلاد الشام خاصة منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد،
ووجد مثلها في رأس الشمر وجبيل في لبنان وأريحا في فلسطين،
وهذه الفؤوس التي ظهرت في قبر واحد مثل الأختام الأسطوانية
يمكن تأريخها للعصر البرونزي الوسيط الثاني ١٧٥٠ - ١٥٠٠ ق.م،
كما عثر أيضاً على ثلاثة خناجر ويمكن مقارنتها مع خنجر وجد في
مجدو في فلسطين ويعود إلى العصر البرونزي الوسيط ما بين ١٨٠٠

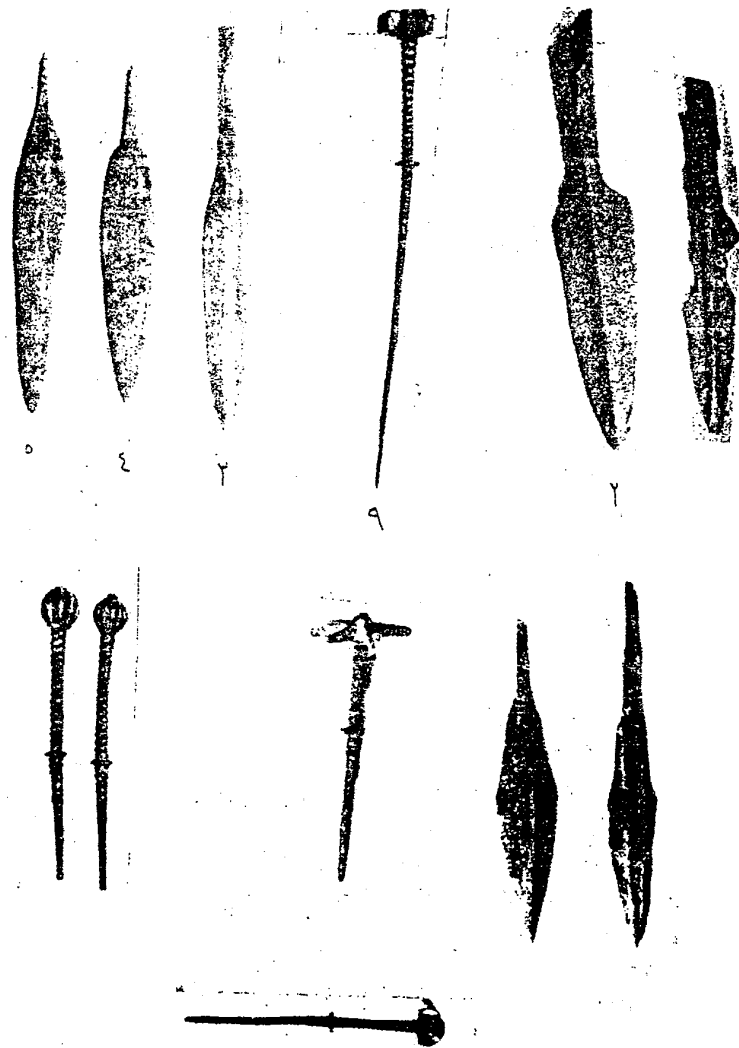
- ١٧٥٠ ق.م، كما وجدت بعض السكاكين البرونزية العادية البسيطة وبعض نصال الرماح البرونزية أيضاً والتي تعود إلى العصر البرونزي الوسيط الثاني ١٧٥٠ - ١٥٠٠ ق.م، كما وجدت مجموعة من النبال على شكل كومة واحدة في صدر القبر الرابع حيث يعتقد أنها وضعت مع صاحبها المحارب بعد وفاته، وقد يكون الأمير أو الملك بالذات، وتعود أيضاً إلى العصر البرونزي الوسيط الثاني ١٧٥٠ - ١٥٠٠ ق.م، ووجدت أيضاً مجموعة من المشابك العديدة والمتنوعة متقنة الصنع وجميعها تعود إلى العصر البرونزي الوسيط في بلاد الشام، كما وجدت بعض المسلات والمخلات ذات الثقوب وتعود إلى العصر البرونزي الوسيط ١٩٥٠ - ١٥٠٠ ق.م، ووجدت أيضاً بعض الأساور البرونزية للكبار والصغار والأقراط والخواتم.

كما وجدت بعض الأتوات الفخارية كالصحائف والسرر ومنها ماهو متقن الصنع وتعود إلى العصر البرونزي الوسيط الأول ١٩٥٠ - ١٧٥٠ ق.م، وبعض القصعات بأعداد كبيرة منها العادي ومنها المخصوص في الوسط ومنها مايشبه القدح وهي تصلح للطعام كالصحائف.

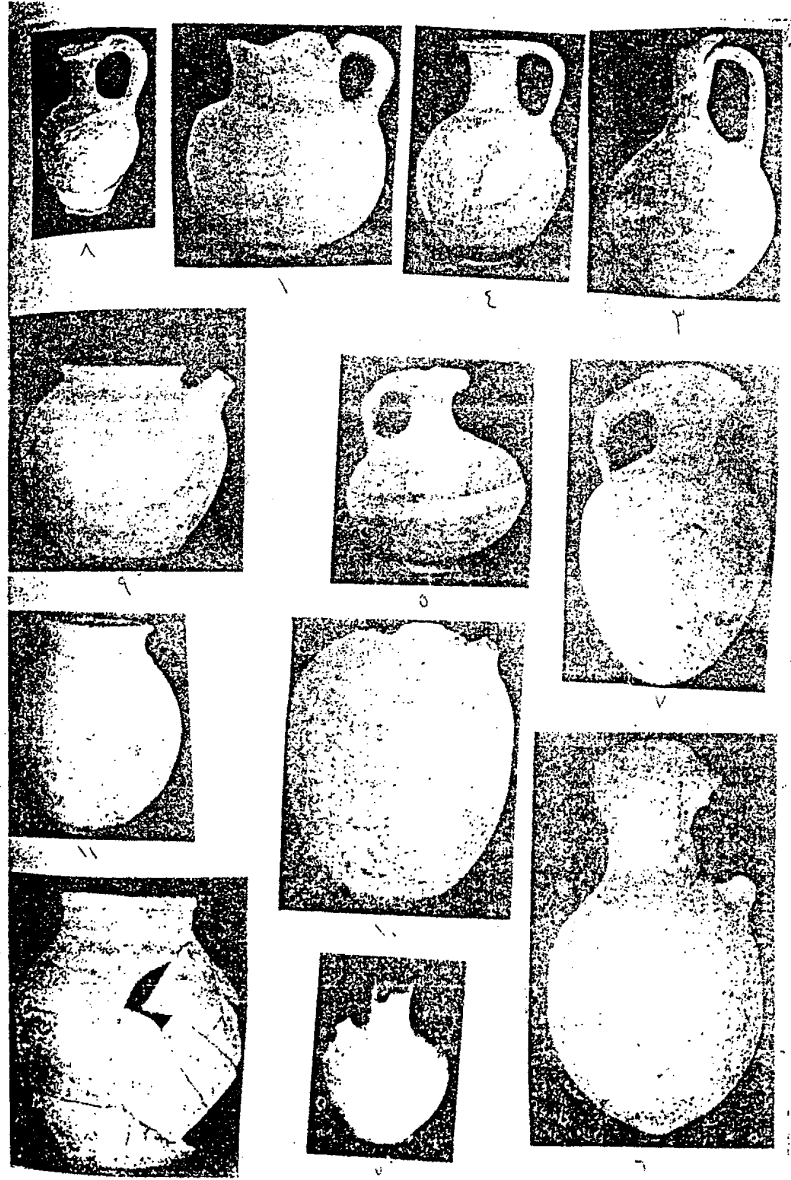
كما وجدت كمية من الصحون وهي جميلة ورقيقة وبعض الحقات الصغيرة، وكانت تستعمل للشرب وهي رقيقة وصغيرة الحجم لطيفة الشكل وهي من الأواني الملونة النادرة، كما وجدت كمية من الجرار منها الصغيرة ومنها الكبيرة السمكية المطلية بالطلاء الرمادي، ومنها مازين سطحها الخارجي بأثلام دائرية دقيقة متقاربة، ومنها ماهو مزين على العنق وتحتة بخطوط بيضاء وعريضة، كما وجدت الأباريق ذات الفوهات الواسعة المخصوصة في الوسط.



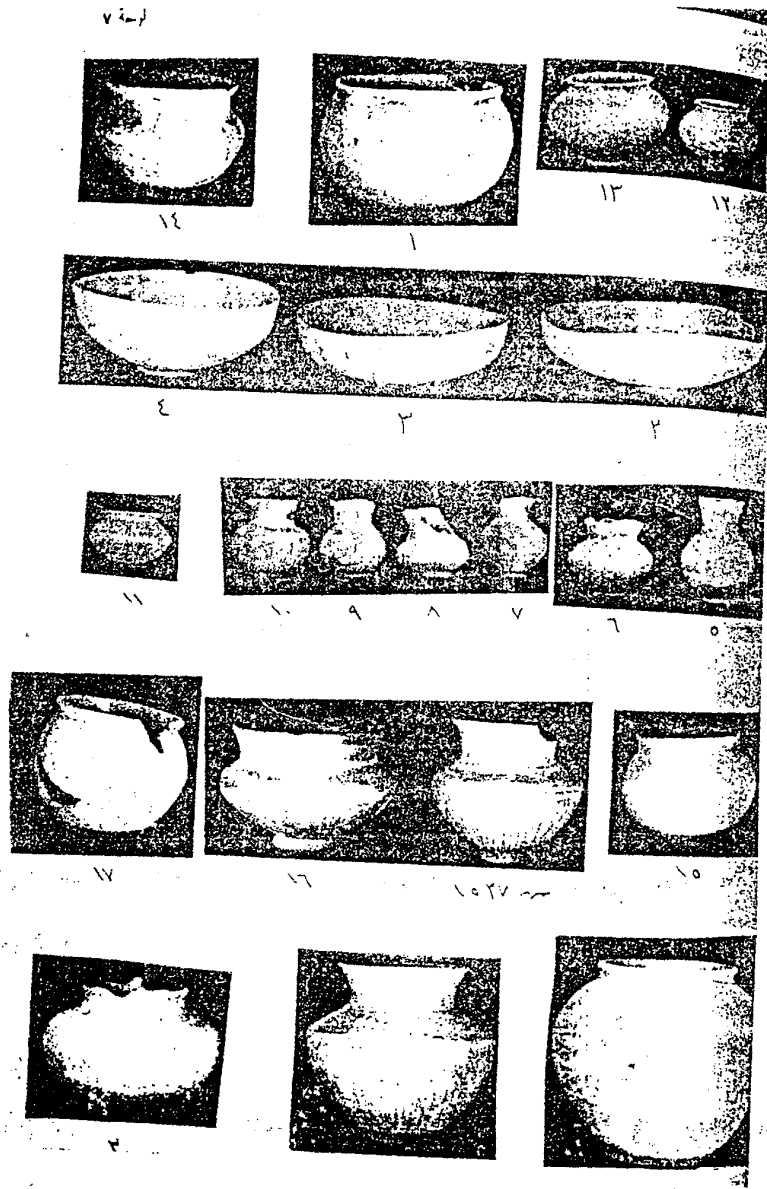
أسلحة برونزية كنعانية



رؤوس حراب ومشابك برونزية موجودات قبور خابية رشيد في يبرود



أباريق فخارية من العصر الكنعاني في بيروت



أوان فخارية من موجودات قبور يبرود من العصر الكنعاني

تعتبر الأواني الفخارية من أهم المكتشفات الأثرية في مقابر
بيروود من حيث العدد وهي بسبب تنوعها تعطينا فكرة عن مركز
بيروود بالنسبة لبلاد الشام من جهة وعلاقتها مع هذه البلاد من جهة
أخرى، إذ أنه إلى جانب العثور على عدد قليل من فخار بلاد الشام
الشمالية الذي انتشر عند نهاية العصر البرونزي الأول ٢١٠٠ -
٩٥٠ ق.م، نجد أن بيروود قد شاركت بلاد الشام الجنوبية خاصة
في التغيير الذي أحدثته على صناعة الفخار فيها بإستعمال الدولاب
السريع الدورات في صناعة الفخار.

يوجد في بيروود عدد قليل جداً من الآنية المصنوعة على الدولاب
العادي والتي تعتمد قولبتها بالدرجة الأولى على يد الإنسان، إن
الفخار الذي انتشر أوشاع استعماله في العصر البرونزي الوسيط
ليست له أية صلة مع الآنية التي استعملت في العصور السابقة، هذا
ملاحظه العلماء بالنسبة إلى بلاد الشام الجنوبية، أما بالنسبة إلى
بيروود فإننا نلاحظ أن آنيته من ناحية الشكل وأسلوب الصنع
والطين تشبه تماماً فخار بلاد الشام الجنوبية في العصر البرونزي
الوسيط ١٩٥٠ - ١٥٠٠ ق.م.

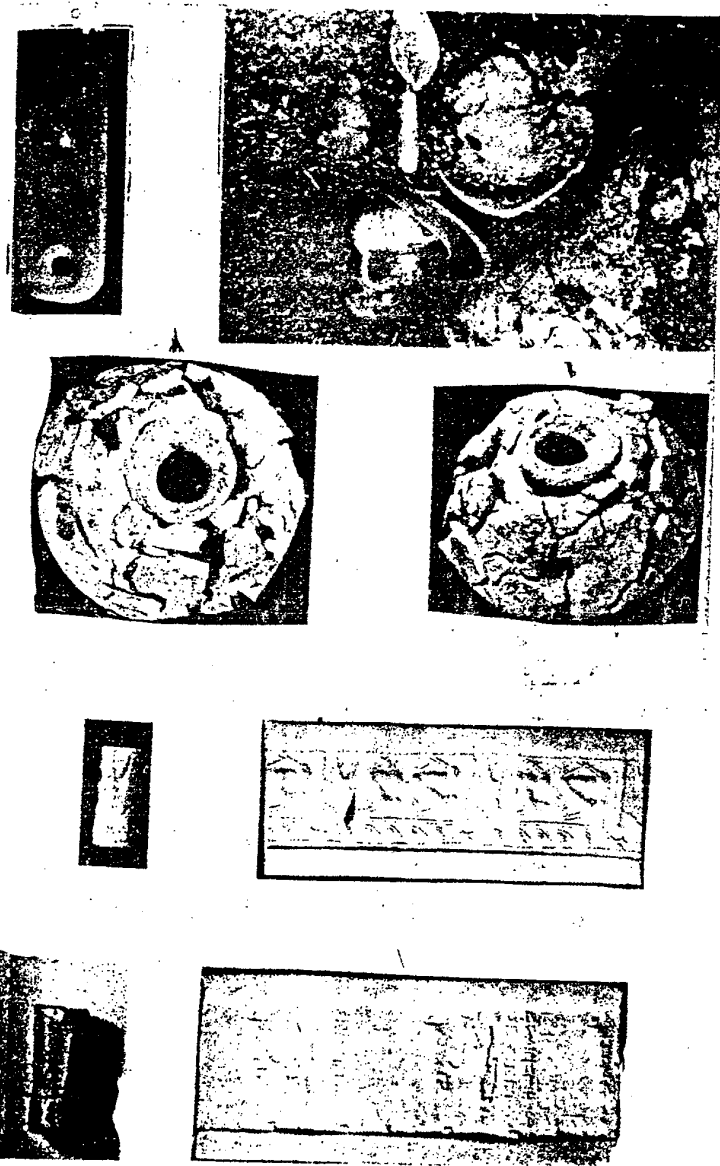
كما أن الختمين الذين وجدا في قبر واحد فالأول يعود إلى الدور
البابلي القديم في بلاد الرافدين ١٩٠٠ - ١٥٠٠ ق.م، والثاني يعود
للعصر الميتاني ١٤٥٠ - ١٣٥٠ ق.م تقريباً، وهذا يقودنا إلى
التساؤل: هل وصل الميتانيون وهم في بلاد ما بين النهرين إلى بيروود
ودفنوا أمواتهم في نفس القبر الذي كان يستعمله أهلها السابقون
بدليل وجود هذا الختم الميتاني الوحيد؟، إن ذلك غير محتمل لالعدم

العثور في هذه القبور على مكتشفات أثرية ميتانية سوى الختم المذكور، بل لأن الافتراض الأقرب إلى العقل هو أن سكان يبرود كانوا على الأقل على صلات تجارية وثيقة مع بلاد الرافدين واستعملوا أختاماً ميتانية.

لقد دلت النتائج التي توصلت إليها دراسة المكتشفات في هذه القبور أنها من النوع الميغالي المعروف في بلاد الشام، وهي قبور كنعانية تخص إحدى العشائر الكنعانية التي خرجت من الجزيرة العربية كموجة سامية ثانية بعد الموجة الأكادية، واستوطنت بلاد الشام وأسست فيها ممالك، وقد كانت يبرود جزءاً من مملكة كنعانية كانت من أهم وأكبر الممالك الكنعانية في بلاد الشام وهي مملكة (أفا)، هذه المملكة التي ورد ذكرها في المصادر المصرية والتي لعبت دوراً قوياً وكبيراً في المنطقة وذلك في الألف الثاني قبل الميلاد، وقد شملت سهل البقاع وسلسلة جبال لبنان الشرقية ودمشق وغوطتها والبقاع الجنوبي وجبل الشيخ ومنطقة يبرود.

كما أن جماعات من هؤلاء الكنعانيين اتجهت إلى بلاد الرافدين حيث أسسوا هناك أيضاً عند مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ممالك أشهرها مملكة بابل.

ولقد رافق وصول الكنعانيين إلى بلاد الشام تغير شامل في جميع نواحي الحضارة وظهرت مقابر بعيدة عن المدن كما هو الحال في يبرود. كذلك تدل القبور ومحتوياتها على طبيعة السكان وعلى طراز معيشتهم وعاداتهم في دفن الأموات خاصة، وأن هذه العادات جديدة على بلاد الشام.



قناديل فخارية وختمين أسطوانيين بابلي وميثاني موجودات مقابر يبرود

ومع قدوم الكنعانيين ظهرت أنواع جديدة من الأواني الفخارية
عثر عليها في أكثر مناطق بلاد الشام تقريباً، هذه الأنواع التي
تمثلت كلها في يبرود، وهذا ينطبق أيضاً على المكتشفات الأخرى
من برونزية وحلي وغيرها.

وبعد هذه الفترة شهدت يبرود قيام كيان سياسي وازدهار
حضاري عريق وأصبحت إحدى ممالك الآراميين التي قامت في
بلاد الشام إثر هجرة سامية جديدة اندفعت من قلب شبه الجزيرة
العربية باتجاه المناطق الأكثر خصوبة في بلاد الرافدين وبلاد الشام
وفي هذه الفترة شيد في يبرود معبد لعبادة إله الشمس بحجارة
ضخمة متناسقة وأعمدة رشيقة تحمل رواقاً يحيط بالمعبد، هذا
المعبد الذي يدل على قيام حضارة راقية في يبرود والذي تحول
فيما بعد إلى عبادة الإله جوبيتر كبير آلهة الرومان، كما أنه تم حفر
مذابح للديانات الوثنية أحدها لاتزال آثاره باقية في أسفل الجرف
الصخري في وادي قرينا والآخر أكثر اتقاناً وآثاره موجودة في
أعلى وادي اسكفتا.

يذكر تاريخ الآشوريين الذين أقاموا امبراطوريتهم في بلاد ما بين
النهرين وكانت عاصمتهم مدينة آشور ثم انتقلت إلى مدينة نينوى
(قرب الموصل)، هذه الامبراطورية التي اتسع نفوذها وشمل بلاد
الرافدين بكاملها وبلاد الشام وشمال وادي النيل، إن الامبراطور
الآشوري شلمنصر الثالث الذي حكم الامبراطورية الآشورية من
٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م انتصر على تحالف آرامي في سورية مؤلف من
(آرخوليني) ملك حماة و (حدد عازار) ملك دمشق و ١٢ ملكاً من

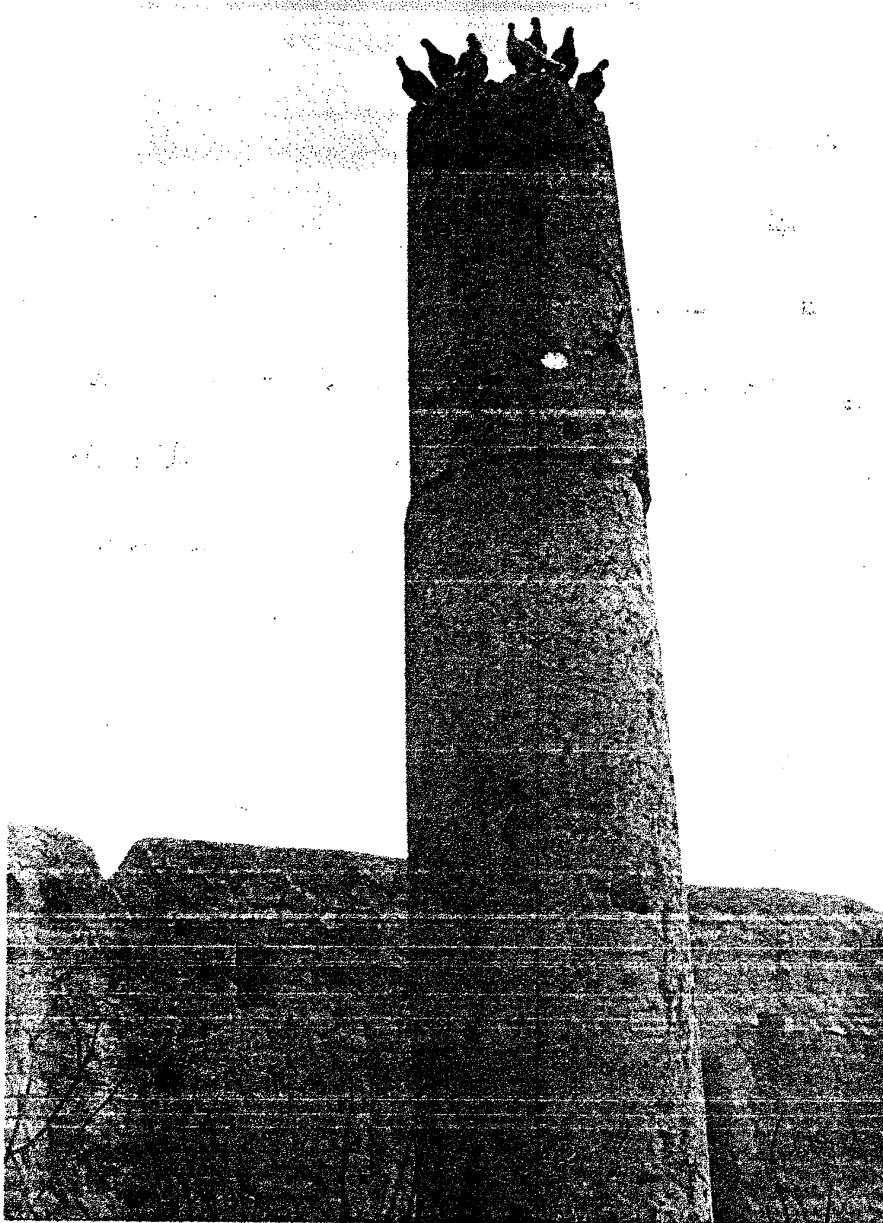
ملوك سورية (كان أحدهم ملك مدينة يبرود) كما ذكرت ذلك الموسوعة البريطانية عام ١٩٣٤م والمؤرخ لودز في كتابه (ممالك الشرق القديم) وجواد علي في كتابه (العرب قبل الاسلام) حيث ترأس شلمنصر الثالث حملة كبرى مؤلفة من ١٢٠ ألف مقاتل وذلك في السنة الثانية عشرة من حكمه عام ٨٤٦ ق.م.

ثم هاجم شلمنصر الثالث مرة أخرى في السنة الثامنة عشرة من حكمه ٨٤٠ ق.م الممالك الآرامية في سورية وأخضعها واستولى على ممالك صيدا وصور وجبيل ويبرود واصطدم بملك دمشق الآرامي (حزاقيل) ونهب قرى الغوطة وقطع أشجارها ولكنه لم يتمكن من الاستيلاء على دمشق، وقد ورد في كتابه مسجلة على تمثال من البازلت الأسود عن هذه الحملة مايلي: "هزمت حدد عازار الدمشقي مع اثنتي عشر أميراً من حلفائه، وقد طرحت على الأرض ٢٠٩٠٠ من محاربيه الأقوياء أما بقية جيوشه فقد قذفت بها إلى الأورونت (نهر العاصي) ففترقوا ليستنفيدوا أنفسهم، ومات حدد عازار وأخذ العرش واحد من العامة يدعى (حزاقيل) فجمع جيشاً وجهه ضدي فحاربته وهزمته وهرب ليخلص بجلده وتوجهت أنا حتى دمشق مقر حكمه وأبدت أشجار حدائقه، كما أن الامبراطور الآشوري آشور بانيبعل^١ الذي حكم امبراطوريته بين عامي ٦٦٨ - ٦٢٦ ق.م قد انتصر في حملته التاسعة على بلاد الشام على ملوك أدوم ومواب وصوبة وقطنة ويبرود، حيث أنه في تلك الفترة تحالفت مملكة يبرود مع بعض الممالك الآرامية في بلاد الشام

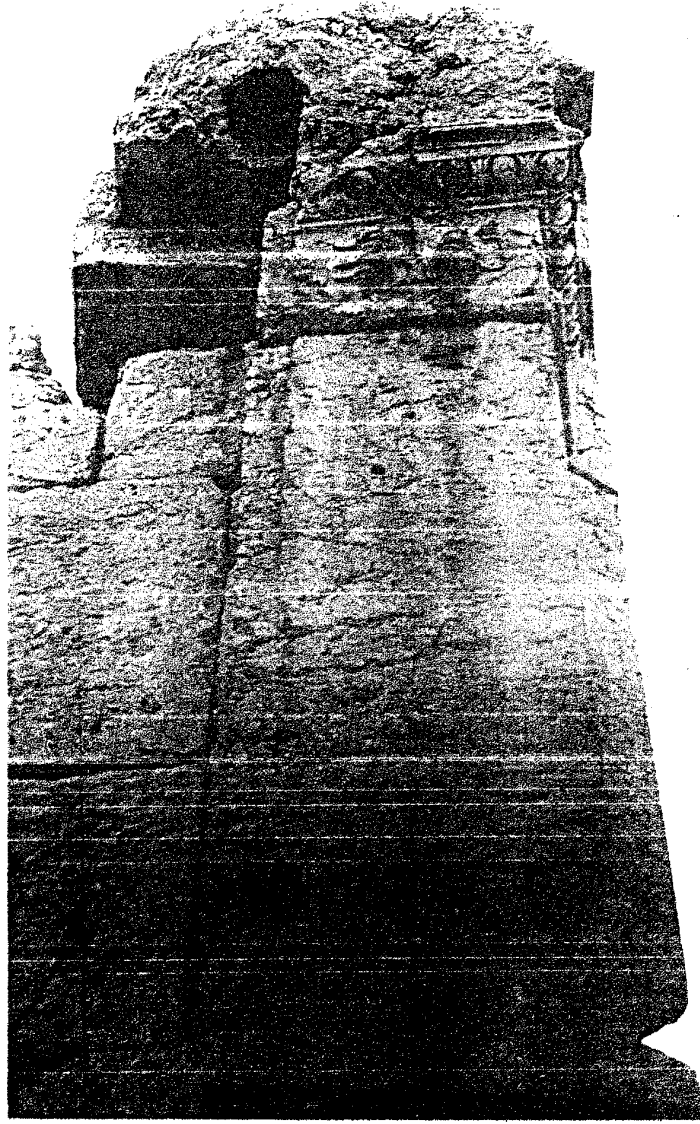
^١ - كتاب معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم - لعبد العزيز عثمان - الجزء الأول - مطبعة دار الفكر الحديث لبنان - ١٩٦٧م.

للقوف أمام اندفاع الزحف الآشوري القادم من بلاد الرافدين، ولكن الملك الآشوري تغلب على هذا التحالف وهدم أسوار المدن التي فتحها وتغلب عليها.

وفي القرن الرابع قبل الميلاد خضعت المنطقة للحكم الإغريقي وذلك إثر إجتياح الاسكندر المقدوني ابن فيليب الثاني لآسيا الصغرى ثم بلاد الشام ومصر والقضاء على النفوذ الفارسي في هذه البلاد ثم متابعة اجتياحه لبلاد فارس ووصوله إلى حوض السند في الهند وتأسيسه للإمبراطورية المقدونية وبعد وفاة الاسكندر بقيت بلاد الشام تحت قبضة السلوقيين حتى القرن الأول قبل الميلاد وخلال هذه المرحلة التاريخية انتشرت الحضارة الهيلنستية التي عمت المنطقة ونجد تأثير ذلك على بعض تيجان الأعمدة المنقوشة في يبرود كما أن بعض كتابات اليونان لاتزال محفورة على بعض حجارة يبرود وصخورها، ويحيى القرن الأول قبل الميلاد بالغزو الروماني لبلاد الشام حيث تمت السيطرة العسكرية الرومانية على جميع مناطق بلاد الشام ومنها يبرود وقد اتخذ الرومان في يبرود قاعدة عسكرية لإحدى الحاميات الرومانية لحماية الأمن في المنطقة، وفي هذا العصر بنى الرومان على انقاض حصن قديم في وسط يبرود حصناً لحاميتهم العسكرية لاتزال آثاره إلى الآن شاهدة عليه في أحد أحياء يبرود القديمة (القبعة)، ويذكر بعض سكان يبرود من كبار السن أن هناك أنفاقاً محفورة في الأرض تمتد من هذا الحصن إلى أمكنة لاتزال مجهولة في البلدة.



جانب من جدار الحصن الروماني في يبرود



أحد أعمدة الحصن الآرامي في حي القبع

وقد قام الرومان بتحويل معبد الشمس الآرامي في يبرود إلى عبادة الإله جوبيتر كبير آلهة الرومان، وقد اكتشف تمثال في مدينة روما يمثل الإله جوبيتر وقد نقش عليه باليونانية مامعناه: (جوبيتر ملك يبرود).

في نهاية القرن الثالث الميلادي ومع انتشار الديانة المسيحية في الامبراطورية الرومانية واعتناق أباطرة الرومان لتعاليم السيد المسيح عليه السلام تحول معبد جوبيتر إلى كنيسة تقام فيها شعائر الديانة المسيحية، وانتشر بناء الكنائس والأديرة بعد ذلك في يبرود وأطرافها، وقد اندثر أغلبها فيما بعد، ومن بينها الدير الذي كان قائماً قرب نبع قرينا.

وقد عدد المؤرخ حبيب الزيات في كتابه: (خزائن الكتب في دمشق وضواحيها)، والذي طبع في مطبعة المعارف في القاهرة عام ١٩٠٢م بعض الكنائس والمعابد التي كان لها وجود في يبرود في الماضي وأهمها:

- ١ - كنيسة القديس نيقولاوس وهي مكان الجامع الكبير (الخضر).
- ٢ - معبد النبي الياس وهو مكان زاوية الشيخ عبد القادر قنوع (زاوية الشيخ بهاء الدين ياسين حالياً).
- ٣ - معبد القديس جاورجيوس في حي القاعة وهي مكان زاوية الشيخ مصطفى الخطيب.
- ٤ - مقام السيدة زينب (ستي زينب) وأصبحت جزءاً من المدرسة الدينية (دعيت فيما بعد مدرسة قسوات وهي مكان دار خالد مصطفى عقيل حالياً).
- ٥ - معبد القديس سابا في اسكفتا.
- ٦ - كنيسة القديس جاورجيوس وكانت قريبة من الكنيسة الكبرى ثم هدمت ونقلت أحجارها إليها.

٧ - كنيسة السيدة، شرقي يبرود (والتي يتم تجديد بنائها حالياً بأسلوب معماري فريد).

٨ - كنيسة القديس استيفانوس وهي بيد الروم الارثوذكس انفردوا بها منذ عام ١٨٣٤م وقد رمت فيما بعد.

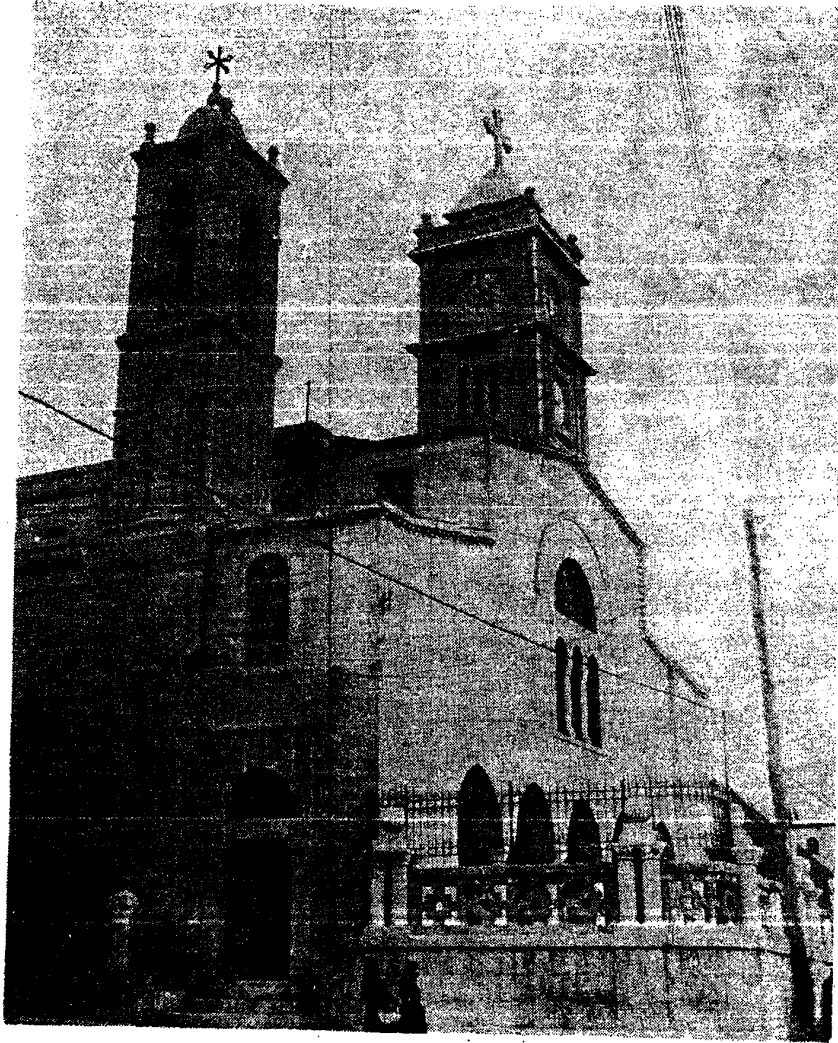
٩ - كنيسة القديس قزماوداميانوس وتدعى مارقزمان وهي في جنوب مدرسة الروم الكاثوليك (المدرسة الأسقفية سابقاً في شارع هنانو).

١٠ - كنيسة القديس قسطنطين وهيلانه وكانت خاوية ومعطلة ليس فيها إلا ثلاثة جدران والقبة فقط، وقد اتخذها الحاكّة مألفاً ينتابونه ليسدوا فيه أسدية الخام البلدي، فلما مر بها ابراهيم باشا في حملته المصرية سنة ١٨٣٤م استأنوه في بنائها وإصلاحها وخاطبه في هذا أمير اللواء يوحنا بك البحري المشهور فأجاب ملتسمهم ووهب لهم أيضاً ما أحق بالكنيسة الأرض البراح، فشرعوا في تجديد ماسقط منها بعد أن هدموا كنيسة القديس جاورجيوس المجاورة وأقاموا الحائط الغربي وأحدثوا بجانبه مكان النساء وهو الذي أبطله المطران عطا ورفعها الى موضعه^١ انتهى صفحة ١٦٦.

يبرود غنية بالمغاور والكهوف التي أقام بها الانسان القديم وجعلها سكناً له، وقد حفرها في الصخور الكلسية بأشكال هندسية أغلب سقوفها على شكل أقواس، وكثير من هذه المغاور قد ردم تحت منازل يبرود الحديثة، وأظن أن أكبر هذه المغاور وأتقنها هي الموجودة حالياً تحت شارع هنانو على بعد لايتجاوز مئة متر من جامع الرويس وكان يوصل إليها بواسطة درج حجري محفور ولها باب كبير ويليه فسحة وعدة غرف على طرفيها ومنذ بضع عشرة سنة كان يدخلها سكان البيوت المجاورة ويحفظون فيها بعض المأكولات في أشهر الصيف

^١ - خزان الكتب في دمشق وضواحيها - لحبيب زيات - مطبعة المعارف - القاهرة - عام ١٩٠٢م.

نظراً لبرودتها، كما أنه يوجد في وسط الجرف الصخري القائم على يسار طريق بيرود - قرينا، ثلاثة مغاور محفورة ولها فتحات تسمح بدخول الإنسان ومن الصعوبة جداً الوصول إلى هذه الفتحات بسبب ارتفاعها، والطريقة التي حفر بها الأقدمون هذه المغاور وفي تلك الأمكنة بالذات لاتزال غير معروفة، وقد صعد إليها بعض المغامرين منذ أكثر من ثلاثين عاماً عن طريق وصل سلاسل طويلة ببعضها وذكروا أن بداخلها ما يشبه معالف الحيوانات محفورة في الصخور والأغلب أنها مقابر ولكن ما الغاية في حفرها في وسط هذا الجرف الصخري المرتفع وكيف تم الوصول إلى ذلك المكان لم أستطع الإجابة عنه ولم أجد الجواب المقنع.



واجهة كنيسة بيرود

لعل من أهم الأوابد الأثرية في بيروت هي مؤذنة جامع الخضر
عليه السلام الذي بني على أنقاض كنيسة تعود للقديس نيقولاوس
التي كانت مبنية على أنقاض معبد وثني، هذه المؤذنة التي تشبه إلى
حد بعيد مؤذنة العروس في الجامع الأموي في دمشق والمبنية على
الطراز المعماري الأموي.



مؤذنة جامع الخضر القديمة

كما أن كنيسة يبرود الكبرى كانت فيما مضى معبدًا وثنيًا للشمس ثم لجوبيتر بحجارتها الضخمة وتاريخها العريق جدد بناؤها حوالي العام ١٨٣٨م بعد أن سمح بذلك الفاتح المصري ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا عندما مر ببلدة يبرود بعد حملته على بلاد الشام وطرده العثمانيين منها بين عامي ١٨٣١ - ١٨٤١م وفتحها، وعن زيارة وإقامة ابراهيم باشا في يبرود يذكر كتاب (مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سورية) لمؤلف مجهول وقد حققه أحمد غسان سبانو، مانصه حرفياً عن حوادث عام ١٨٣٨م: (... استقام ابراهيم باشا كم يوم في الشام وأمر على لم^١ السلاح من الإسلام والنصارى وصار تقريط^٢ كلي، وصار جمع السلاح من القرايا ومن حوران ومن كل البلاد، وبعده توجه ابراهيم باشا لناحية شمال، وليلتها بات في منين على العين، وثاني يوم توجه على صيدنايا وطلع إلى دير السيدة العامر واستقام نحو ثلاث ساعات في قصر البطرك وحضرت الرئيسة قبلت اتكه^٣ وأخذ وأعطي معها في الكلام بكل بشاشة وسألها على الراهبات وكم عدتهم^٤، وبأثناء الخطاب طلبت منه إنعام^٥ أن يتعمر في الدير كم قوضة لأجل سكن الراهبات، فقال لها: حرري عرض^٦ وأرسله إلى يبرود وهناك بعلم عليه، وركب في ساعتها وبات في قرية التواني وثاني يوم توجه إلى يبرود واستقام كم يوم...) انتهى قول المؤلف.

^١ - جمع.

^٢ - تضيق.

^٣ - ساقه.

^٤ - عددهم.

^٥ - تكريم - رخصة.

^٦ - استدعاء.

وقد أعجب ابراهيم باشا بكرم أهل يبرود ونبل أخلاقهم
وسماحتهم، وقد سمح لمسيحيي البلدة بتجديد بناء هذه الكنيسة
وترميمها والتي كان قد تهدم سقفها وجزء من جدرانها في فترات
سابقة ولكن للأسف لم تعد حجارته المنهارة إلى أمكنتها وهذا
مايلاحظ في جدارها الشمالي.

لقد ذكر الجغرافي بطليموس الكلوزي أن يبرود كانت تابعة
لمقاطعة لاثوديسيا الرومانية والتي كانت حاضرتها ربله قرب
قصور حمص حيث كانت يبرود مركزاً عسكرياً لحامية رومانية
تحمي الأمن في هذه الإنحاء، وما الحصن الذي بني ولا تزال آثاره
في تلة القبع إلا شاهداً على ذلك.

في القرن السابع الميلادي امتد التحرير الإسلامي إلى بلاد الشام
الذي أتى بالعديد من قبائل الجزيرة العربية، فاستهوت يبرود بعض
بطون قبيلتي ضبة وكراب العربيتين، وأقامت كلاب في غرب
وجنوبي غرب يبرود حيث كانت المنطقة غنية بأشجارها
ومراعيها، وكان بعض أمراء الأمويين يمارسون رياضة الصيد في
هذه البقاع، وكان يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي
الثاني يقضي بعض أوقات فراغه في هذه المنطقة عند أخواله من
بني كلاب.

وبانتشار الإسلام الواسع في هذه المنطقة أقيمت المساجد وازداد
عدد سكان يبرود، وقد استوطنتها سكان قرية الصالحية التي كانت
عامرة في شرقي يبرود على طريق النبك وقريباً من موقع قرية
ريمة وذلك إثر هجرتهم من قريرتهم بعد جفاف مياهها ويذكر الشيخ

عبد الغني النابلسي في رحلته الشامية عام ١١٠٥هـ الموافقة لعام ١٦٩٣م في مؤلفه (الحقيقة والمجاز في رحلة الشام والحجاز)، إذ يقول عنها بعد مغادرته يبرود في وجهته إلى النبك حرفياً مايلي: "ثم سرنا في ذلك المكان بإعانة الله الملك المنان فمررنا في الطريق على قرية خراب تسمى الصالحية، وكان لها فيما مرّ من الزمان قناة ماء جارية في أراضيها وكانت عامرة بأهلها، فأخبرنا رجل كان معنا أن سبب خرابها أنه مر بها رجل من المغاربة، فاستطعم أهلها فلم يطعموه شيئاً فكتب ورقة فألقاها في الماء، فغار الماء ولم يعد بعد ذلك، فخربت القرية ونفر أهلها منها، ثم إن ذلك الرجل المغربي جاء بعد أعوام وسأل رجلاً من أهلها فأخبره بخراب القرية فقال له المغربي: «أنا كنت السبب في خرابها وقص عليه الخبر».

قناة الماء الرومانية لاتزال آثارها ظاهرة للعيان حتى الآن في المنطقة، وقد أمحت معالم هذه القرية إثر السيول التي كانت تنطلق إثر الأمطار الغزيرة أوهطول البرد بعد عواصف رعدية شديدة كانت تحدث صيفاً أوشتاءً في المنطقة وتسبب سيولاً تجري وتتجه منحدره نحو الشرق من يبرود، وقد أورد الشيخ أحمد البديري الحلاق في مؤلفه (حوادث دمشق اليومية)^١ أخبار سيل جارف خرب قرية الجبة ثم مر ببيروود وأتلف الكثير من منازلها ومزارعها وكان ذلك في صيف عام ١١٧١هـ الموافق لـ ١٧٥٧م، حيث يقول حرفياً: «في هذا العام جاء سيل عظيم في مربعانية الصيف، نزل في قرية جبة من قرب يبرود وكان نزوله من أول الليل فما كان

^١ - حوادث دمشق اليومية - مؤلفه أحمد البديري الحلاق.

الإساعة حتى أخذ قرية جبة عن بكرة أبيها ثم مر على يبرود، فغطى جميع الكروم وهدم وقتل، ثم وصل إلى قرية النبك يهدر في جريه مثل الرعد، فأتلف بها كثيراً، نسأله تعالى اللطف بالمقدور».

هذه السيول كانت تشهدها يبرود والمنطقة وأهمها في القرن العشرين هو السيل الذي جرى إثر عاصفة رعدية شديدة لم يسبق لها مثيل ونزول البرد بكثافة لمدة ثلاثة أيام من عام ١٩٣٧م، مما هدم الكثير من منازل يبرود والمنطقة وأحدث تلفاً لمعظم مزارع يبرود والنبك ودير عطية وقتل العديد من السكان في المنطقة، كما تشهد المنطقة كل بضع سنوات سيلاً جارفاً كان أهمها السيل الذي جرى في وادي اسكفتا في يوم ٢٨ أيار من عام ١٩٦٨م وألحق ضرراً بليغاً في المزارع والمنازل، كما أن يبرود شهدت هجرة معظم سكان قرية دنحة إليها إثر جفاف المياه فيها، وكانت هذه القرية عامرة بسكانها فهجرها أهلها ولم يبق منها سوى بناء المزار فيها وهو مقام الصحابي ضرار بن الأزور رضي الله عنه والمعروف بمقام حربوشا وقد جاء ذكر هذه القرية في كتاب الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته عام ١١٠٥هـ - ١٦٩٣م إذ يقول عنها بعد مغادرته لمعلولا في طريقه إلى يبرود حرفياً مايلي: «... ثم توجهنا سائرين في أكمل لطافة ولين حتى نزلنا في واد أمين، ثم صعدنا منه إلى قرية تسمى (دَنَحَه)، [بفتح الدال وسكون النون وفتح الحاء المهملة بعدها هاء، وبعضهم يبدل الهاء ألفاً في الوقف]، فوجدناها قرية أهلها قليلون كمائها، قال الله تعالى: (وجعلنا من الماء كل شيء حي)، فان ماءها يجمع لها في الآبار من السنة إلى السنة من الثلوج

والأمطار، فصلينا فيها صلاة الظهر وقدموا لنا ماتيسر من الزاد
والله تعالى قد كفى وزاد....».

وعاش مسلمو يبرود ومسيحيوها منذ أن انتشر الاسلام في ربوع
هذه المنطقة في سلام ووئام، بعيدين عن النزاعات الدينية والطائفية
يجمع بينهم رباط وثيق من اللفة والمحبة والمودة، مختلطين مع
بعضهم البعض يتعاونون ويتزاورون، يشتركون في أفراح وأتراح
بعضهم البعض وفي جميع المناسبات الاجتماعية حيث تجمع بينهم
ذات العادات والتقاليد والقيم الاخلاقية وذات الطبائع والنشأة الواحدة،
وسكان يبرود معروفون بلين الطبائع ودمائة الأخلاق وطيب
المعشر، ولا بد أن لطبيعة يبرود وجمالها وعطر نسائها أثر في
أخلاق أهلها وطبائعهم، وعن طبيعة هذه البلدة وشمائل أهلها التي
يذكرها الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته المذكورة آنفاً عام
١١٠٥هـ - ١٦٩٣م في مؤلفه (الحقيقة والمجاز في رحلة الشام
والحجاز) أثناء مروره بها في شهر تشرين الأول من السنة حيث
يقول: «ثم توجهنا إلى قرية يبرود المحروسة، ذات الرحاب
المأنوسة، والمياه الجارية بين الرياض والبساتين والنسائم العطرة
بروائح الزهور والرياحين، فنزلنا منها في قصر رحيب كأنه صدر
حبيب، وألقينا فيها وعشاء السفر لاسفارها عن الراحة، فامتدت إلى
اقتطاف زهرة نشأتها اليد منا والراحة.

ثم بتنا فيها تلك الليلة في أتم نعيم وأكمل إنعام، ولانرى من أفواه
أزهارها ووجوه أهلها غير البشاشة والابتسام.

حتى أصبحنا في نهار الأحد وذلك هو اليوم الرابع لمحرم
١١٠٥ هـ الموافق لـ ٤ تشرين الأول ١٦٩٣ م، مقيمين في هاتيك
المساكن اللطيفة والمرابع وفي ذلك نقول، تعللاً بنسائم القبول:

وتذكرت طيب تلك العهود	برد القلب في ربا يبرود
فتحدثت عن وجود الوجود	وانجلت لبسة الوجود لعيني
خالي السر عن أمور الحسود	ياسقي الله ليلة بت فيها
ينفح الطيب نفح مسك وعود	في نعيم مجدد ونسيم
وغياض كحسن دار الخلود	ورياض أنيقة وحياض
طيبات في أصلهم والجدود	مع صحب كأنهم زهرات
مظهراً لانجلاء سر الوجود	فرعي الله عهدنا حيث كنا

ثم بعد صلاة الظهر بالجماعة، قصدنا اغتنام الأجر بتحصيل
بركات تلك الساعة فذهبنا إلى زيارة الشيخ خليل الرفاعي رضي
الله عنه، فوقفنا عند ضريحه المبارك^١ وقرأنا له سورة الفاتحة
ودعونا الله تعالى وتبارك، وعليه عمارة لطيفة وقبة منيفة، مات
رضي الله عنه في حدود سنة ثمان وتسعين وألف هجرية ودفن في
هذه القرية.

ثم ذهبنا إلى العين التي هي منبع الماء الذي يدخل إلى القرية^٢،
فإذا هي عين لطيفة بجوانبها أنواع المياه والخضرة مطيفة، فجلسنا
عندها حصة من الزمان نحن ومن معنا من بقية الاخوان، ثم ذهبنا
إلى زيارة الشيخ حابس الذي يورق ببركته كل عود يابس، وقرأنا

^١ - مقام الرفاعي وسط مقبرة يبرود.

^٢ - نبع قرينا.

له الفاتحة وألقى الله تعالى إلينا من الغيب مفاتحه، وعليه عمارة لطيفة الطول والعرض، وليس في داخل قبته قبر معين على وجه الأرض، فكأنه السر المكتوم في غيابات العلوم^١.

ثم سرنا إلى عين سِكْفَتِه [بالسين المهملة والكاف المكسورتين وسكون الفاء بعدها تاء مثناة فوقية ثم هاء، وقد تبدل ألفاً].

ثم عدنا إلى منزلنا بالقرية المذكورة (يبرود) بعد أن مررنا على المروج الغضة والمياه الصافية كسبائك الفضة، فبتنا في ذلك المنزل على أكمل حال، بقصد السفر والارتحال، إلى أن أصبح الصباح، ونادى مؤذن الفلاح، وكان ذلك اليوم يوم الاثنين الخامس من محرم ١١٠٥ هـ من أيام هذا السفر المبارك المشمول بمعونة الله تعالى وتبارك، وكان البرد في ذلك الوقت منتشر البرد والوشاح، وطائر نسيمه في الصباح، خفاق الجناح، بحيث يقتضي تعليق النار وتغليق الأبواب فيلحق الاغتباق بالاصطباح، وفي ذلك نقول على مقتضى ما اشارت به المربع والطلول:

يبرود ذات الزهور والورود	جئنا إلى قرية يقال لها
يبرود مشنقة من البرد	وبردها زائد ولاعجب

(انتهى كلام الشيخ عبد الغني النابلسي عن يبرود حيث يذكر بعدها أنه غادرها في طريقه إلى النبك حيث مر على أطلال قرية الصالحية بين يبرود والنبك).

^١ - لم تكن قرية رأس العين موجودة في تلك الحقبة من الزمن من عام ١٦٩٣م ويظهر أنها نشأت بعد هذا التاريخ بجوار مقام الشيخ حابس والنبع.

وقد مرّ ببيروود منذ قرون عديدة الكثيرون من الشعراء العرب
الذين فتنوا بجمالها وتفيؤوا بظلالها وشربوا مياهها فتغنوا بها
وشببوا ومن هؤلاء الشاعر العربي الأخطل التغلبي حيث يقول فيها:

لقد سقتني رضايا غير ذي أشر كالمسك ذرّ على ماء العناقيد
من خمر بيسان صرفا زانه حبيب شبيت به نطفة من ماء يبرود

وأيضاً شاعر الغزل أبو النواس يقول فيها:

وما عجن طلاعاً (بيروود) بعدما أناخ على زغراعهن هجير
تمالكن حتى لاتفيء ركابها إلى الظل أويثني العنان غدير

تطور السكان والعمران

لقد أدت وفرة المياه وجودة المناخ في يبرود إلى تكوين منطقة استقرار حيوية منذ عصور قديمة في هذه المنطقة، فالإنسان منذ العصور الحجرية استوطن الملاحيء الطبيعية المتوفرة في السفوح الجبلية الصخرية وعلى أطراف الوديان ذات المياه الوفيرة والأشجار الكثيفة والموجودة على أطراف مدينة يبرود، ولعل الأدوات الصوانية التي صنعها إنسان تلك العصور القديمة واستخدمها في حياته وبشكل واسع الانتشار في منطقة يبرود ما هي إلا دليل ساطع على أن كثافة السكان الذين عاشوا في هذه المنطقة قديماً تكاد تكون أكبر مما هي عليه الآن، ولعل أيضاً ماكتب عن يبرود في العصور التاريخية وتقلب الأنظمة السياسية فيها وكونها كانت في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد جزءاً من مملكة كنعانية ثم تحولت في الألف الأول قبل الميلاد إلى مملكة آرامية مما يثبت أنها كانت وفيرة السكان، لأنه من المعروف أن العنصر البشري هو من العناصر الأساسية والهامة لتكون الدول أو الممالك، وما المقابر المنتشرة في جميع أطراف البلدة إلا دليل كاف على وفرة وكثافة في عدد سكانها منذ مئات السنين، ويثبت ذلك أيضاً وفرة عدد الأديرة والكنائس التي أنشئت في يبرود في العصر الروماني، أيضاً ومن المؤكد أن عدد سكان منطقة مالايبقي ثابتاً بل هو متغير حسب الظروف المناخية والطبيعية والسياسية والأمنية والصحية،

فهذه جميعها تؤثر في حركة السكان وتزايدهم أو نقصانهم، ويبرود التي هي إحدى مدن بلاد الشام تعرضت إلى نقص في عدد السكان في ظل العهدين المملوكي والتركي وأثناء اجتياح جيوش المغول والتتر وبسبب كثرة الحروب والمجاعات والأوبئة التي كانت تفتك بألوف البشر والتي انتشرت في فترات متعددة.

لقد كان عدد السكان في يبرود في مطلع القرن العشرين يتراوح بين الثلاثة والأربعة آلاف نسمة، يسكنون في ثلاثة أحياء رئيسة وهي حي القاعة وهو أقدم أحياء المدينة ثم حيا القامعية والصالحية، وكان أغلب سكان البلدة يعملون بالزراعة والحرف الصناعية التقليدية وقسم منهم يعمل بالتجارة وآخر يزاول عمل نقل السلع والبضائع بين مدن بلاد الشام على عربات يملكونها تجرها البغال القوية، وكانت هذه العربات والتي تدعى الواحدة منها (الكميون) تقوم مقام السيارات الشاحنة في هذه الأيام.

وقد بلغ تعداد السكان في منتصف القرن العشرين حوالي خمس عشرة ألف نسمة وأصبح في العقد التاسع حوالي الخمسة والثلاثين ألف نسمة، وتعود هذه الزيادة إلى ارتفاع مستوى معيشة الفرد في يبرود وإلى الوعي الصحي وتناقص عدد الوفيات وارتفاع مستوى الأعمار بالرغم من أن تعدد الزوجات معدوم تقريباً في يبرود.

وقد رافق هذه الزيادة السكانية توسع في العمران، حيث تبدل وجه المدينة وشمل العمران مناطق عديدة على أطراف البلدة القديمة وتشكلت أحياء جديدة لم يكن لها وجود سابقاً كما أن الأبنية الاسمنتية الحديثة ذات الطوابق المتعددة أصبحت تشكل أغلب منازل المدينة بعد

هدم المنازل التقليدية القديمة وغاب بذلك وجه يبرود الأصيل بعد أن زحفت تلك الأبنية الحديثة على حساب البيوت التقليدية القديمة والجميلة وقامت مقامها وزحف البناء حتى إلى المناطق الزراعية الخصبة حول يبرود فاقتلعت الأشجار وكروم العنب في مناطق عقوزا واسكفتا والغواطيس ووادي قرينا والدورة والعريض وأقيمت مكانها الأبنية فزالت بذلك مساحات شاسعة من الحقول والبساتين التي كانت تزين يبرود وتزهو بخضرتها ومياهها وأشجارها، كما أن تلة القوز الكلاسية البيضاء والتي كانت على أطراف البلدة أصبحت حالياً في وسط المدينة حيث أحاطها العمران وزحف عليها من كل أطرافها، وقامت أحياء جديدة كحي فقرو وعين منعم والمنطقة الصناعية وعقوزا واسكفتا وغيرها.



منظر حي اسكفتا

يمتاز أبناء يبرود بالاقبال على العلم والتعلم، وقد ساعد على ذلك وجود المدارس التبشيرية الأجنبية والمدرسة الدينية ثم المدارس الرسمية فيها منذ منتصف القرن التاسع عشر، وتكاد تكون الأمية حالياً مفقودة وضئيلة جداً في المدينة، وقد أدى إقبال أبناء هذه المدينة على العلم إلى نيل المئات منهم أعلى الشهادات الأدبية والعلمية من الجامعات السورية واللبنانية والأوربية والأمريكية، ومنذ منتصف هذا القرن تتكبد عدد من رجالات هذه المدينة ومتقفيها العديد من المناصب الإدارية والسياسية والعسكرية في الدولة، فكان منهم أعضاء في المجالس النيابية ووزراء ومعاونو وزراء... ومنهم من نال مراتب عالية في سلك القضاء وفي الإدارة وفي التعليم الجامعي والتعليم الثانوي والابتدائي، ومن الملاحظ أن خريجي الجامعات السورية والعربية والأجنبية من أطباء وأطباء أسنان وصيادلة ومهندسين بكافة اختصاصاتهم وخريجي كليات الآداب والحقوق والتجارة والشريعة والكليات العلمية والفنية وخريجي المعاهد المتوسطة بكافة اختصاصاتها يشكلون نسبة عالية بالنسبة لعدد سكان مدينة يبرود، ومرد ذلك إلى شدة الاقبال على العلم في هذه المدينة.

يبرود كانت في أواخر العهد العثماني وفي بداية القرن العشرين تابعة لقائمقامية منطقة النيك وقد أنشئت فيها أول بلدية في بداية العقد الثالث من القرن العشرين، وفي عهد الاستقلال أصبحت يبرود مقر لناحية تابعة لمنطقة النيك ثم تحولت في العقد الثامن من هذا القرن إلى منطقة من ضمن مناطق محافظة ريف دمشق تتبعها ناحية عسال الورد وقرى وبلدات الجبة ورأس العين ورأس المعرة والصرخة وريما.

أما بالنسبة لطوائف وديانة سكان يبرود، فقد كان معظم سكان هذه المدينة قبل الفتح العربي الاسلامي لبلاد الشام يعتقدون الديانة المسيحية التي كانت سائدة في المنطقة في ظل الحكم الروماني، وكان أغلب مسيحييها من طائفة الروم الكاثوليك وأقلهم من الارثوذكس والسريان، وبعد الفتح الاسلامي ازداد إقبال المسلمين للاستيطان فيها وأقبل بعض سكانها من المسيحيين على اعتناق الديانة الاسلامية في فترات متلاحقة حتى بات عدد المسلمين فيها يشكلون ثلثي عدد سكانها في مطلع القرن العشرين ولا يزالون كذلك.

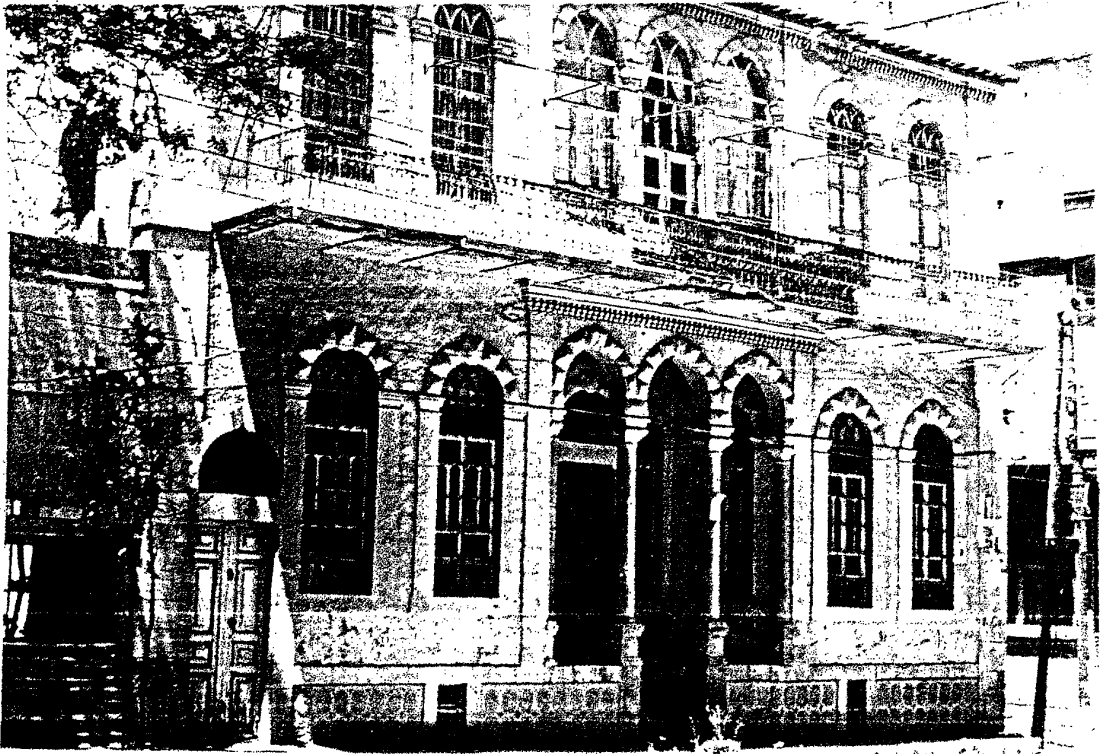
ومن الملاحظ والمؤكد أن جميع سكان يبرود من كلتا الديانتين يعيشون ظروفًا اقتصادية واجتماعية وفكرية واحدة، حيث تسود الالفة والمودة والتفاهم والوئام بين الجميع.

فمنازل الجميع متجاورة متداخلة فيما بينها، ونشاطهم الاقتصادي متماثل تقريباً، الجميع يحترمون عقائد بعضهم بعضاً، ويشتركون في أفراح وأتراح بعضهم، يتعاونون ويتزاورون ويتبادلون اللقاءات والتهانى في أفراحهم وأتراحهم، والجميع بعيدون كل البعد عن النزاعات الدينية أو الطائفية والتعصب الديني حيث أن هذه غير معروفة ولا تجد لها طريقاً في يبرود، وسابقاً فشلت كل محاولات المحتلين من أتراك وفرنسيين في زرع بذور الشقاق وإثارة النزاعات الطائفية والدينية بين الأخوة في بلادنا بشكل عام وفي يبرود بشكل خاص لتفكيك عرى وحدة هذا الشعب ولاحكام سيطرة ذلك المستعمر وتحكمه في بلادنا، إلا أن جميع هذه المحاولات قد باءت بالفشل وبقي جميع سكان يبرود بعيدين عن ذلك كل البعد بفضل الوعي السائد والذي يتمتع به سكان هذه المدينة.

البيت اليرودي القلموني

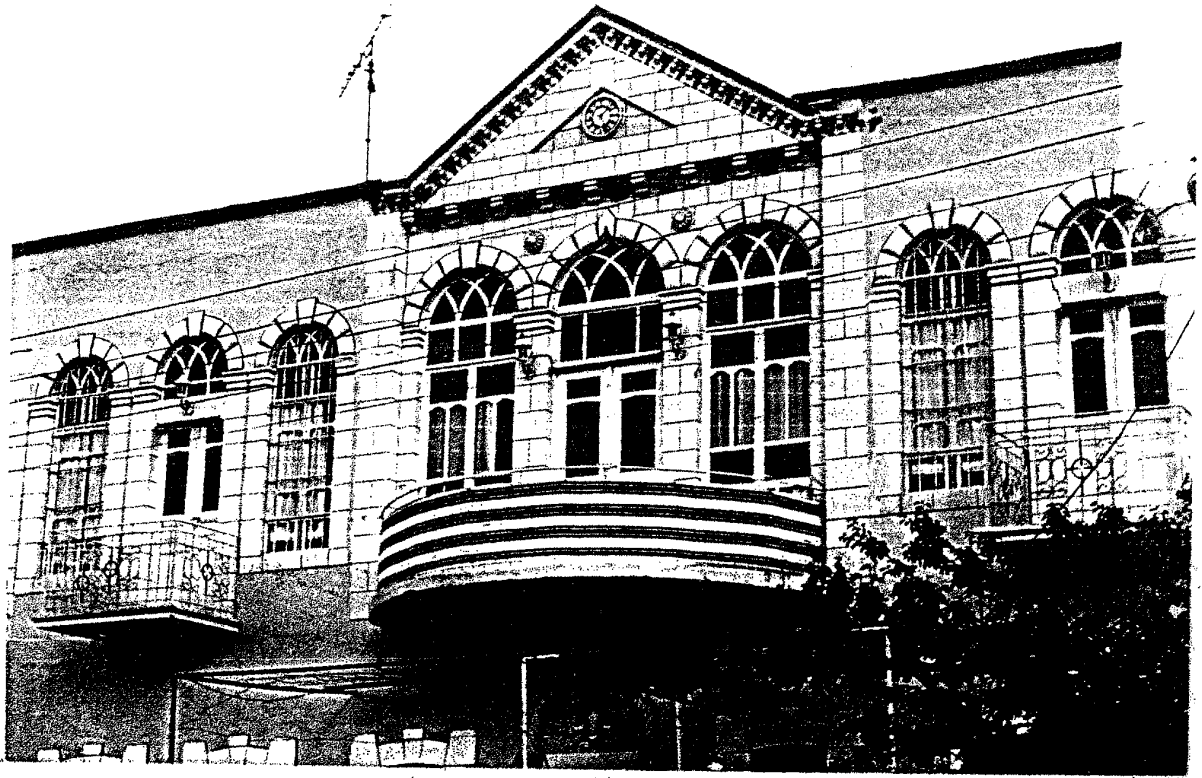
كانت أغلب منازل يبرود ومساكنها تمتاز بالسعة وتعدد الغرف ورحابة الفسحة السماوية والتشابه.

وهي ذات طابع معماري متميز ويناسب البيئة الريفية كما يناسب مناخ المنطقة، هذه المنازل كانت تبني بمواد محلية تتألف من الحجارة الصخرية الصلبة (الحجر الغشيم)، والحجارة الكلسية البيضاء (الكدان) والطين واللين (واللين عبارة عن طين مجبول بالطين يصب في قوالب خاصة ويجفف بأشعة الشمس فيكتسب صلابة ومتانة).



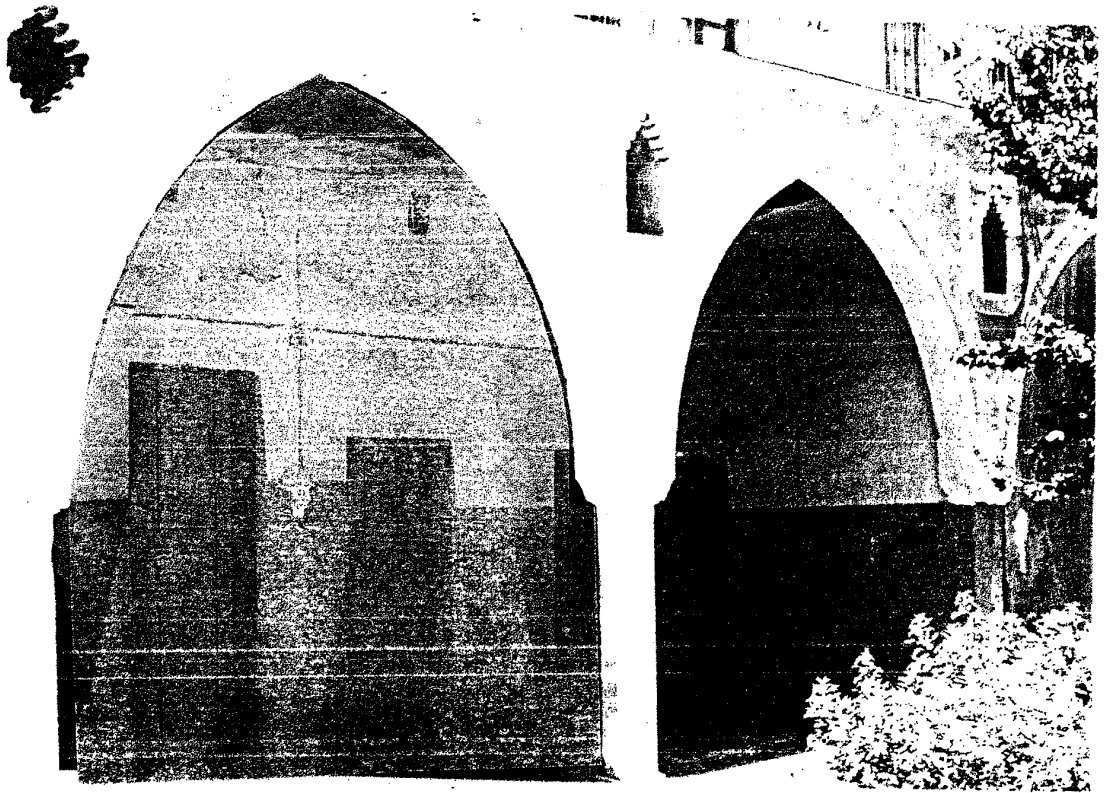
واجهة بناء قديم ذي دورين في يبرود

وكانت غالبية منازل يبرود تتألف من طبقة واحدة وبعضها من طبقتين بشكل يستفاد منه صحياً واقتصادياً، تبنى القواعد بارتفاع حوالي المتر أو المتر والربع من الجدران بالحجارة الصخرية الصلبة ثم ماتبقى من الجدران باللبن والطين وبسماكة لا تقل عن نصف متر، وتسقف هذه المنازل بخشب الحور المحلي (البرودي) الذي يمتاز بصلابته ولايسمح للسوس بالسطو عليه كغيره مهما طال عهده.



واجهة منزل من الحجر الكلسي المنحوت

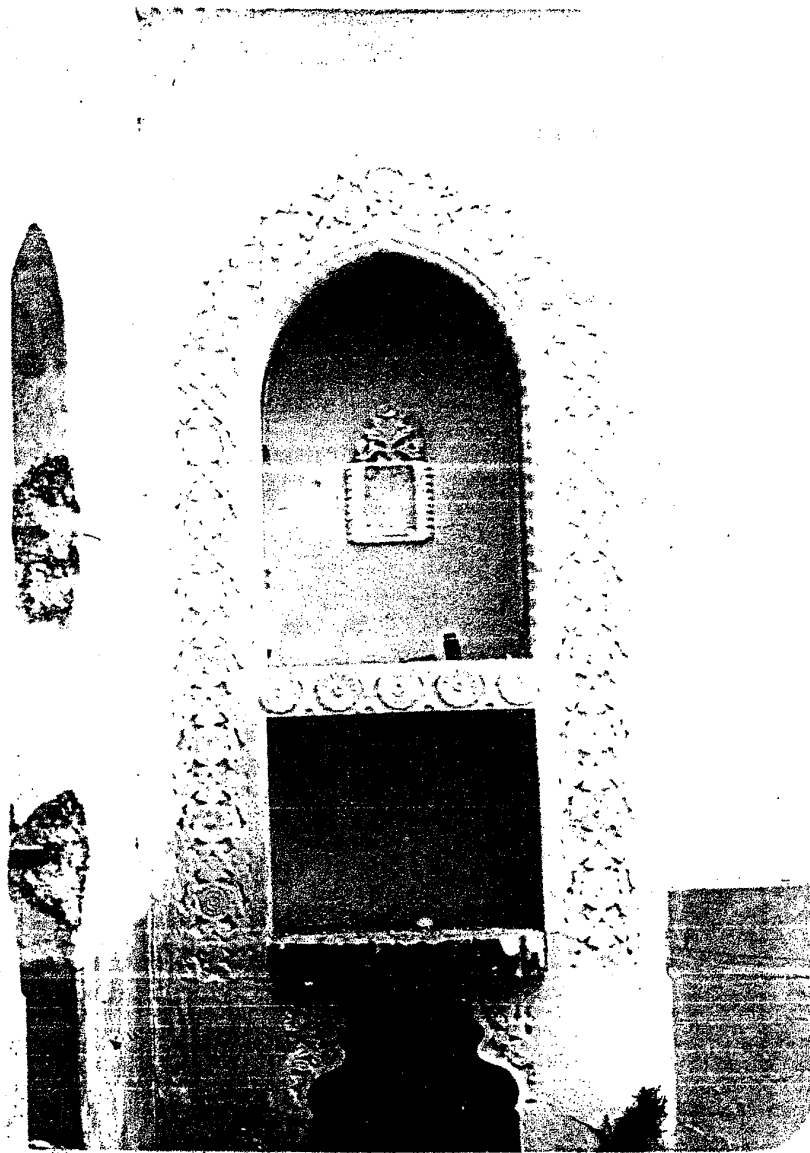
كان المسكن يتألف من عدة حجرات متلاصقة نوافذها نحو الشمال وأبوابها تفتح على إيوان يمتد أمام الغرف مسقوف ويواجه جهة الجنوب ومحمول على عدة أعمدة اسطوانية منحوتة من الصخر الصلب تعلوها تيجان صخرية مزخرفة وتحمل أقواساً نصف دائرية مبنية من الحجارة الكلسية المنحوتة باتقان والمرصوفة بجانب بعضها بطريقة فنية، وهذا الإيوان يتعرض لأشعة شمس الشتاء منذ شروقها وحتى المساء والتي تنفذ من الأبواب والنوافذ إلى داخل حجرات البيت فتمنحه دفئاً وحرارة في وقت كان السكان أحوج ما يكونون فيه إلى الدفء في تلك الأيام الشديدة البرودة، في فصول الشتاء وهذا ما يخفف القر والبرد ويوفر الوقود.



الإيوان في منزل بيرودي قديم

بينما تتحرف أشعة الشمس صيفاً ولا تكاد تغطي الايوان إلا فترة وجيزة من النهار مما يجعل المنزل أكثر رطوبة، وكان يتقدم الايوان فسحة سماوية كبيرة تتوسطها أحواض تزرع بأنواع الورود والرياحين وبعض أشجار الرمان والتين والدفلة وغيرها، وكان بعض السكان يحفرون آباراً في باحة الدار وينضحون منها الماء بالدلاء أو مضخات معدنية وكانت أبواب المنازل تفتح من الباحة إلى الطريق، وفي طرف الباحة كان السكان يبنون زرائب الحيوانات وتتكون من غرفة الاسطبل للدواب ومخزن للعلف والتبن وهي غرفة لها فتحة من السطح كانت تملأ بالتبن من هذه الفتحة وللزريبة (الحوش) فسحة سماوية لجمع روث الحيوانات والدواب يستخدمه الفلاحون كسماد طبيعي للأرض وبعضه وقوداً وفي زاوية من هذه الفسحة قن للدجاج وبناء الزريبة يكون أقل إتقاناً من بيوت السكن والمعيشة وللزريبة باب خاص واسع إلى الطريق، وتسقف الزريبة بأغصان اللزاب المتوفر في جرود فليطة ورأس المعرة والجبة المجاورة لبيروود، ويحتل تنور الخبز مكاناً خاصاً به في غرفة في أحد أطراف الباحة.

غرف المنزل كانت تمتاز بالسعة وارتفاع الاسقف، ولا تكاد تخلو غرفة من فراغات في الجدران متعددة الأغراض، فالكبيرة منها تدعى (اليوك) وتستعمل لتتزيد الفرش واللحف والمخدات، والمتوسطة تدعى (الكتيبة) لتتزيد الأواني الزجاجية والخزفية والقيشاني وفناجين القهوة وغيرها، والصغيرة تتصل بمدخنة تصلها بالسطح وتستخدم لوضع الشمعدان أو المصباح أو الفانوس حتى لا يتأثر أصحاب البيوت برائحتها.



كتيبة في أحد غرف بيوت يبرود القديمة منحوتة من الحجر الكلسي

غرفة المؤونة كانت أساسية في كل منزل وتتميز باتساعها ويقام على أحد جدرانها الخلايا الطينية لخبز البرغل وعلى الجدران الباقية ترصف الجرار الكبيرة والصغيرة لخبز الكشك والدبس والحبوب وغيرها من مؤونة البيت.

وتكاد لاتخلو غرفة من غرف الدار من موقدة بنيت من الطين في زاوية من الزوايا وبني فوقها أوجاق مرتفع يتصل بمدخنة إلى السطح وعلى طرفي الموقدة هناك مصطبتان كان الصغار يجلسون عليها في الأيام الشديدة البرودة، وهناك أيضاً في كل باحة منزل وفي ناحية منها تقام موقدة طينية تستخدم صيفاً للطبخ وتسخين المياه.

والبيوت ذات الدورين يصعد السكان إلى الدور الثاني فيها بدرج حجري يقام في الباحة السماوية والدور الثاني يشابه الدور الأول من حيث عدد الغرف والايوان والاتجاه.



زقاق في حي بيرود القديم

الفصل الثاني:

يبرود التقليدية تموين الأسرة

كان يغلب طابع الأسرة الفلاحية على المجتمع اليبرودي، لأن أغلب السكان يعملون بالزراعة والفلاحة، والآخرين الذين يمتهنون حرفاً وصناعات أخرى قل من لا يملك منهم أرضاً مروية أو بعلية والبعض كان يربي الحيوانات كالغنم والماعز والبقر والدواجن.

وكان من صفات هذا المجتمع التماسك والتعاون فكانت تجد الأسر تتهادى فيما بينها بعض الحاصلات الزراعية والخضار والفاكهة، والفلاح كان يعتبر أن البركة لا تحل بمحصول من محاصيله إلا إذا أهدى جزءاً منه لجيرانه أو من لا يملك مثل هذا المحصول سواء كان ثماراً وفاكهة أو خضاراً.

وحرفيو يبرود أغلبهم كان يتقاضى بدل أجورهم بعضاً من منتوجات الأرض كالحبوب والبطاطا والزبيب أو الدبس أو بعض منتوجات الحيوانات كالسمن والجبن والبيض وسواه.

ومن حيث التموين (المونة) فقد اكتفت الأسرة ذاتياً وأمنت لنفسها معظم احتياجاتها نظراً لكثرة عدد أفرادها، فزودت نفسها باللحم والبيض والسمن والجبن واللبن، واهتمت أغلب الأسر بتربية المواشي والطيور الداجنة وزرعت المحاصيل التي تحتاجها في غذائها اليومي كالقمح والشعير والذرة لتأمين الدقيق، وصنعت من

القمح البرغل والكشك الذي نادراً ما خلت منه وجباتها اليومية وزرعت العدس والفلول والخضار بأنواعها كالبنءورة والكوسا والفاصولياء والملفوف والسلق والبطاطا والبصل والثوم والجزر والخيار وغيره.

وكانت النساء ءءعم الوجبات الغذائية للأسرة بالسعي في الحقول والبراري لقطف الأعشاب التي كانت تؤكل إما نيئة أو مطبوخة لوحءها أو مع البرغل أو حشوة لفطائر العجين مثل عشة أم أءمء والءبلوب والهندبة والخبيزة، فشكل ذلك جانباً من غذاء الأسرة.

وقء اءصف غذاء الأسرة بالرتابة وقلة التغيير في نوع المأكّل، فكان أساس وجبات الفلاح الحبوب والبرغل الذي يطبخ لوحءه أو مضافاً إليه الحمص أو العدس أو البنءورة أو البطاطا أو الكوسا أو بعض الأعشاب البرية، وصنع من البرغل والءليب المءمض الكشك ليؤكل بشكل خاص في فصل الشتاء البارد فكان يطبخ لوحءه مع الشحم أو اللحم والبصل أو يضاف إليه البطاطا، كما كان يضاف الكشك إلى البرغل المطبوخ أو المءءرة أو يطبخ مع البطاطا والسلق أو مع الكبة، كما أن الأسرة كانت ءءمون بالءبس والزبيب والءين المءفف والءوز، كما ءمونء بالمقءءاء والءبن والزيتون والمكاءيس والمخللاء، واءءالء ربة البيت بأن اسءفاءء من ءوفر الخضار في فصل الصيف فقامء بءءفيفها كالكوسا والباءنجان والبنءورة والفاصوليا وذلك بعء ءقطيعها أو كبسها في ماء مملء في أو ان فخارية أو زجاجية وءزنءها إلى فصل الشتاء حيث كانت ءءعءم أمءال هذه الخضار بعء مضي موسمها.

أما اللحوم فلا يرد ذكرها في وجبات الأسرة الريفية آنئذ إلا في المناسبات كالأعياد والأفراح وإيفاء النذور، وقامت أغلب الأسر في بيروود بتربية الخراف وتسمينها صيفاً لتذبحها في فصل الخريف ثم يقطع اللحم ويفرم ناعماً ويقلّى بالشحم والدهن ثم كانت النساء تكوره على شكل كرات بحجم البرتقالة وترص هذه الكرات بجانب بعضها على طبق نحاسي حتى تبرد ويتجمد الدهن والشحم، ثم يتم تخزين هذه الكرات في سلال من القش أوترص على أطباق من القش وتحفظ بعيداً عن الحشرات وفي أمكنة قابلة للتهوية وغالباً ما كانت تعلق بحبل إلى سقف بيت المؤونة، وهذا النوع من اللحم كان يدعى (القاورما)، وبعد ذلك كانت ربة البيت وخاصة في أشهر الشتاء تأخذ جزءاً من قطعة القاورما أو كاملها لاستعمالها قليلة في الطبخ، وكانت هذه القاورما يستعاض بها عن اللحم الطازج الغالي الثمن أونادر الوجود في البلدة آنئذ.

إلى جانب البرغل والكشك والقاورما والحبوب كالعدس والحمص واللوبياء والفول اليابس والخضار المجففة كان الدبس يعتبر من أهم الأغذية في الشتاء إلى جانب البطاطا والشحم المملح، والبصل والثوم والسمن والزيت والجبن.

وقامت المرأة وربة البيت البيروودية بدور رئيسي في تموين أسرتها فهي التي تشرف على تربية الدواجن وجمع بيضها وتحلب المواشي وتروب الحليب، وهي التي تذهب إلى الطاحونة لطحن الحبوب، وهي تعجن وتخبز على التتور، وهي المسؤولة عن مؤونة الشتاء من برغل حيث تخزنه في صناديق خشبية كبيرة تدعى

(كناديج) أوفي الخلايا الطينية، وهي تخزن الدبس في جرار فخارية
وتخزن الجبن والمكاديس والمرببات في حلل فخارية أوزجاجية،
كما تخزن الحبوب الجافة كالحمص والفلول والفاصولياء والعدس
واللوبياء في جرار فخارية وأيضاً تستعمل الجرار الفخارية الكبيرة
لخزن الكشك.

أشهر المأكولات

كان أبناء يبرود يعيشون حياة بسيطة ويتناولون طعامهم مما تنتجه أرضهم ومما تدره عليهم بعض حيواناتهم ودواجنهم، وكان كل فصل من فصول السنة يمتاز بمأكولات معينة وذلك حسب مايتوفر في ذلك الفصل من خضار أو حاصلات زراعية أو مما يخزن في بيوت وغرف مؤونتهم، وأغلب مأكولات الشتاء كانت تعتمد على البرغل والكشك والبطاطا والدبس والحبوب بأنواعها، فمن البرغل كان يطبخ البرغل المفلفل أو مع اللحم أو تضاف إليه البطاطا أو الكوسا أو البندورة أو العدس، ومن البرغل يتم صنع الكبة بأنواعها النيئة والمقلية والمشوية والكبة بالكشك أو باللبنية أو كبة الحرما مع عصير العنب الأسود والكبة الحيلة التي تهيأ بدون لحم وأيضاً عروق البطاطا والصرصور وأيضاً يتم حشوة الكوسا وورق العنب أو الملفوف أو السلق بالبرغل، ومن البرغل أيضاً يطبخ الصلص باللبن والملقسة ويصنع منه الدبابة بعد هرسه بجرن حجري وإضافة القنب والشحم إليه.

ويطبخ الكشك لوحده مع اللحم أو الشحم وأيضاً مع البطاطا والسلق والحمص، ويصنع منه مرقاً للكبة، أو يجبل مع مفروم البصل ويضاف إليه الزيتون، والبطاطا أيضاً تعتبر من الأغذية المفضلة صيفاً وشتاءً حيث تؤكل بأشكال متعددة وتدخل في أطعمة متنوعة فتؤكل مسلوقة ومهروسة ومقلية بالزيت ومشوية في

المدافىء أورماد المواعد، والدبس كان يعتبر من الأغذية الرئيسة والمرادفة لكثير من الأكلات وخاصة في أشهر الشتاء، وقلما كانت تخلو مائدة فطور أو غداء أو عشاء من طبق الدبس، وكان يصنع منه بعض الحلويات المحلية كالحلاوة القنبية حيث كان يخلط بعد تسخينه مع القنب المحمص، أو كان يضاف إليه الطحين والسمن العربي ويرفع على النار ويحرك بشكل جيد ومستمر ليصبح حلاوة طيبة المذاق، وكان الدبس أيضاً يضاف إلى القمح المسلوق لتحليلته أو يستعمل لطبخ الحريرة وهي من الدبس وطحين السميد والسمن العربي، أو يطبخ مع فتات الخبز والسمن لصنع المعيقة.

كما أن الحبوب لعبت دوراً كبيراً في مأكولات الشتاء فكانت تملأ جرار الفخار بكميات من الفول والحمص والعدس واللوبياء والفاصولياء، وكانت بعض هذه الحبوب تدخل في بعض الأكلات كالمجدرة والرشته والملقسة.

ومن الأكلات الشعبية أيضاً الطباخ روجو بالبطاطا والبادنجان والبندورة والحمص واللحم وحمض السماق، وحب السماق كان له دوراً في بعض المأكولات كالبيرق والرشته.

أما المأكولات الصيفية فكانت تعتمد على البرغل واللبن والخضار المنتجة محلياً وأنواع الشوربات وبعض المحاشي كالكوسا والبيرق بأوراق الملفوف أو السلق أو ورق العنب، وهناك بعض المأكولات كانت عناصرها من اللبن الرائب كاللبنية بقمح أولينية الذرة والصلص بلبن.

الأزياء

لقد حافظ أبناء يبرود على أزيائهم الموروثة حتى أواخر العقد الخامس من القرن العشرين، حيث أخذت تدخل بعض التبدلات بسبب المؤثرات الوافدة، وخاصة الأزياء التي ارتداها العائدون من بلاد المهجر، ولقد لعبت عوامل عديدة دورها في رسم أزياء رجال يبرود ونسائها وفي مقدمتها الظروف الطبيعية والمناخية والنظرة للحياة والحس الجمالي، كانت أزياء الرجال والنساء تقريباً واحدة بين مسلمي ومسيحيي يبرود، حيث لم يكن هناك أي اختلاف يذكر إلا في لباس الرأس عند الفتيات وقليل من النساء.

البسة الرجال: كان الرجل يلبس قميصاً من الخام البلدي الأبيض أو الأزرق يصل إلى مافوق ركبتيه وتحتة سروال من الخام البلدي الأبيض أو الأزرق أيضاً يربطه بتكة فوق وركبه، وفوق القميص كان الرجل يلبس صدرية من الجوخ أو القطن (بدون أكمام) تزرر بعدة أزرار من الصدر، وغالباً ماكانت تطرز بخيوط الحرير (بريم) وتحت الصدرية السروال (لباس الدك) وهو لباس الوسط حتى الكاحلين، ويصنع من الجوخ أو القطن بلون غامق كالأسود أو الأزرق أو البيج، ويطرز بالحرير الأسود على جيوبه، وعلى أطراف رجليه ويربطه الرجل فوق خصره بتكة من نوعه، ويلبس الرجل فوق الصدرية صدرية ثانية بأكمام ولكن بدون أزرار ومطرزة كالسروال على الصدر والأكمام والقبعة بخيوط الحرير الأسود غالباً.



عجوز في اللباس التقليدي البيرودي

وكان الرجل يتمنطن بالكرم (الزنار) المصنوع من الصوف أوالموصلين وأحياناً من الجلد، حيث كان الكمر القماشي يبطن ويطوى بشكل مائل ويلف حول الخصر دوائر متعددة بحيث تبدو ثيابه من الأمام متدرجة ومنسقة فوق بعضها، وفي طرفيه شريطان يعقدان من الخلف، وفوق هذا كله كان بعض الرجال يلبسون عباءة واسعة مطرزة بخيوط الحرير الطبيعي على صدرها مصنوعة من وبر الجمال وأكمامها إلى المرفق، وفي أيام البرد الشديد يرتدي عباءة من الصوف الأسود الموشح بقليل من البياض وقد يكون نسيجها ذا أقلام سوداء وبيضاء وأكمامها إلى المرفق وتصل إلى مافوق الركبتين ويسمونها (زنارية) وهي خالية من الأزرار

والعروات، وكانت تحزم من الوسط بشرطين صغيرين أوزنار رفيع لئلا تعيق صاحبها عن العمل، وكانت أحياناً تترك مفتوحة سائبة في الحالات العادية والأعياد، وكان قماشها خشناً وينسج من شعر الماعز المبروم أو من الصوف المحلي على أنوال يدوية خشبية كانت منتشرة في بيروود.



زوجين في اللباس التقليدي القديم

أما الشبان فكانوا يرتدون فوق القميص والسرwal الداخليين رداء يدعى (صاية) مصنوعة من الخام البلدي المصبوغ بالأزرق أو من الجوخ أو الكتان وهي واسعة مفتوحة من الأمام تلف الجسم وتربط على الجانب بأزرار من الأعلى وزنار رفيع من الوسط إلى الخلف وكانوا يتمنطقون فوقها بسير من جلد صيفاً أوزنار من الصوف الملون شتاءً، وفوق الصاية كانوا يلبسون صدرية واسعة بأكمام مطرزة بخيوط الحرير وبدون أزرار، وفيما بعد أصبحوا يلبسون الجاكيت وهو من نفس قماش الصاية غالباً، وكانت النساء تطرز لأزواجهن والصبايا لعرضانهن قبة من قماش أبيض تحيط بقبة

الجاكيت تطرز بخيوط حريرية بيضاء أو ملونة مع محرمة مطرزة
من نفس القماش توضع في الجيب الأمامي الصغير للجاكيت على
الصدر الأيسر بحيث يظهر الجزء المطرز منها خارج الجيب، فكان
الشبان يتباهون بذلك.



رجل في اللباس اليرودي التقليدي

وبعض أولاد الأغنياء كانوا يلبسون القميص الأبيض ذا الاردان
المطرزة بالحرير الأبيض فوق سروال من الجوخ.
أما لباس رأس الرجال فكانت الطاقية المشغولة بخيوط الحرير
الأبيض (التنتاة) وفوقها الحطة الحريرية البيضاء أو السوداء وفوقها
العقال البريم الأسود الذي كان يثبتها على الرأس، والرجال يحتذون

في أرجلهم أحذية متنوعة كالخف والشاروخ والمداس والبابوج والكندرة والجزمة والزربول.

لباس الصغار: كان عبارة عن قميص من الخام الأبيض وتحتة سروال أيضاً من الخام الأبيض وفوقها القنباز وهو من القماش القطني أو الكتاني أو اليميني المخطط يصل إلى أعلى الكاحلين ويفتح على الصدر بأزرار وله جيبان في الوسط وجيب صغير على الصدر الأيسر ويحتذي الأطفال في أرجلهم الشواربخ التي تصنع محلياً وذات الوجه الجلدي والنعل السميك ويكون إما من جلود الجمال أو المطاط، وعندما يهترىء قنباز أحد الأطفال كانت والدته تقص أكمامه من وسطهما وجزءاً من أسفله فيصبح شنتياناً يلبسه الصغار تحت القنباز الخارجي وخاصة في فصل الشتاء.

لباس النساء: فقد اختلف مع زي الرجال في شكل لباس الجسم ولباس الرأس والزر كشة والحلي، كما اختلف زي النساء فيما بينهن ما بين الغنية والفقيرة والمتزوجة والعازبة، إلا أن العام في لباسهن كانت البدلة التي صنعت من الجوخ أو المخمل أو الحرير وتتألف من قطعتين منفصلتين، عليا ضيقة تبعث الدفء وسفلى عريضة واسعة لتساعد المرأة على السير والحركة، وتزين من الأسفل بدروب من المطرقات المتموجة والمتكسرة بخيوط من ألوان تتماشى مع لون الثوب، وعلى الصدر عدة ثنيات مستقيمة ومتوازية أودروب من المطرقات ذات مواضع مختلفة كالورود والزهور، وكانت البدلة تفتح عند الصدر من ناحية اليمين بأزرار.



امراتان في لباس الرأس التقليدي

وهناك أيضاً التنورة وهي رداء من الجوخ أو المخمل أو الموصلين ضيقة عند الصدر وبدون أكمام وتتسع في الأسفل، وكانت النساء تلبس أيضاً القطشية وهي من لباس الجزع إلا أنها نصفية، من الأمام عريضة وواسعة وذات أكمام طويلة في غاية الروعة من حيث التطريز، ولم يكن لها أزرار فتبقى مفتوحة على الدوام، وتزين بزخارف كثيرة ومطرزات، وتلبسها المرأة فوق ثوبها الرئيسي الطويل.



فتاة في اللباس التقليدي

كما كانت المرأة تلبس السركس وهو عبارة عن قطعة واحدة ضيقة عند الصدر والخصر ثم تصبح واسعة وعريضة، وتصنع من القطن أو الكتان أو الموصلين وقماشها إما سادة أو مطبع، وهناك ثياب داخلية

كانت ترتديها النساء وهي عبارة عن ثوب عريض يأتي مباشرة بعد الأثواب الخارجية يليها قميص نصفي عريض وطويل وتحت سروال طويل ضيق أو عريض يصل إلى أسفل القدمين ويعقد بتكة تربطه المرأة من الخلف على وسطها ليوفر لها الدفء ويغطي ساقيها ويكون مطرزاً في الأسفل أو مشرف بشريط مكسر من نفس القماش.

وتربط المرأة على خصرها وتحت ثوبها الخارجي (الجيب) وهو عبارة عن كيس قماش له شريطان طويلان يلتفان حول الخصر ويعقدان مع بعضهما، حيث كانت النساء تضع في هذا الجيب مفتاح بيت مؤونتها وبعض حاجاتها الخاصة ونقودها.

أما لباس الرأس عند النساء المتزوجات فكان العصبة والمنديل الطويل، والعصبة كانت قطعة مربعة الشكل من الحرير الطبيعي ذات لون أسود مطعمة بالخيوط الذهبية أو الفضية في خطوط مستقيمة ولها أهداب حريرية على جميع أطرافها، تطوى باتجاه أحد القطرين، ثم تطبق بانتظام حول الرأس دورين أو أكثر بحيث تظهر خيوط الفضة أو القصب واضحة من الأمام ثم تعقد أطرافها من أحد الجانبين، ولقد سعت النساء لجعل العصبة عريضة ومرتفعة من الأمام حيث كانت تبطن من الداخل ليبدو شكل الرأس أكثر كبراً وفخامة مما يزيد المرأة مهابة وجمالاً، وفوق العصبة تلبس المتزوجات المنديل ذا اللون القرمزي أو المطبوع وهو غطاء رقيق مؤلف من قطعة مستطيلة الشكل تسبل فوق العصبة فتغطيها جزئياً ويردف قسم منها إلى الخلف ليلف العنق وجزءاً من الوجه والكتفين، ويطول المنديل حتى يصل إلى الأرض وقد يرفع هذا المنديل إلى الوسط ويعلق بواسطة زنار.



فتاة في لباس الرأس بعد الزواج

أما لباس رأس الفتيات غير المتزوجات فكان الشاشية والمنديل الأبيض، والشاشية عبارة عن مربع من الحرير الرقيق ذو اللون الوردي أو الأصفر أو الأحمر أو الأزرق أو الزهر يطرز على ضلعين متجاورين فيه بمطرزات جميلة من الخرز أو بخيوط حريرية لتشكل منها حبات الكرز أو زهر المشمش وغيرها، ثم تطوي الشاشية باتجاه أحد القطرين وتطبق بانتظام على الرأس وتلف وتعد على أحد الجانبين بحيث تظهر الأهداب المطرزة أو أشغال الخرز من الأمام في مقدمة الرأس ثم تسبل الفتيات المنديل الأبيض القطني الرقيق فوق الشاشية ويلف حول الرقبة ويغطي

الجزء الأوسط الخلفي من الرأس والكتفين، ويطول هذا المنديل ليصل إلى ماتحت الوسط قليلاً.

وهناك لباس للرأس يدعى (السملد) وهو عبارة عن قطعة مربعة من قماش الحرير الشفاف مشغول على أطرافه الأربعة بزخارف جميلة من الخرز أو الودع الناعم أو البريق وكانت تلبسه الفتيات الصغيرات المدللات أو العروسة بعد زفافها في المنزل وأغلب النساء في بيوتهن بعد خروجهن من الحمام.

أما أحذية النساء فكانت الصرماية التي تلبسها العجائز والبابوج والكندرة والشحاطة والقبقاب لباقي النسوة كباراً وصغراً.



لباس رأس فتاة قبل الزواج

بيروود في رمضان والأعياد

لشهر رمضان نكهته الخاصة في بيروود، فقلما تجد فيها مفطراً ممن بلغ الثانية عشرة من عمره وما فوق من مسلميها، حتى في أشد أيام الصيف حرارة، وكان الصيام لايقعد الناس عن مزاوله أعمالهم، سواء في الحصاد أوالدراس أوجني أي محصول، ومن المعيب جداً أن يجهر أحد بالافطار في هذا الشهر الكريم.

كان الصائمون وبعد عمل يوم مضمّن وبعد أذان المغرب يلتقون حول موائد الافطار، وبعد راحة قصيرة يخرج الشبان ليلتقوا مع أترابهم في ساحة أو على باب دكان أوفي مكان محبب لهم حيث يقضون ساعة أو ساعتين في المسامرة والأحاديث والتندر وتناقل الأخبار، وأكثرهم من يؤم المساجد لأداء فريضة صلاة المغرب والعشاء والتراويح ثم يعود كل إلى بيته ليسهر مع أسرته قليلاً ثم ينام بانتظار السحور، أما الكبار فبعد أداء الصلاة فإما أن ينهوا سهراتهم في مضافة (منزول) الشيخ أوالمختار أوأحد الوجهاء أويتبادلوا السهرات في بيوت بعضهم أويسهر كل منهم في بيته مع أسرته، ثم ينامون مبكرين انتظاراً للسحور.

لكل حي من أحياء بيروود كان له مسحره المعروف حيث يقوم قبل صلاة الفجر بحوالي الساعتين ويحمل طبله الكبير ويضرب عليه ضربات قوية وهو يدور في الأزقة والطرق لتنبية الناس من النوم ليستيقظوا ويتناولوا سحورهم ويقوموا لصلاة الفجر، وكان

المسحر يردد عبارات دينية وبعض المدائح النبوية بصوته
الجمهوري مثل: وحدوا الله - لا إله إلا الله - ياناييم وحد الله - أوينشد
بعض القصائد الدينية مثل:

بأول الليل حلوا شعورهم حلوا

وبآخار الليل ع قبر النبي صلوا

لولاك يا محمد لابنوا جامع ولاصلوا

وهكذا حيث كان يتسابق إليه بعض الصغار طالبين منه قرع
الطبل بضع قرعات، فيسمح لهم بذلك فينقدونه بعض دريهمات
أوبعض فاكهة الموسم أوغيرها.

وخلال هذا الشهر كان رب كل أسرة يوزع على فقراء حيه
مايجب عليه ويفرضه عليه الدين من زكاة الفطر وهي مقدار رطل
من الحبوب عن كل فرد من أفراد أسرته، كما يدفع للمسحر ماتجود
به نفسه، وتمضي أيام رمضان وخلال ذلك تأخذ كل أسرة للتهيئة
لعيد الفطر بشراء لوزام العيد وشراء القماش للصغار والكبار
لخياطتها قنابيز وشراويل وقمصان وصايات وتنانير وفساتين للبنات
والنساء. وأحذية للصغار والكبار.

وقبل العيد بأسبوع تنشغل ربات البيوت في طينة جدران منازلهم
وتبييضها بالحوارة، كما أن كل ربة بيت كانت تدعو جاراتها
لمساعدتها في فتل شعيرية العجين ونشرها على أطباق من القش
وتعريضها لأشعة الشمس حتى تجف، حيث تقلى بالسمن العربي مع
الرز المفلفل الذي لا يؤكل إلا في الاعياد والمناسبات.

وقبل العيد بيومين تقوم ربة الأسرة بمصاحبة بناتها وأطفالها الصغار إلى (حمام الضيعة) حيث كان يوجد في يبرود ثلاثة حمامات عامة هي حمام الرويس وحمام الخضر وحمام القاعة، كما كان الأب يقوم أيضاً بأخذ أولاده البالغين أيضاً إلى الحمام بعد حلق شعر رؤوسهم استعداداً للعيد.

وكانت النساء تخرج قبل العيد بيوم أو يومين إلى المقابر لتزيين القبور وطلائها بالحوارة، وربط بعض أوراق النباتات الخضراء وبعض الورود حول شاهدة القبر بشرائط قماشية كما تقوم برش الماء حول القبر استعداداً لزيارتها في صبيحة اليوم الأول للعيد.

وفي آخر يوم من رمضان وعندما يثبت العيد يصعد المؤذنون وبعض الشباب من ذوي الأصوات الجميلة إلى مآذن المساجد مساءً ويبدؤون في التهليل والتكبير إيذاناً بالعيد، فيفرح الجميع ويباركون لبعضهم بالعيد ويتبادلون التهاني والتمنيات.

في تلك الليلة كانت أغلب النساء تسهر طوال الليل وهي تقوم بأعمال كثيرة منها نقل مياه الشرب إلى الدار وإتمام تنظيف منازلهم ورش المياه على الأبواب بعد كنس الأزقة والطرق من قبل نساء منازل تلك الأزقة والطرق مجتمعات، أو تقضي المرأة الليل في تهيئة وتجهيز ثياب أولادها حتى يظهر بيتها بالمظهر اللائق صبيحة العيد.



منظر المقبرة في أحد الأعياد

وفي صبيحة العيد يستيقظ أفراد الأسرة فجراً ويلبس الرجال والشباب أفضل ما عندهم من ثياب ويذهبون إلى المساجد لأداء فريضة صلاة العيد، والتهليل والتكبير ترتفع أصدائه في المآذن إذ يقوم بذلك المؤذنون وبعض من ذوي الأصوات الحسنة، بينما تستعد النساء لزيارة المقابر وكل منهن تحمل وعاء تضع فيه أرغفة الخبز والرز المفلفل وأقراص الحلو لتوزيعها عن أرواح الأموات من أقاربهن على الفقراء والشحاذين الذين يكثرون في مثل هذه المناسبات في المقابر، ثم تعود كل من النساء إلى منزلها قبل زيارة الرجال للمقبرة إثر خروجهم من المساجد بعد صلاة العيد وسماع خطبة العيد حيث ينطلق الرجال إلى المقبرة لزيارة قبور أمواتهم

وقراءة الفاتحة ويوزع كل ماتجود به نفسه وحسب استطاعته بعض
فكاكة العملة الدارجة على الفقراء والشحاذين المتواجدين على باب
المقبرة وداخلها، وبعد زيارة المقبرة والعودة منها، يذهب الرجال
لمعايدة المشايخ والمختير والوجهاء وكبار علائقتهم حيث يكون
هؤلاء قد أعد كل منهم في بيته مائدة العيد، وغالباً ماكانت من الرز
المفلل والشاكرية والكبة، وكانت هذه الموائد تبقى منصوبة من
الصباح وحتى المساء في بيوت هؤلاء الوجهاء ويتبادل الناس
التهناني بالعيد بعبارات كلها أمنيات بالخير والصحة وعودة الغائبين
بالسلامة وأداء فريضة الحج والفرح بالأبناء، مثل كل عام وأنتم
بخير، ربنا يعيده عليكم وعلى أولادكم بالصحة والسلامة، ربنا يعيد
غيايكم بالسلامة، إن شاء الله تكونوا العيد الجاي على عرفات،
فيكون الجواب: وأنتم بخير وبرفقتكم إن شاء الله، الله بفرحنا
ويفرحكم بأولادكم، وهكذا...

وكان الرجال والأغنياء يعطون كل من الأطفال الصغار في
البيت الذي يعايدون أهله قطعة من النقود الرائجة في ذلك الوقت
مثل المصرية والبارة والنحاسة والقرش والفرنك كما كان الصغار
ينتظرون عودة آبائهم أوزيارة أقاربهم لينالوا نصيبهم من العيدية،
حيث تتم فرحتهم وسرورهم فيسرحون في الأزقة والطرقات لشراء
القضامة المالحة والقضامة على سكر وحلي سنونك وبعض
مايعجزون عن شرائه في غير أيام العيد، وكان يكثر في تلك الأيام
الباعة المتجولين، وكان الكبار من الفتيان يلعبون بالبيض المسلوق
والملون كما كان من مكملات العيد عند هؤلاء الخروج من البلدة

على شكل زرافات إلى قرينا والتنزه في المرج وحول البحيرة والفرجة على بعض مسابقات يجريها الأشداء من الشبان كرفع الحجارة وسباق الخيل، وكان هؤلاء الفتيان يتلهون بشراء المكسرات وبعض أنواع السكاكر وشرب الدخان حيث يكثر بائعو البسطات الذين يفرشون بضائعهم على أطراف ساحة قرينا ويطلقون النداءات ترويحاً لبضائعهم، وكان من واجب كل أسرة أن تزور جيرانها وأقاربها وأصدقاءها للمعايدة وكانت جميع الخلافات والنزاعات تختفي وتزول عندما يحل العيد حيث كان التواصل والمودة تعود وتسود الألفة بين الجميع ولا يبقى للجفاء من أثر بين الأفراد والأسر، وكانت عبارات المعايدة متبادلة بين الجميع وكل يتمنى السعادة والصحة والخير والعمر المديد لغيره.

وكانت ضيافة العيد القهوة المرة والسكاكر والجوز والزبيب والمكسرات والأقراص، وكانت أيام العيد عطلة للجميع إلا بعض المضطرين لسقاية حقولهم أو ماشابه ذلك، وبعد أن تنتقضي أيام العيد الثلاثة يعود كل إلى مزاولة عمله.

ومثل هذه العادات تتم أيضاً في عيد الأضحى إلا أن بعض العائلات تقوم بعد صلاة ذلك العيد بذبح الأضاحي من خراف أوثيران أو جمال، وحينها تتم دعوة بعض المشايخ والجيران والأقارب فيقوم الجميع بالتهليل والتكبير قبل الذبح حيث تزين الدابة المراد ذبحها، وبعد الذبح يتم تقطيع الأضحية وتوزيعها على الجيران والأقارب والفقراء، وكان الفقراء في هذا العيد يعوضون حرمانهم من أكل اللحم حيث يكون نصيبهم وافرأ من لحم الأضاحي.

الأعياد الصغيرة ونوبات مشايخ الزوايا

كان من عادة مسلمي يبرود أن يحتفلوا بعيدين ثانويين، هما خميس الأموات وخميس الخمسان الذي يلي خميس الأموات ويتزامن مع خميس الأسرار عند الطوائف المسيحية والخميس الذي يسبقه.

ففي خميس الأموات كانت نساء المسلمين يستيقظن بعد شروق الشمس بعد أن يكن قد جهزن وعاء من القش أو النحاس وملأه بالخبز وأقراص الكبة المقلية أو الخبز والرز المفلفل ثم يضعن هذه الأوعية على رؤوسهن ويحملن باقات الورد أو بعض أوراق نباتات الزينة المتوفرة في بيوتهن ويذهبن زرافات ووجدانا إلى المقبرة لزيارة قبور الأموات وتوزيع ما يحملنه على الفقراء والشحاذين الذين يكونون قد هيوأوا أنفسهم وأخذوا أمكنتهم خلف باب المقبرة أو يطوفون على القبور لتلقي إحسان النساء اللواتي تجلس كل منهن بجانب القبر الذي يخص أقرباءها حيث توزع هؤلاء النسوة ما يحملن من طعام على الفقراء والشحاذين صدقة عن أرواح الأموات، وبعد ذلك تعود كل امرأة إلى منزلها بعد أن تكون قد زينت شاهدة قبر قريبها أو قريبتها بالورد وأوراق نباتات الزينة الخضراء.

وفي ذلك الأسبوع كانت معظم عائلات يبرود تقوم بصناعة الأقراص (أشهر حلويات يبرود)، حيث تقوم نساء كل بيت بعجن مد أومدين من طحين قمح السقي بعد مزجه مع السكر والحليب والسمن العربي وبعض البهارات التي تكسبه نكهة طيبة المذاق

كالمحلب وغيره، وأحياناً كانت تتعاون أكثر من واحدة في العجن أو يطلبن مساعدة بعض الشباب من أبناء الأسرة من ذوي السواعد القوية، وكانت الأسرة تقوم بدعوة بعض الشبان والفتيات المقربين منها من أبناء الأصدقاء والجيران والأقارب حيث كان هؤلاء يلبون أمثال هذه الدعوات بكل فرح وسرور، حيث يتسابق الجميع في طبع هذا العجين على ألواح خشبية دائرية مختلفة الأحجام محفورة بزخارف هندسية جميلة على وجه واحد منها يدعى الواحد منها (طابع)، كان الجميع يجلسون متجاورين يتحلقون حول مفرش كبير من القماش ويأخذ كل طابعه، وتتناول ربة البيت كمية من العجين وتقوم بتقطيعها وقد تساعدوا إحداها بتكوير هذه الأجزاء على شكل كرات ثم تلقي بها إلى الشبان والفتيات الذين يقومون برص هذا العجين على الوجه المزخرف من الطابع بعد دهنه بالسمن العربي المذاب والموضوع في وعاء أمامهم، ويقوم كل منهم بتسوية العجين بأصابعه وبسرعة ويتسابق الجميع في ذلك ثم يغرسون في العجين الذي أخذ شكل القرص شوكة عدة غرسات ثم ينفذ كل منهم الطابع الخشبي على المفرش لينزل منه قرص العجين حين تكون الزخارف التي طبعت عليه إلى الأعلى، وعندما يتوفر كمية من هذه الأقراص تقوم إحدى الفتيات بجمعها بهدوء وإتقان ورصفها على مفرش من القش أو صدر من النحاس وترفعه إلى رأسها وتنقله إلى الفرن ليتم شواؤها وتبعث منها خلال ذلك رائحة زكية مميزة عطرة تفتح الشهية وتسيل اللعاب وتصل إلى مسافة بعيدة، وأثناء عملية طبع الأقراص هذه حيث تجرى المنافسة بين الشبان والفتيات وتبادل الأحاديث والفكاهات وقد يجري بعض الهمس واللمز وتبادل

نظرات الاعجاب بين الشبان والفتيات وقد ينقضي الليل بكامله والكل في عمل كله بهجة وسعادة وسرور، ويقوم بعض الشبان بحراسة الفتيات اللاتي ينقلن الأقراص إلى الفرن ثم العودة بالأقراص المشوية إذا كان الوقت ليلاً وهذا على الغالب ما يكون، وعندما تنهي الأسرة طبع العجين بكامله كانت ربة البيت تشكر الجميع وتحلف أن ينال كل نصيبه من الأقراص المشوية، وبعد ذلك تقوم بتوزيع الأقراص على الجيران والأقارب والأصدقاء وعلى الأسر الفقيرة كل بحسب عدد أفرادها، وكانت جميع الأسر تتبادل تهادي الأقراص فيما بينها حيث يشكل هذا نوعاً من الألفة والمحبة بين الجيران والمعارف والأقارب والأصدقاء.

وكانت الأسرة الفقيرة تنال نصيباً كبيراً من هدايا الجيران وأهل الحي بكامله فلا تشعر بلوعة الحرمان، كما أنه للشحاذين نصيبهم وخاصة عندما توزع عليهم في عيد خميس الخمسان الذي يلي خميس الأموات مباشرة حيث كانت جميع الأسر تقوم بسلق البيض وصبغه بألوان شتى ثم توزعه على الأولاد ليخرجوا إلى الشوارع والطرق وهم في أبهى زينة وأجمل ثياب حيث تجري مسابقة كسر البيض (المفاقة) فيما بينهم فمن تكون قشرة بيضته أصلب وقادرة على كسر قشرة غيرها يكون نصيبه أكبر من الربح، كما أن النساء تقوم في هذا اليوم بزيارة قبور الأموات في المقبرة وتوزيع ما يحملنه من مأكولات وأقراص على الفقراء والشحاذين المتواجدين في المقبرة وتكون النساء قد قمن قبل ذلك اليوم بطلاء القبور بالحوارة البيضاء وتزيين شواهد القبور بالأزهار وأوراق النباتات الخضراء.

وفي ضحى ذلك اليوم يقوم شيوخ الطرق الصوفية ومشايخ الزوايا وأتباعهم باحتفالات النوبة وذلك بقرع الطبول والضرب على المزاهر والصنوج وحمل الأعلام والسناجق وكان شيخ الزاوية يركب على دابة مزينة يقودها أحد الأتباع وغالباً مايكون ذا صوت جميل حيث كان ينشد للشيخ خلف السنجق بعض الأوراد والأناشيد الدينية، ويصطف الجميع ويسيرون في موكب حافل تعلو فيه أصوات وحناجر الرجال والشباب بالأناشيد والتهليلات والأنغام المختصة بهذه (النوبة) منها أنشودة في مطلعها:

صلي ياربي وسلم على النبي أحمد المختار طه العربي

وكانت أصوات قرع الطبول والمزاهر والصنوج ترتفع وتسرع أحياناً وتخفت أحياناً حسب إشارة الشيخ أو هزة من رأسه، وكان الصغار من فتيان وفتيات يلحقون بالنوبات التي تدور في الشوارع الرئيسية في البلدة، وأحياناً كانت تلتقي نوبتان في شارع واحد حيث تقف كل منهما بمواجهة الأخرى للتحية، وتقرع الطبول والصنوج بسرعة وبقوة وينزل كلا الشيخين عن دوابهما حيث يقبلان رؤوس بعضهما ثم يعود كل منهما إلى الركوب وتسير كل نوبة في اتجاهها وعندما كانت النوبة تصل إلى إحدى الساحات كان يقف الأتباع والشبان متلاصقي المناكب متراسي الأكتاف ويقيمون ذكراً برفع أصواتهم (الله الله الله حي)، (الله حي قيوم)، وكان لكل من هذه الأدوار لهجة ونغمة خاصة، حيث كان يترجل الشيخ عن دابته ويقف وسط الحلقة يحمل عصاه فيلتفت إلى اليمين ويميل قليلاً قائلاً: الله ثم إلى اليسار كذلك قائلاً: الله، أو الله حي، فيتبعه أفراد الحلقة بالقول والميل والانحناء وهم يؤلفون كتلة واحدة متماسكة وأحياناً يسرع

الشيخ في حركته ولهجته رويداً رويداً مما يجعل أفراد الحلقة يقلدونه في السرعة والحركة ويقومون باهتزازات سريعة، وأحياناً يأخذ الحال بعضهم بنشوة الذكر حيث يبلغون حد الغيبوبة وهم يقومون بذكر الله وحركات الوسط الأعلى من الجسم من اليمين إلى اليسار وبالعكس أو إلى الأمام والأعلى، وهؤلاء يتركون لفترة حتى يصحوا من غشيتهم فكان الشيخ يلامس بيده صدورهم ويهزهم قليلاً، وفي أثناء ذلك كان ذوو الأصوات الجميلة يقومون بإنشاد المدائح النبوية حيث يتم فيها توحيد الله ومدح النبي والأولياء، فيطرب بها أفراد الذكر وتأخذهم النشوة والغيبوبة (الحال)، وكان المشايخ يضربون أنفسهم بالشيش أو السيوف أو يضربون بعض أتباعهم وتلاميذتهم بإدخال هذه النصال (الشيش) في البطون أو الوجوه أوفي جلد الرقبة قرب الحنجرة، ثم يسحبونها وبعد ذلك يعود الشباب والأتباع إلى حمل الأعلام والسناجق والضرب على الطبول والمزاهر والصنوج، وأحياناً كان ينبطح بعض الرجال على بطونهم على الأرض صفّاً واحداً متلاصقين وتصف بجانبهم الطبول والمزاهر ويقف بجانب رؤوسهم وأرجلهم صفان من الرجال فيمر الشيخ وهو ممتطياً دابته دون أن يلحق بأحد منهم الأذى أو يتمزق طبل أو مزهر، وهذه تدعى (الدوسة)، وهنا تزغرد النساء اللواتي يتفرجن أويقفن على أسطح المنازل المجاورة أوفي النوافذ، ثم تقررع الطبول والصنوج بأعلى صوتهما مع ارتفاع أصوات التهليل والتكبير ثم تعود النوبة إلى زاويتها، وقد تعتمد بعض النساء الواقفات على الشرفات أو النوافذ وعندما يصل السنجق إلى قربهن يربط المناديل الملونة بأحد أطرافه طلباً للشفاء من مرض أو الخلاص من مآزق أو تخلصاً من دين أول للتبرك.



نوبة أحد شيوخ الزوايا أخذت عام ١٩٣٢م في إحدى ساحات يبرود

وكان في يبرود في النصف الأول من القرن العشرين سبع نوبات هي (نوبة الشيخ بهاء الدين ياسين) وهي أكبرها ونوبة (الشيخ محمد عبد الحليم) ونوبة (الشيخ نجيب حربوشا) ونوبة (الشيخ وجيه الرفاعي) ونوبة (آل كريكر) ونوبة (آل الرفاعي قدور) ونوبة (الشيخ صالح الخطيب).

وكانت هذه النوبات تقوم بالاحتفال في الأعياد والمناسبات الدينية كعيد مولد النبي محمد (ص).

أعياد المسيحيين

أعياد المسيحيين كثيرة، فقلما يمضي أسبوع ولايقع فيه عيد أحد القديسين أوذكرى لأحد الأسرار المقدسة، فيقام العيد بقداس في الصباح في الكنيسة، ولعل من أهم الأعياد وأكبرها عندهم هو عيد الفصح المجيد، والذي يأتي بعد صيام سبعة أسابيع، حيث يصوم المسيحيون تماماً عن الطعام والشراب من الساعة الثانية عشرة ليلاً وحتى الساعة الثانية عشرة ظهراً، وبعدها يفطرون ولايأكلون سوى الأطعمة المقلات بالزيت وينقطعون عن أكل اللحوم بأنواعها والألبان ومشتقاتها والبيض، عدا المرضى منهم الذين يأذن لهم الكاهن في الافطار وتناول مايشأون من طعام.

في الأحد الثالث من الصيام الكبير يحتفلون بأحد الزهور، كان صغارهم يلبسون الألبسة الجديدة ويزينونهم ويحملونهم أغصان الزيتون ويعلقون عليها الشموع الصغيرة ويذهبون بهم إلى الكنيسة حيث يقام القداس ويترنم الجميع بترانيم دينية روحية مثل: المجد لله في العلا وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة...

في الأحد السادس من الصوم والذي يدعى أحد الشعانين يفعلون مثل ذلك، وبعد القداس الصباحي كان الأطفال يتبادلون رش المياه على بعضهم البعض من أوان كانوا يملؤونها من ماء النهر وهم يتضحكون ويمرحون.

وفي الأسبوع الأخير من الصوم يحتفل المسيحيون بخميس الأسرار (سر التجسد) حيث يذهب الجميع إلى الكنيسة صباحاً ومساءً للصلاة ويترنمون بترانيم روحية ويرتل الكاهن بعضاً من فقرات الانجيل، وبعد القداس يقوم الكاهن على رأس رجال الدين بالدوران في بهو الكنيسة الداخلي ثلاث مرات للبحث عن المسيح ثم ينهون ذلك بالتراتيل والترانيم.

وفي صبيحة اليوم التالي والذي يدعى يوم الجمعة العظيمة يذهب النساء والرجال إلى المقبرة لزيارة قبور الموتى وبعد القداس في الكنيسة يتم انزال المسيح عن الصليب ويوضع في التابوت حتى مساء ذلك اليوم حيث تقام صلاة الجناز للمسيح عليه السلام وتتلّى الترانيم والتراتيل ثم يقوم الشبان بحمل التابوت والدوران به ثلاث مرات داخل الكنيسة ثم يقرأ الكاهن فقرات من الانجيل وفيها قصة صلب المسيح عليه الصلاة والسلام.

وفي اليوم التالي والذي يدعى سبت النور حيث يتم الافطار في الساعة الثانية عشرة ظهراً وبذلك يكون انتهاء الصوم الكبير فيأكل المسيحيون ما لذ لهم وما حرموا منه في سبعة أسابيع.

وعند صباح يوم الأحد يقام قداس احتفالي كبير في الكنيسة وهو قداس أحد الفصح ويعود المسيحيون بعده إلى بيوتهم والفرحة تغمر نفوسهم وقلوبهم ليتناولوا طعام العيد والذي كان محرماً عليهم جميعاً مدة سبعة أسابيع، ويوزع الأهل على أولادهم البيض المسلوق والمصبوغ بألوان زاهية، فيقضي هؤلاء الصغار نهارهم يلعبون بالبيض ويذهب الرجال لمعايدة الكاهن، وتتبادل الأسر المسيحية

الزيارات فيما بينها للتهنئة بالعيد وتقديم المعايدة قائلين: المسيح قام، فيجيبهم أصحاب البيت: حقاً قام، العيد الآتي تفرحوا بأولادكم، فيكون الجواب: وبأولادكم إن شاء الله.

أما أعياد الميلاد فكانت تبدأ فيها الاحتفالات في مساء اليوم السابق لذكرى الميلاد والموافق للرابع والعشرين من شهر كانون الأول من كل عام حيث تتم صلاة المسيحيين في الكنيسة بإقامة قداس وتزيين شجرة الميلاد بالزهور والشموع، وفي صبيحة عيد الميلاد يتوافد المسيحيون إلى الكنيسة حيث كان يقام القداس الكبير ويتلو رجال الدين الصلوات والترانيم والتراتيل الدينية، وبعد القداس تتزاور العائلات فيما بينها لتقديم التهاني بعيد الميلاد وغالباً ما كان الأسبوع الذي يقع فيه عيد الميلاد يترافق مع اشتداد البرد وتساقط الثلوج والتي كانت تغطي ببرود والمنطقة بكاملها.

تاريخ الهجرة من يبرود

منذ فجر التاريخ انطلقت قبائل وجماعات من شبه الجزيرة العربية على شكل هجرات متلاحقة ومتعددة باتجاه المناطق الأكثر خصوبة والأوفر ماء، حيث استقرت بشكل دائم في بلاد الرافدين وبلاد الشام ووادي النيل والقرن الإفريقي والمغرب العربي، وشأن هذه الأمة هو شأن ابن يبرود المغامر الذي ركب البحار وعبر المحيطات وهاجر من بلده إلى عالم جديد يقع على الطرف الآخر من الكرة الأرضية، وخط رحاله على أرض القارة الأميركية في تلك البلاد الغربية عنه بيئة ولغة وعادات وتقاليد حيث استقر في أحد أقطار تلك القارة ولم تمض فترة إلا وحقق وجوداً ونجاحاً منقطع النظير، وهذا لأكبر برهان على ما تكنه نفسه من قوة جياشة وحيوية متوثبة وطاقات ضخمة وامكانيات خلاقية.

فما الذي دفع شباب وأبناء يبرود إلى الهجرة وترك أوطانهم؟ لا بد أنها الأوضاع الاقتصادية السيئة التي كانت تخيم على أرض الوطن من فقر وجهل ومرض في ظل الحكم العثماني الذي خيم على الوطن العربي لأربعة قرون وساقه إلى العزلة والتخلف والجوع والاستبداد، حيث كان العثمانيون يسلبون أبناء الوطن العربي قوت يومهم وقوت عيالهم ويسوقون أولادهم إلى الخدمة العسكرية الإجبارية ويبعدونهم لأعوام عن أهلهم وذويهم ويرسلون بهم إلى بلاد الأناضول والبلقان أو اليمن ويزجونهم في حروب

ومعارك لأناقة للعرب فيها ولاجمل، حيث أن الدولة العثمانية كانت طوال عمرها مشغولة بإخماد ثورات الشعوب التي كانت ترزخ تحت وطأة الحكم العثماني، فثارت لنيل استقلالها وحريتها، فزجت السلطة العثمانية بالجنود العرب لآخماد ثورات هذه الشعوب المستعبدة فكان هؤلاء الجنود العرب وقود تلك الحروب والمعارك وقليل منهم من كانت تكتب له العودة إلى أهله، إن عاد فهو متقل بالعاهات والأمراض، لهذا كله فضل شبان هذه المنطقة الهجرة فراراً من الفقر والفاقة والاستبداد التركي ومن الارهاق بالضرائب التي كانت تفرض عليهم، فغامروا وارتحلوا، وكان المهاجر منهم جلدأً صبوراً بنى نفسه وأثبت وجوده في ديار الغرب، وإن أغلب هؤلاء المهاجرين بعد وصولهم إلى ديار الغرب تلك عملوا بائعين متجولين يحملون (الكشة)^١ على ظهورهم ويطوفون في أزقة وشوارع المدن يعرضون بضائعهم ذات الثمن البخس التي لا تتطلب رأس مال كبير، ثم يخرجون بها إلى ضواحي المدن ويتجولون في قرى الريف حيث كانوا يعانون أشد الصعوبات والمشاق وكثيراً ماكانوا ينامون في الطرقات والغابات ويتعرضون لعناصر الطبيعة القاسية وهجمات الوحوش وقطاع الطرق، يتحملون كل ذلك حتى تثبت أقدامهم وتتمكن ألسنتهم من اللغة، وكانوا يتخطون الصعاب بمهارة وذكاء وجرأة، ولم تمض فترة حتى اكتسب هؤلاء المغامرون سمعة حسنة، وتحولوا إلى تأسيس المتاجر حيث درت عليهم أعمالهم ربحاً وفيراً أخذوا يرسلون بعضاً منه لذويهم في

^١ - صندوق يحمل على الظهر بواسطة سير على الكتف ويحتوي على البضاعة والأشياء المعروضة للبيع.

يبرود ليعينهم على متاعب الحياة، وكان صدى نجاح هؤلاء المغتربين الأولين وأحياناً عودة بعضهم إلى الوطن كبيراً وفعالاً إذ ولّد الغيرة في النفوس وحمل الآباء على دفع أبنائهم إلى الهجرة، فكان المغتربون الأولون يستقبلون أبناء عموماتهم وأبناء بلدتهم وأخوتهم ويوفرون لهم العمل ويساعدونهم على الاستقرار في تلك البلاد، وكثر عدد المغتربين من أبناء يبرود ومنهم من جعل بلاد المهجر مستقراً له، فتزوج وأنجب الأولاد، وأصبحت صلته بالأهل في يبرود من خلال الرسائل والحوالات المالية التي كان يرسلها لأعانتهم ومنهم وهم القلة عاد ليستقر في بلده ويقيم بين أهله.

وقد كون المغتربون من أبناء يبرود في بلاد المهجر جالية يبرودية يزيد عدد أفرادها على عشرة آلاف نسمة، لهم أنديتهم وجمعيتهم الخاصة، وكثير منهم من أصبح من أصحاب الفعاليات الاقتصادية الكبيرة في تلك الأقطار، ومنهم من شيد البنايات الشامخة والناطحات الشاهقة ومنهم من أنشأ المزارع الواسعة ومنهم من أقام المعامل الضخمة وكثير منهم أمسك بناصرية التجارة التي تهيمن على جزء كبير من اقتصاديات البلاد، ومنهم من دخل معترك السياسة فأصبح بعضهم وزراء وبعضهم رؤساء بلديات وولايات ورؤساء دول وبعضهم أعضاء في مجالس شيوخ ونواباً وأستاذة جامعات وأطباء ومدراء مصارف وضباطاً في الجيش ومبعوثين سياسيين وموظفين رئيسيين.

كما أصبح لبعضهم باع طويل في ميدان الفكر والأدب والصحافة فكانوا فرساناً وأعلاماً في ميادينهم حيث غدوا الأدب المهجري

بملاحمتهم الشعرية ومقالاتهم الأدبية والفكرية، وجميعهم كانوا يعيشون أحداث الوطن بآلامهم وآمالهم، وإن أية نكبة كانت تحل بأرض الوطن يتردد لها صدى كبير في نفوسهم.

وازدادت الهجرة قبل وإثر قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م وبعد نشوب الثورة السورية الكبرى ضد الاستعمار الفرنسي عام ١٩٢٥م.

كان لهجرة هؤلاء المغتربين ايجابيات عديدة انعكست على مدينة بيروت، إذ أن الأموال التي كان يرسلها هؤلاء المغتربون إلى ذويهم كانت تزيد من الدخل وتوفر بعض أسباب العيش والرفاه لهم كما أن كثيراً من هؤلاء الأهل كانوا يعيشون على الأموال التي تأتيهم من أولادهم المهاجرين، وقد شكل مغتربو بيروت في الأرجنتين جمعية فيما بينهم لتقديم بعض الخدمات لبلدتهم فكانوا يرسلون إلى تلامذة مدارس بيروت الكثير من أدوات القرطاسية المدرسية، كما تبرعوا بثياب فرق الكشافة والآلات الموسيقية لهذه الفرق الكشفية.

إن هؤلاء المغتربين قد ساهموا مساهمة كبيرة في إنشاء وبناء مدرسة دار المعلمين الريفية في بيروت، كما أنهم تبرعوا لبناء مشفى بيروت وكان فضل ذلك يعود للمغترب موسى كريم الذي كان يعمل في مجال الأدب والصحافة في البرازيل، وقد تم بناء المشفى بإشراف لجنة مؤلفة من الدكتور أنيس دهبير والسادة خليل حداد ويوسف سلامة وعفيف كريم، وقد وضع حجر الأساس لهذا المشفى عام ١٩٥٦م الرئيس شكري القوتلي في ذلك العالم في حفل كبير ضم العديد من أعضاء الحكومة ورجالات السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي وعدد من الصحفيين الذين استضافتهم بيروت واحتفلت بهم.

كما أن عدداً من المغتربين الذين عادوا من بلاد المهجر أنشؤوا مشاريع صناعية وتجارية وقد أصبح عدد منهم من كبار التجار في الوطن الأم.

ويبرود قد شهدت منذ مطلع الخمسينات من هذا القرن هجرة مؤقتة من قبل شبانها إلى الأقطار النفطية في شبة الجزيرة العربية وليبيا، حيث شهدت تلك الأقطار بعد اكتشاف النفط فيها نهضة حضارية وعمرانية حديثة وكبيرة، فكان لابد لها من أيد عاملة ماهرة تساهم في بناء نهضتها وحضارتها، فسارع العديد من شبان يبرود إلى تلك الأقطار وساهموا بجهدهم وعرقهم وخبرتهم في بناء تطور وحضارة تلك الأقطار، فكانوا خير رسل لبلدهم الأم وكانوا موضع الثقة لأشقائهم من أبناء تلك الأقطار، وقد جنى هؤلاء الشبان ثمار أعمالهم ونشاطهم وجهدهم وجرّ ذلك خيراً عميماً عليهم وعلى مدينتهم يبرود إذ انعكس كل ذلك تطوراً عمرانياً واقتصادياً في هذه المدينة، وكانت الفائدة التي جنتها يبرود من هؤلاء المهاجرين الجدد أهم وأكبر بكثير جداً مما جنته المدينة من مهاجري القارة الأميركية.

زراعة القمح والشعير

فلاحو يبرود يزرعون قمح السقي في الأراضي المروية والقمح البعل في الأراضي التي تعتمد على الأمطار، ولكل فلاح حقله سواء في الأراضي المروية أو غير المروية والتي تحيط بـيبرود، كما يهتم بزراعة الشعير لأنه الغذاء الرئيس لحيواناته ودواجنه.

فلاحو يبرود كانوا غير متساوين في ملكياتهم للأراضي المروية أو البعلية، وكانوا ثلاث طبقات فالفلاح من الطبقة الأولى يملك قطعة واسعة من الأرض المروية أو عدة قطع في مناطق مختلفة مع ملكية مياه سواء من نهر قرينا أو عين اسكفتا تكفي لري أرضه وتزيد، ويملك أيضاً قطعاً من الأراضي البعلية ومئات من شجيرات الكرم، والمتوسط هو ما يملك نصف أو ثلث ما يملكه الفلاح من الطبقة الأولى سواء في الأراضي المروية أو البعلية أو الكرم، أما الفلاح من الطبقة الثالثة فهو لا يملك إلا قليلاً من الأرض المروية وقطعة أو أكثر من الأراضي البعلية، وقلما نجد فلاحاً لا يملك عدداً من حيوانات الركوب والجر لأنها ضرورية جداً للفلاح مهما كانت طبقته، فهو يستخدمها للفلاحة والزراعة ولجمع محاصيله ومزروعاته ودرسها، ولنقل الماء عليها ولجلب الحطب إلى بيته شتاء ولاستعمالات متعددة أخرى.

والفلاح الـيبرودي له شهرة بنشاطه وهمته وذكائه وخبرته في أعمال الزراعة، فهو يستغل كل شبر من أرضه خير استغلال ويقوم

بعمله بدافع الأنفة والعزة وهرباً من العوز والحاجة ويقدم عمله ويكره الكسل والبطالة ويربي أولاده على الاخلاص والتفاني في العمل وخدمة الأرض ويبعدهم عن رخاوة الحياة والكسل والخمول. فتراه يهيء أرضه لزراعة القمح والشعير بأن يطيب أرضه بفلاحتها مرة أو يثنيها مرة أخرى بمحراثه ذي السكة الطويلة للأرض المسقية والسكة الأقصر للأرض البعلية، هذا المحراث الذي ورثه عن أجداده يستخدم في جره دابة واحدة أو زوجاً من الدواب بعد أن يكمن عليهما ويشدهما إلى المحراث لجره ويمسك بيمناه عصا يسمونها المساس ليسوق بها الفدان ويقبض باليد الأخرى على مكبس السكة ويضغطه للأسفل حتى تشق الأرض على شكل خطوط متوازية حتى يتم فلاحة أوحراثة الأرض بكاملها، ويقوم بهذا العمل مرة أو مرتين حتى يقلب التربة جيداً وتصبح صالحة للزراع، وفي شهري تشرين الأول والثاني ينثر الفلاح الحنطة أو الشعير بشكل منتظم وباتقان حتى تتوزع الحبوب بشكل عادل على كامل الأرض وذلك في الأرض المسقية، ويقوم بنفس العمل قبل حلول الأمطار في شهر تشرين الثاني في الأراضي البعلية وبعد نثر الحبوب يقوم الفلاح بحراثة الحقل حتى يقلب التربة ويطمّر الحبوب، ثم ينتظر رحمة السماء من أمطار وتلوج طوال فصل الشتاء ويقوم بسقاية أرض السقي عدة مرات (عدادين).

والفلاح يساعده في هذه الأعمال أولاده أو يتبادل التعاون مع جيرانه وأصدقائه، ويستغل بعض الشبان من أبناء الفلاحين قلة الأعمال الزراعية في فصل الشتاء فيقومون بمزاولة بعض الحرف

كغزل الشعر ونسجه لصنع خيام البدو أو العمل في معاصر الدبس
أو الذهاب إلى الجرود التي تتوفر فيها أشجار اللزاب وقطع
أغصانها وإحضارها إلى البلدة سرّاً خوفاً من إنكشاف أمرهم بسبب
القوانين التي تحظر ذلك، وذلك من أجل تقطيعها وإيقادها في
المواقد أوبيعها لموسرين من سكان البلدة.

الحصاد

وينتظر الفلاح بنفاذ الصبر انتهاء فصل الشتاء ببرده القارس، وما أن يحل الربيع حتى يهب مع أولاده ويهيء دوابه وأدواته ويصلح ماتعطل منها ويذهب إلى حقله ويقلم الأشجار ويقوم (بكسح) تقليم شجيرات الكرمة ويستعلم عن موعد (عدان) مياهه من شيوخ الماء الموكلين بقسمة المياه وتوزيعها ليروي حقله الذي يحتاج إلى ري، ويقوم بزراعة المحاصيل الصيفية، وما أن يحين موعد استحصاد الزرع في الأراضي البعلية حتى يهيء الفلاح نفسه مع أولاده وجيرانه ويستعد لموسم الحصاد بنقل مايلزمهم للمأوى ولاعداد الطعام وقرب الماء وأواني المطبخ والبسط واللحف والأغطية التي تقي من البرد القارس ليلاً، ويحمل كل ذلك على دوابه، ويذهب الفلاحون كباراً وصغاراً نساءً ورجالاً وشباناً وصباياً، وكان بعض الرجال ممن يملك منهم بندقية يأخذها معه خوفاً من الطواريء وللدفاع عن النفس إذا لزم الأمر، وكان الفلاحون يقيمون في حقولهم طيلة الزمن اللازم لحصاد الزرع، فيستيقظون باكراً ويقرفصون في صف واحد ويشرعون بالحصاد بأيديهم وهم يتبارون ويتسابقون ومن كان يملك صوتاً رخيماً كان يصدح ببعض الأغنيات الدارجة ويرددها بعده بقية الحصادين وكل منهم يجمع مايحصده في شمائل يضعها خلفه ويقوم الصغار من فتيان وفتيات بجمع هذه الشمائل، ثم يكومونها في كومة كبيرة تتوسط الحقل تمهيداً لنقلها إلى البيادر،

وكان من عادة الحصادين إذا مر بهم عابر أن تقوم إحدى الفتيات
أو أحد الأولاد بتقديم حزمة من الزرع لاطعام دابته قائلين له: هذا
شمالك فيقدم هذا العابر ماتجود به نفسه من دراهم أو غيره فيعود
الصبي أو الفتاة مسرورين بما جاد عليهم، وبعد أن ترتفع الشمس على
الحصادين ويكون قد نال التعب شيئاً منهم تتسحب منهم امرأة أو أكثر
لتهيئة الفطور المؤلف من خبز التور أو الصاج والدبس والجبنة
فيجتمع الحصادون حول مائدة الفطور.

وهم يجلسون على تراب الأرض ويتناولون فطورهم ويدخن من
يتعاطى التدخين منهم سيجارة أو أكثر وبعد استراحة قصيرة يعودون
إلى أعمال الحصاد، حتى تتوسط الشمس كبد السماء ويشد الحر
فيرتاحون للغداء ويتغذون مما هيأته لهم النساء ويأخذون قسطاً من
الراحة ثم يعودون إلى الحصاد، وفي المساء يتحلقون حول النار
ويتناولون عشاءهم ويشربون الشاي المحلى بالسكر أو الدبس وهم
يتسامرون فمنهم من يغني ومنهم من يحكي للآخرين حكايا الجن
والعفاريت أو قصص بعض الأبطال أو الأولياء أو غير ذلك حتى
يغلب على الجميع سلطان النعاس فيأوي كل منهم إلى مرقده
ويلتحف بعباءة أولحاف درءاً من البرد وحتى يأخذ كل منهم كفايته
من الراحة ليجدد قواه ويعود في الصباح إلى ما كان عليه من جد
ونشاط، وقد يقيمون حارساً عليهم وعلى أمتعتهم ودوابهم ويتناوبون
في الحراسة وينهضون في صبيحة الغد ثم يعودون إلى حصد
الزرع دون كلل ولا كسل حتى يأتوا على آخره، فيتحولون إلى حقل
آخر وهكذا.



حصاد القمح السقي

الرجاد

كان لكل فلاح بيدره المعروف على أطراف البلدة الجنوبية والشرقية والشمالية الغربية، حيث كانت بيادر الفلاحين متجاورة حتى يسهل حراستها من قبل ناطور البيادر، والبيدر كانت أرضه مستوية ومرصوفة بمدحلة لهذا الغرض.

متى تجمع في الحقل الذي يحصد كمية من الزرع كافية لحمل الدواب الموجودة لديهم يحزمون الزرع أحمالاً ويلقون كل حمل على شبكتين معدتين لهذه الغاية أو يربطون كل حمل بحبل طويل ثم يحملونها على الدواب ويرسلونها مع ولدين أو أكثر يسمون رجادين ليرجدها (ينقلوها) إلى البيادر، وهؤلاء الرواجيد من الفتيان يسرون خلف الدواب أو أمامها على أقدامهم من الحقل وحتى البيادر، وعندما يصلون يبادر الناطور المخصص لحراسة تلك البيادر فيساعدوهم في إنزال الأحمال وحلها من الشباك أو الحبال، ثم يركب هؤلاء الفتيان الدواب ويعودون على الفور ليجلبوا نقله ثانية وثالثة وغيرها، ويقوم الناطور بتكديس الزرع المحصود على شكل مخروط في وسط البيدر ريثما ينتهي نقل كامل الزرع تمهيداً لعملية الدراس، وعند الانتهاء من الحصاد يقوم صاحبه بدعوة جميع الذين اشتركوا معه في العمل وبعض جيرانه إلى وليمة (جورعة) يطبخون فيها اللحم مع البرغل أو الكبة باللبنية أو أية أكلة دسمة لتكون ختاماً للحصاد.

الدراس

يحضر الفلاح إلى البيدر مع أولاده أو شركائه وهم يحملون المذاري أو الشعاب الخشبية وينشلون بها من القش ويفرشونه حول الكومة على شكل دائرة قطرها بين عشرة أمتار وعشرين متراً وهذا ما يدعى بالطرحة ثم يضع عليها نورجاً أو نورجين حسب ضخامة الطرحة وما يملك من دواب ويربط (يكدن) الدابة بالنورج بعد أن يضع في رقبة الدابة الكدانة وهي لفافة من الخيش المبطن بالجلد أحياناً ويصلها بالنورج بحبل يمتد من هذه الكدانة على جانبي الدابة إلى النورج وقبل أن تصل الحبال إلى النورج هناك عصا قوية يتم ربط كلا الحبلين من طرفيها لابعاد الحبال عن أرجل الدابة، ثم يضع على النورج أحد الأولاد وأحياناً حجراً كبيراً ليصبح ثقيلًا ويضع على عيني الدابة عصابة (الطماسات)، ثم يسوق الدابة لتدور على الطرحة وتجر وراءها النورج، وبعد ذلك يأخذ بتقليب الزرع بالشعب الخشبي أو المذراة المعدنية حيناً بعد حين، حتى تتكسر الطرحة المفروشة وكلما تأكد من تكسيرها ينقلها إلى الجوانب ويجعل منها اطاراً، وهكذا حتى تنتهي الكومة فيصبح الزرع عبارة عن حلقة من الدريس الخشن، فيعود ويأخذ من هذه الحلقة قسماً ويفرشه داخلها ويدرسه ثانية بالنورج حتى يصبح ناعماً ويعيده إلى موضع الكومة في وسط البيدر، وهكذا يتوالى الدريس حتى تصبح العرمة بكاملها ناعمة وقابلة للتذرية.

وعندما ينتهي الفلاح من دراس الزرع البعل يكون الزرع المسقي قد نضج وأصبح جاهزاً للحصاد وهنا يستعد له الفلاح بالمناجل بعد أن يشحذها بشكل جيد، ويقوم مع أولاده وجيرانه فيحصدون الزرع بالمناجل وتتم المساعدة بين الفلاحين بالمبادلة فالجار الأول يساعد الثاني ثم يأتي دور الثاني ليساعد الأول وهكذا يحصد زرع السقي ثم يرجد إلى البيادر على ظهور البغال بعد أن يوضع (الشحر) وهو عبارة عن سلمين خشبيين طول كل منهما متراً وربع المتر متصلان مع بعضهما بمفصل ويمكن طيهما ويفتح الشحر ويوضع طرفاه على ظهر الدابة فيكون كل طرف على جانب من جوانب الدابة، وعلى الشحر يتم تنضيد الزرع ثم ينقل (يرجد) إلى البيدر لتتم دراسته بنفس طريقة زرع البعل، وبعد إتمام عملية دراسة زرع البعل والسقي تتم عملية التذرية.



درس القمح في البيدر

التذرية

كانت التذرية في يبرود وقبل وجود آلات الذراية التي تعمل بالقوة العضلية تجري بطريقة بدائية عن طريق استغلال هبوب الرياح الغربية ليلاً أو الشمالية والشرقية عصاراً، فيرفعون الدريس الناعم بواسطة المذاري ويقذفون به في الهواء فيسقط القمح والحصى وعقد القش الثخينة (القصل) ويقذف الهواء التبن بعيداً نحو متر أو مترين، وعند الانتهاء من هذه العملية يأتي دور النساء حيث تأخذ كل امرأة غربالاً يختلف عن غربال الأخرى باتساع ثقوبه فمنه (العبارة والمسرد)، فتقف امرأة أو امرأتان حول كومة القمح ويبد كل منهما غربال ذي ثقوب واسعة يدعى (عبارة) وتأخذ كمية من القمح وتهزه هزات عديدة فيسقط منه القمح والحصى الصغيرة والتراب ويرمين القصل والحصى الكبيرة جانباً، ثم تأتي صبية أو صبيتان وتأخذان كمية مما تجمع من الحب بعد الغربلة الأولى وتضعانه في غربال ذي ثقوب أضيق وتهزانه بعنف وبرشاقة، فيسقط منه التراب والحصى الصغيرة وحببات القمح الضعيفة وتبقى فيه الحنطة والحصى الكبيرة وتتاوله إلى رفيقتها التي تحمل غربالاً ذا ثقوب مناسبة وتهزه حيث تتساقط منه حببات الحنطة الصافية ويبقى في الغربال الحصى الكبيرة مع بعض القصل فترمي به هذه إلى مسافة مترين وهكذا يتم إعادة الكرة إلى أن ينتهي تخليص الحنطة من النفايات فتجمع الحنطة على شكل قمع ثم يتم تعبئتها في أكياس (عدول) كبيرة بعد كيلها بمكيال يدعى المد

أونصف المد حيث يزن المد نحو ١٨ كيلو غراماً من الحنطة، وكان الكيال يركع بجانب كومة الحنطة ويسمي بالله ويطلب من الله أن تحل البركة ويغرف منها بالمد أو النصف مد ثم يصب فيه حتى يتجمع منه كومة مخروطية ولا يبقى متسع لحبة واحدة ويرفعه ويفرغه في الكيس ويقول بركة من الله حتى يملأ الكيس (العدل) الأول، ويأتون له بغيره وتتكرر نفس العملية حتى يتم كيل كامل الحنطة أو الشعير وعندها كان ملتزم الضرائب يأخذ حصة الدولة (الميري) وكانت تقدر بـ ١٢,٥٪ من المحصول، ثم يأتي ناطور البيادر وناطور الحقول والحارس وزلمة المختار ليأخذ كل منهم نصيبه وبعد ذلك يأتي الحلاق والحمامي ليأخذا نصيبهما، ويأتي صغار الصبية والفتيات ليملؤوا حروجهم من الحنطة أو الشعير ويركضون مستبشرين فرحين ليبادلوا بها قضاة أو حلاوة أو سكاكر وماشابه ذلك، وكثيراً ما كانت خيام الشحاذين من النور تنصب قريباً من البيادر لينالوا نصيبهم كما أن لشيوخ الدين وأئمة المساجد وشيوخ الكتاتيب وشيوخ الزوايا (الصوفية) نصيبهم أيضاً وذلك احتراماً لمكانتهم الدينية واستجلاباً للبركة.

ثم تنقل الحنطة والشعير الى المنازل لتوزع فجزء لبذار السنة القادمة وجزء للطحن وآخر للسلق وكانت ربوات البيوت تأخذ كمية من أجود أنواع قمح السقي وتحتفظن بها لاستعمالها في بعض الأكلات بعد سحقها قليلاً بأجران حجرية لطبخ لبنية القمح.

نقل الغلات إلى البيوت

بعد الفراغ من التذرية وملء العدول (الأكياس) بالقمح أو الشعير في البيادر يقوم شبان برفعها وتحميلها على الدواب ونقلها إلى باب البيت حيث غالباً ما يوجد مصطبة مرتفعة على باب كل بيت، فيتم إنزال عدول هذه الحبوب من على ظهر الدواب فوقها، ثم يقوم أحد الشبان الذين يفخرون بقوتهم فيحمل عدل القمح الذي يزن من ١٠٠ - ١٥٠ كيلوغراماً على ظهره جاعلاً قم العدل المربوط جيداً بحبل متين إلى الأسفل ويدخل إلى الغرفة المخصصة في المنزل فتقوم إحدى النساء أو الأولاد بحل عقدة الرباط فينحدر الحب منه حتى يتم إفراغه وهكذا يعود به إلى البيدر ليتم ملأه ثانية ثم نقله إلى المنزل وهكذا، كما يتم نقل التبن بأنواعه: القصل الخشن، والتبن العادي، والعور (الناعم جداً) بأشولة كبيرة حيث تتسع الواحدة لحوالي ٨٠ كيلوغراماً، فيرفع في البيادر على ظهر الدواب ويقوم أحد الشبان بنقله إلى حوش المنزل حيث ينزله على المصطبة المرتفعة ثم يحمله على ظهره ويصعد السلم الخشبي المؤدي إلى سطح المتبن حيث يفرغه في فوهة المتبن.

وتقوم النساء بفرز سنابل القمح المتبقية في القصل لتقدمها طعاماً إلى الدجاج، وتحفظ بالقصل لايقاده تحت جعيلة السلق أو جعيلة الدبس. أما العور فيتم الاحتفاظ به لخلطه مع الطين الذي يستعمل لطينة الجدران والأسطح، وبعد نقل الحبوب والتبن، تكون ربة المنزل قد

طبخت في ذلك اليوم البرغل مع اللحمة أو الكبة حيث يتم دعوة جميع الذين اشتركوا في الذراية والنقل وبعض الجيران، وبعد تناول الطعام ينصرف الجميع قائلين: عقبال كل سنة، فيكون الجواب: وحياتكم وأنتم سالمون تسلم أيديكم.

سلق البرغل

تصويل القمح:

تتم عملية سلق القمح وجرش البرغل في موسم معين من السنة يبدأ في النصف الثاني من شهر آب وينتهي تقريباً في أواسط أيلول، حيث تميل الشمس نحو خط الاستواء ولا تؤثر حرارتها في البرغل فيصبح لونه أسود، ويجب أن تهيأ الأسطح التي سينشر عليها البرغل بطينتها ودهنها بالحوارة البيضاء^١ ثم تنظف وتكنس جيداً لإزالة الغبار والأتربة عنها.

وتجري على القمح المراد سلقه، وهو من قمح السقي ذي الحبات المكتنزة، وكانت كميته تتناسب وعدد أفراد الأسرة حيث تبلغ من ١٥ - ٥٠ مدأ، عملية التصويل (أي غسل الحنطة وفصل ذرات التراب والحصى عنها)، وهنا تتعاون في هذه العملية عدة نساء حيث يتم تهيئة الماء في أطباق كبيرة وتهيأ الغرابيل المناسبة.

وتبدأ هذه العملية بوضع كمية مناسبة من الحنطة في طبق نحاسي كبير مملوء بالماء ثم تحرك هذه الحبات بالأيدي حتى تتحل ذرات التراب الصغيرة العالقة ويطفو القش فوق سطح الماء حيث يجمع ويوضع جانباً، ثم تأخذ كمية من هذه الحنطة في غربال

^١ - الحوارة هي حجارة كلسية تتحل في الماء وتصفى بمصافي دقيقة لازالة الرواسب منها، والمزيج الأبيض يستعمل كالدهان حيث تغطس فيه قطعة من جلد الماعز لتستعمل بدلا عن فرشاة الدهان، وللحوارة خاصية أنها تمتص الروائح وتعطي رائحة مقبولة وتطهر الجدران من الحشرات.

وتغطسه في ماء طبق آخر عدة غطسات وتهزه هزات خفيفة مدروسة حيث يتم فصل حبات الحنطة عن الحصى ثم تفرق الحبات النظيفة بصحن وتكومها بجانبها على حصير أو بساط نظيف وتلقي بالحصى التي قد تحتوي على بعض حبات القمح جانباً، وتُشترك عدة نساء في هذه العملية ويجب تغيير ماء الأواني كلما زادت الرسوبيات فيها وتعكر الماء، حيث يتم تصويل الكمية بكاملها ويكون القمح بذلك قد غسل وفقد الجزء الأعظم من حبات الحصى المختلطة فيه.

وكانت عملية التصويل هذه تتم في مناطق معينة في البلدة قرب مجرى النهر، لحاجة هذه العملية إلى كمية كبيرة من الماء وبذلك يكون القمح قد أعد للسلق.

وعملية السلق هي عبارة عن موسم يشترك فيه جميع أفراد الأسرة مع من يدعى إلى المشاركة والمساعدة من شبان وصبايا من أبناء الجيران والأصدقاء والأقرباء، فيتسابق في ذلك الشبان لتقديم المساعدة والمشاركة مع الصبايا لأن في ذلك فرصة ذهبية لكلا الطرفين للتعارف والتواصل وتبادل المودة.

السلق:

يتم سلق الحنطة بحلل نحاسية نصف كروية كبيرة تدعى (الجعيلة)، وقد تتسع بعضها إلى عشرين مداً من القمح أو أكثر، وكان يبنى للجعيلة موقد من اللبن والحجارة والطين في إحدى ساحات أفسحات البلدة حيث تبقى طيلة موسم السلق في مكانها، وكان يبنى بجانبها مصطبة بارتفاعها لتوضع عليها أواني نقل

البرغل أثناء ملئها من الجعيلة، كان لكل حي جعيلة أو أكثر حيث كان اصحاب هذه الجعيلة يتقاضون كمية معلومة من البرغل غير المجروش كأجرة لها، كانت الصبايا تنقل بواسطة طسوت (أطباق) نحاسية كبيرة القمح المصول من مكان التصويل وكان غالباً مايكون على ضفة النهر، لإفراغه في الجعيلة، والشبان يهيئون الوقود المؤلف من القصل والشيخ والشوك والعيدان الجافة قرب الجعيلة، ثم يقوم هؤلاء الشبان بعد ذلك بمساعدة الصبايا في نقل الماء النظيف من صنابير عين كوشل إن كان السلق يجري نهراً أو من ماء النهر ليلاً لأن مياه النهر تكون نظيفة وغير ملوثة في الليل، وإفراغ هذا الماء في الجعيلة حتى يصبح ارتفاعه حوالي الشبر فرق سطح القمح، وبعدها يتم اشعال موقد الجعيلة ثم يتناوب الشبان في إيقاد النار وجعلها مستمرة بقذف كميات من الوقود إلى داخل الموقد تحت الجعيلة حتى تسخن مياه الجعيلة ثم تغلي، وهنا يبادر بعض الشبان أحياناً بوضع بعض عرائيس الذرة داخل الجعيلة ليتم سلقها وبعضهم من يضعها في الرماد المتكوم بجانب الجعيلة والذي يحافظ على حرارته المرتفعة من عملية السلق السابقة، حتى تتضج هذه العرائيس التي يتم توزيعها على جميع الحاضرين من شبان وصبايا المتحلقين حول الجعيلة بانتظار نضج البرغل، ويقوم شاب بتحريك البرغل في الجعيلة بالمشلاة عندما تجف المياه منها، ويرد البعض أو الجميع على المارين الذين يرفعون صوتهم قائلين: عالبركة، بالإجابة: حلت كل البركة تفضلوا، فيرد المارة: عقبال كل سنة، فيكون الرد: وحياتكم وأنتم سالمين بالله عليكم تفضلوا يدوا

أيديكم منشان البركة... وهكذا، وفي هذه الأثناء تكون ربة البيت قد
هيأت عدداً من الأطباق النحاسية لنقل البرغل (القمح المسلوق).



رفع القمح المسلوق من الجعيلة

وعندما يميل البرغل في الجعيلة إلى النضج يوقف إيقاد النار
لتنهدى الجعيلة ثم يُعاد تقليب البرغل بالمشلاة من قبل أحد الشبان،
وبعدها تُستشار إحدى النساء الخبيرات بالسلق عن موعد تشلية
البرغل (رفعة من الجعيلة)، وعندما يكون جوابها بالإيجاب تتسابق
الفتيات لتأخذ كل واحدة منهن طبقاً من الأطباق النحاسية لنقل
البرغل بعد أن تضع على رأسها خرقاً قماشية مجدولة مع بعضها
على شكل حلقة مستديرة تدعى (كباساً) لتحمل الطبق فوقه حتى

لايتأذى رأسها من صلابة الطبق وحرارته، ويأخذ أحد الشبان الأقوياء مكانه على مصطبة متوسطة الارتفاع مبنية جانب موقد الجعيلة وتضع الفتاة طبقها على المسطبة المرتفعة ليملاه ذلك الشاب بالبرغل المسلوق بواسطة المشلاة، ويبادر شاب آخر ويساعدها في رفع الطبق إلى رأسها، فتسير به مع إحدى زميلاتها لتصعد إلى السطح المعد لفرش البرغل عليه بواسطة سلم خشبي حيث يكون أحد الشبان واقفاً في أعلى السلم على السطح فيأخذ الطبق عن رأسها بيديه ويذهب ليفرغه على شكل كومة ثم يعيد الطبق إلى الصبية لتتزل السلم وتصعد أخرى ثم تذهب لتأتي بغيره حيث تكون غيرها من الفتيات قد أتين بأطباقهن، وتبقى الفتيات هكذا بين جيئة وذهاب وفي أخذ وعطاء وأحاديث ودية وفكاهية إلى أن ينفذ ما في الجعيلة، ثم تعاد الكرة لسلق جعيلة أخرى، فيذهب قسم من الفتيات لجلب الحنطة المصولة، وقسم آخر لجلب الماء مع بعض الشبان المرافقين إذا كان الوقت ليلاً حتى لا يخفن ويكررن العمل السابق كله حتى تسلق العائلة كفايتها.

حينذاك يُمنع جميع الحضور من العودة إلى بيوتهم بل يذهبون إلى منزل أصحاب السلق حيث تملأ ربة البيت وعاءاً كبيراً من القمح المسلوق وتضيف إليه السكر أو الدبس وحببات الشمر ولب الجوز وتقدمه ليأكل منه الجميع، ثم تقدم ربة البيت سفرة طعام من الخبز والجبن والعنب والزيتون والبطيخ فيأكل الجميع ويذهب كلٌّ إلى بيته قائلاً: عقبال كل سنة فيرد أصحاب البيت: وحياتكم وأنتم سالمين، الله يسلم أيديكم وبعدها تقوم ربة

البيت بملء أطباق من القمح الساخن وترش فوقه السكر ولب الجوز وتقوم بتوزيع ذلك على الجيران والأصدقاء لتحل البركة في برغلها، فتعاد هذه الأطباق وهي مملوءة بفاكهة الموسم أو ببعض المأكولات.

وبعد فترة من ذلك تقوم ربة البيت إلى السطح وتفرق كُوم القمح المسلوق وتفرشه على السطح، ثم تثابر على تحريكه وتقليبه كل يوم عدة مرات صباحاً وظهراً وبعد العصر حتى يتم جفافه تماماً بعد خمسة أو ستة أيام.

ويعتبر سلق القمح مهرجاناً شعبياً في كل عام حيث ينتظره الشبان والصبايا للقاء فيما بينهم وتتساعد الأسر والجيران فيما بينها بروح الألفة والمودة والمحبة.

جرش البرغل وفرقه:

بعد أن يجف البرغل تماماً على الأسطح تدعو ربة البيت بعض جاراتها لمساعدتها في إنزاله عن السطح بعد جمعه وتشييعه في الهواء، حيث تأخذ النسوة في جمع البرغل على شكل كومة كبيرة وسط السطح، ثم يستغلون هبات الرياح اللطيفة صباحاً أو بعد العصر، ويشرعونه في الهواء بأن تأخذ المرأة وعاءً وتملأه بكمية من البرغل وترفعه إلى مستوى رأسها ثم تبدأ بإسقاطه رويداً رويداً على بساط نظيف، فتطير القشور في الهواء ولا تختلط بالبرغل، ثم تفتح ربة البيت الثقب الذي يصل سطح الدار بإحدى الغرف لهذه الغاية، وتأخذ النساء في إسقاط البرغل من هذا الثقب، ليسقط على أرض الحجرة التي بسط فوقها بساط نظيف حتى يتم إسقاط البرغل

بكامله، وفي اليوم التالي تتعاون نساء البيت حيث يعملن عدة أيام في تنقية البرغل من الحصى التي لاتزال بين حباته، حيث يصبح البرغل بعد ذلك جاهزاً للجرش.

قديماً وقبل اختراع الجاروشة المعدنية التي تعمل بالقوة العضلية، كان يتم الجرش بالجاروشة الحجرية، حيث تهيء الأسرة عدة جواريش، ويوضع تحت كل جاروشة قطعة قماش وبجانبها طبق نحاسي مملوء برغلاً جافاً، ويتم دعوة بعض الشبان والصبايا من الجيران والأقارب والأصدقاء حيث كانوا يتواردون ليلاً في أغلب الأوقات قائلين: عالبركة، يخزي العين، اللهم صلي عالنبي، فيجيبهم أهل الدار بكل بشاشة: أهلاً أهلاً وسهلاً، حلت علينا البركة، تفضلوا تفضلوا، فيجلس كل ثلاثة أشخاص حول جاروشة، إما شاب وصبيتان أو شابان وصبية، فيحتضنون الجاروشة بمد رجل الواحد منهم وطى الأخرى، حيث تصبح الجاروشة بينهم، ويأخذ أحدهم بتلقيم البرغل في فتحتها ثم يديرونها وهم يهزجون ويغنون الأغاني الدارجة كالعتابا والدلعونا، وكل يغني على ليله، وأحياناً كان بعضهم يستريح ويعمل الآخرون حتى يتم جرش كامل البرغل.

أما بعد أن انتشرت المجارش المعدنية فكان لها عمالها الذين يعملون عليها وكانوا يحملونها على ظهورهم وينتقلوا بها من بيت إلى آخر ليتموا جرش برغل البلدة، حيث كان في البلدة أكثر من أربعة مجارش، كانت ربة البيت تدعو جاراتها وبعض فتيان جيرانها لمساعدتها وهنا تتيح الفرصة إظهار قوة عضلات الشبان من يتحمل أكثر في إدارة عجلة الجاروشة بعد ملء قمعها بالبرغل

وكان عمال الجاروشة وبعض الشبان يتناوبون العمل ويرفعون عقيرتهم بالغناء والمواويل حتى يتم جرش البرغل بكامله، وهنا يكون دور النساء بتلقي البرغل المجروش من الجاروشة في غربال مخصوص وبغربلته لإعادة الحبوب السالمة التي لم تجرش بعد إلى الجاروشة لإعادة جرشه.

ثم تبدأ المرحلة الأخرى وهي مرحلة فرق البرغل المجروش، ويتم ذلك في مناخل متعددة مختلفة الثقوب حيث يتم فرز البرغل أولاً إلى قسمين: البرغل ودقاقة البرغل، حيث تأخذ كل من النسوة منخلاً فتعرف الأولى كومة من البرغل المجروش بمنخلها الناعم وتهزه هزات خفيفة فينزل منه الدقاقة والمؤلفة من الصرصور والطحين السميد والنسافة، حيث يتم فرزهم عن بعضهم بعد ذلك في آخر العمل، وتعطي هذه المرأة مابقي في غربالها لرفيقتها حيث تحمل منخلاً ذا ثقوب أكبر فتعزه فينزل البرغل الناعم الرفيع الذي يستخدم لصنع الكبة، ثم تعطي هذه أيضاً مابقي لثالثة تحمل منخلاً ذا ثقوب أوسع فتعزه فينزل منه البرغل الدوري الذي يطبخ بالسمن أو اللحم وهو الغذاء الرئيسي للفلاحين، ويبقى في غربالها البرغل الغليظ ومنه تُطبخ المجدرة، ثم تأخذ النساء كل نوع من هذه الأنواع على حده إلى مكان يهب فيه الهواء جيداً ويرفعنه في وعاء بأيديهن وهن واقفات ثم يفرغه في الهواء قليلاً قليلاً فيتساقط البرغل على الأرض فوق بساط نظيف مفروش لهذا الغرض حيث يقذف الهواء القشرة الرقيقة إلى مكان بعيد، وكلما فرغت النساء من نسف نوع من البرغل يضعنه في خلية الطين

المخصصة له أوفي صندوق من الخشب له فتحة تُفتح وتُغلق من أحد جوانبه في الأسفل ويدعى (كندوج).

أما الدقاقة الناعمة فإنها تُنخل بمنخل ناعم جداً فينزل منه النسافة وتستعمل لإطعام الدجاج وماتبقى في المنخل يُنخل أيضاً بمنخل له ثقوب أوسع فينزل منه طحين السميد الذي يُستخدم أثناء الخبز لئلا يلصق العجين بطبق العجين أو يطبخ مع الدبس والسمن فيصبح بسيصة، أو يقدم لإطعام الدجاج، وماتبقى من المنخل فهو البرغل الناعم جداً ويدعى (صرصور) ويستعمل حساءً لذيذاً مع اللحم أو الشحم والبصل.

سطاح العنب

أغلب كروم العنب في يبرود كانت بعليّة تعتمد على الأمطار وخاصة في مناطق الكنيسة والعقبة في جنوبي يبرود وكروم أبو لاطي وظهر الجرس والكروم البرانية في شمال وشرقي يبرود، ومنها ماكان مروياً في منطقة عقوزاً، هذه الكروم كانت تزود السكان بالعنب والزبيب والدبس، وكانت معظم الأسر تملك أعداداً من أشجار العنب في هذه المناطق وقلما نجد أسرة لا تملك كرمًا تتزود منه بالعنب الأبيض والأحمر والأسود في شهر آب، وتسطح أغلبه في مساطح غالباً ماتكون قريبة من مناطق الكروم، حيث كان الفلاحون يسطحون عندهم في يوم معين من السنة وهو يوم عيد الصليب الموافق لـ ٢٧ أيلول على الأغلب من كل عام، حيث كان يعتبر هذا اليوم مهرجاناً يشترك فيه أهل البلدة كلها ولا يبق في المنازل سوى العجائز والشيوخ، ويهب جميع سكان البلدة صغاراً وكباراً نساءً ورجالاً إلى الكروم لاقتطاف العنب ليسطحوه زيبياً، وتكون التهيئة لهذا اليوم في الأيام السابقة حيث يتم شراء القلي (وهو رماد نبتة الاشنان بعد حرقه حيث أن له خاصية قلوية كاوية تحفظ الزبيب من العفونة وتقضي على الحشرات) من بعض سكان قرية القسطل المجاورة حيث يبيعونه في يبرود مقابل النقود أو البطاطا أو البوغل، كما كان يتم تهيئة الأواني وصناديق الخشب وقفاير القش وأطباق النحاس وزيت الزيتون والطناجر والمقالي والملاعق والخبز

والجبن والبصل والسمن والبرغل وأدوات النوم من لحف وبسط وأيضاً قرب الماء. وتتهيأ أيضاً دواب الركوب والنقل.

يستيقظ الجميع مبكرين عند شروق الشمس ويحملون دوابهم وينتقلون إلى الكروم ثم يشرعون في قطف عناقيد العنب بكل عناية واهتمام حتى لاينتثر الحب في الأرض، ثم يجمعون مايقطفون على شكل أكوام ليتم نقله إلى المساطيح التي تكون قد أعدت سابقاً لأنها مشتركة وحيث يكون لكل أسرة مساحة منها تتناسب وحجم إنتاجها من العنب، وهناك في المسطاح يكون قد أعدت طست نحاسي كبير أوعدة طسوت ملئت بالماء الذي يضاف إليه القلي وزيت الزيتون فيصبح لون الماء أبيض فيجلس أمام الطست رجل أوامرأة تغطس العنب تغطيساً كاملاً في هذا الماء وتتبذ أوراق العنب العالقة بالعناقيد ثم يتم نشل العنب بمصفاة أوعود ذي شعبتين خوفاً على الأيدي من أذى القلي الكاوي، ثم يُنشل بقفف ليرصفه شخص آخر على أرض المسطاح المحصبة والممهدة لهذا الغرض، فيضع عنقوداً إلى جانب آخر حتى يتم سطح العنب المقطوف ويترك عرضة لأشعة الشمس لتجففه ويصبح زبيباً ثم يجمع بعد عشرة أيام أوخمسة عشر يوماً وينقل إلى المنازل، وقد تستمر عملية القطف والمسطاح هذه عدة أيام حتى يتم قطف عنب الكروم جميعها.

وتمضي أيام القطف والمسطاح في فرح ولهو وسرور، حيث يتم تبادل التعاون بين الجيران والأقارب فمن ينهي عمله قبل غيره ينتقل إلى مساعدة جاره أوصديقه أوقريبه، وأثناء ذلك تطهو النساء الطعام كل يوم في الكروم وقد يدعوا البعض جيرانهم وأصحابهم

لتناول العشاء والسهر معهم، حيث يتسابق الشبان والصبايا في
ترديد بعض الأغاني الشائعة من عتاباً ودلعونا ومواليا، وكانت تعد
تلك الأيام من أيام الفلاحين التي لا تنسى.

وكان أغلب الفلاحين وعند قطاف العنب ينتقون أجود العناقيد
وينقلونها إلى بيوتهم ثم تفرش هذه العناقيد على مصاطب مرتفعة ثم
تغطى بكاملها بالتربة الكلسية (القشاش) التي تستعمل لطينة الجدران
والأسطح (حيث أن هذه التربة تمتص الرطوبة وتمنع العفونة)، ثم
يترك هذا العنب حتى أشهر الشتاء حيث يظل محافظاً على طعمه
وصفاته رغم ذبوله قليلاً، وكان الناس يخرجون هذا العنب من
خلال التراب ويقومون بغسله وأكله في سهراتهم في أشهر الشتاء
ويقدمونه كضيافة لضيوفهم المكرمين.

الفصل الثالث:

ظواهر خاصة ببرود

نظام الري

يبرود تكاد تتفرد منذ عصور قديمة بنظام الري واستثمار مياه السقاية فيها عن بقية الأنظمة المتبعة في جميع أنحاء المدن الزراعية في سورية، إذ أن الأراضي المروية في جميع المناطق الزراعية تنتقل ملكيتها من مالك إلى آخر سواء عن طريق الإرث أو البيع والشراء مع ماء ريهها، بينما في يبرود فإن الأرض ومياه الري تنتقل ملكيتها منفردين كل على حدة، والنظام المتبع في يبرود هو نظام معقد لا يكاد يلم به إلا عدد قليل من المزارعين، وربما كان يعود إلى العصر الروماني، واستمر العمل به بعد الفتوحات الإسلامية وحتى العصر الحديث، ولا شك أن العرب قد اكتسبوا أنظمة الري الرومانية في بلاد الشام وأنظمة الري البابلية في بلاد ما بين النهرين، وعملوا بها وطوروها حسب المصلحة والضرورة. ومما لا شك فيه أن العرب نقلوا هذه الأنظمة معهم إلى الأندلس بعد فتحها، وهناك شبه كبير بين نظامي الري في يبرود وفي مدينة بلنسية الإسبانية، ومن المعروف لدى سكان بلنسية أن نظام الري عندهم هو نظام عربي.

المهم أن مياه يبرود وبالأخص مياه بحيرة قرينا كانت تروي الأراضي الزراعية الممتدة من أسفل البحيرة وحتى الأراضي المعروفة بالخاص والكروم البرانية على طريق يبرود - النبك وتشمل:

١ - مزارع الوادي وتشمل الأراضي الممتدة من بحيرة قرينة إلى مقسم الرويس.

٢ - مزارع المعبدن وتشمل الأراضي الممتدة من الرويس إلى الصوانة.

٣ - مزارع بين الشجر وتشمل الأراضي الممتدة من بئر مطحنة عردة إلى الخاص والبركة والكروم.

٤ - مزارع الكروم البرانية وتشمل الأراضي الممتدة من باب الحمام إلى الكروم.

٥ - مزارع السقيا وتشمل الأراضي الممتدة من باب الحمام إلى الجزيرة.

٦ - مزارع البستان وتشمل الأراضي الممتدة من باب الحمام إلى سكر البستان.

٧ - مزارع تحت الجسر وتشمل الأراضي الممتدة من باب الحمام إلى الحواري.

٨ - مزارع عقوزة وتشمل الأراضي الممتدة من مطحنة طراد إلى عقوزة.

٩ - مزارع عقوزة وتشمل الأراضي الممتدة من الرويس إلى مقسم الحمام.

وكانت مياه يبرود تتوزع إلى أربعة فروع لكل حي فرعه (القامعية - الصالحية - القاعة - المسيحية).

أما ملكية الماء كانت موزعة على (٣٢) قسمة وهي:

- | | |
|--------------------|------------------|
| ١ - قسمة صوان | ٢ - قسمة صبيعة |
| ٣ - قسمة نور الدين | ٤ - قسمة أبو راس |
| ٥ - قسمة السلطنة | ٦ - قسمة حداد |

- | | |
|-----------------------------|-------------------------|
| ٨ - قسمة أبو خرنوب الصغيرة | ٧ - قسمة الشائب الكبيرة |
| ١٠ - قسمة شرف الصغيرة | ٩ - قسمة الأعور |
| ١٢ - قسمة الأبرص | ١١ - قسمة عقيل معتوق |
| ١٤ - قسمة الخماش | ١٣ - قسمة الشيخ غرلي |
| ١٦ - قسمة التيماني | ١٥ - قسمة حمدان الشوام |
| ١٨ - قسمة يزبك | ١٧ - قسمة الجمل |
| ٢٠ - قسمة فتح الله | ١٩ - قسمة صوفان |
| ٢٢ - قسمة أبو خرنوب الصغيرة | ٢١ - قسمة حسن باشا |
| ٢٤ - قسمة الشائب الصغيرة | ٢٣ - قسمة الميزان |
| ٢٦ - قسمة شرف الكبيرة | ٢٥ - قسمة عقيل عمار |
| ٢٨ - قسمة سرحان | ٢٧ - قسمة خرب |
| ٣٠ - قسمة رومية | ٢٩ - قسمة الشيخ عائشة |
| ٣٢ - قسمة أبو حسن | ٣١ - قسمة حمدان غرلي |

ومن المحتمل أن توزيع هذه القسم لعائلات كانت تستوطن يبرود منذ حوالي القرنين والنصف أو ثلاثة قرون أو أكثر، هذه العائلات كانت تملك أرضاً زراعية مروية، ومن الملاحظ أن كثيراً من هذه العائلات قد اندثرت أو غيرت أسماؤها ومنها ما بقيت كما كانت.

كل قسمة تملك ١٢ ساعة جدود (الساعة الجدود تساوي ٨٠ دقيقة زمنية) وكل ساعة جدود تساوي ٤٠ مصرية، أي أن القسمة الواحدة تساوي ٤٨٠ مصرية.

كان يتم توزيع النهر إلى فروع في مقسم الرويس عند مخرج مجرى النهر من جامع الرويس، حيث أن كل حي من الأحياء الأربعة

ينال نصيبه من فرع خاص، وغالباً ماكان فرع حي القامعية يؤخذ من مجرى النهر الأساسي قبل وصوله إلى مقسم الرويس.

كان يتم استثمار المياه للري (شد الماء) منذ صبيحة اليوم الأول من شهر آذار من كل عام وحتى العشرين من شهر تشرين الثاني، وبعدها تصبح المياه محلولة (حرة).

يتم تقسيم فترة استثمار المياه إلى موسمين: موسم شتوي وموسم صيفي على الشكل التالي:

١ - الموسم الشتوي: ومدته ٩٨ يوماً، يمتد اعتباراً من أول آذار وحتى غاية السادس من حزيران، وكان يعادل ثلاثة دورات (قلبات)، كل ٣٢ يوماً دورة أوقلية كما كانت تدعى، وفي الموسم الشتوي يتم إحداث يومي كسر (يوم كسر كراية لمجرى النهر ويوم كسر بيع).

٣(دورات) $\times$ ٣٢ يوماً = ٩٦ + ٢(كسر) = ٩٨ يوماً مدة الموسم الشتوي.

٢ - الموسم الصيفي: ومدته ١٦٧ يوماً ويعادل خمس دورات أو قلبات ويمتد من صبيحة اليوم السابع من حزيران وحتى غاية العشرين من تشرين الثاني.

ويتم خلال هذا الموسم يوماً واحداً لكسر الكراية، وكل ثلاثين يوماً يتم فيها كسر بيع.

٣ - المياه المحلولة: وتمتد من صبيحة الحادي والعشرين من تشرين الثاني ولغاية شهر شباط ومدتها ١٠٠ يوماً، وفي هذه الفترة غالباً ماتصبح ملكية الماء مشاعة لأن المزارعين في هذه الفترة ليسوا بحاجة لري أراضيهم إلا نادراً.

كيف يمكن تحويل ملكية المياه من المصرية إلى الساعة الزمنية
في موسمي الشتاء والصيف:

آ - عندما تكون المياه موزعة إلى أربعة فروع:

١ - خلال موسم الشتاء والذي يمتد من ١ آذار لغاية ٦ حزيران.
المزارع الذي يملك ساعة جود أي ٤٠ مصرية يحاسب عليها كمايلي:
٤٠ مصرية كل ٣٢ يوماً ينال حسب نظام الري ٨ ساعات زمنية
للفرع الواحد.

٤٠ مصرية كل ١٦ يوماً ينال حسب نظام الري ٤ ساعات زمنية
للفرع الواحد.

١ مصرية كل ١٦ يوماً ينال حسب نظام الري $(٤ \times ٦٠) / ٤٠ = ٦$
دقائق زمنية للفرع الواحد.

معنى ذلك أن كل مزارع يملك (١) مصرية واحدة في أحد
الفروع يستفيد منها ب ٦ دقائق زمنية كل ١٦ يوماً في هذا الفرع
خلال موسم الشتاء.

٢ - خلال موسم الصيف والذي يمتد من ٧ حزيران لغاية ٢٠ تشرين الثاني.
المزارع الذي يملك ساعة جود أي ٤٠ مصرية يحاسب عليها كمايلي:
٤٠ مصرية كل ٣٢ يوماً ينال حسب نظام الري ٨ ساعات زمنية
للفرع الواحد.

٤٠ مصرية كل ١٢ يوماً ينال حسب نظام الري ٣ ساعات زمنية
للفرع الواحد.

١ مصرية كل ١٢ يوماً ينال حسب نظام الري $(٣ \times ٦٠) / ٤٠ = ١/٢$
أربع دقائق ونصف.

معنى ذلك أن كل مزارع يملك (١) مصرية واحدة في أحد الفروع يستفيد منها بـ $1/2$ ٤ أربع دقائق ونصف الدقيقة كل ١٢ يوماً خلال موسم الصيف.

ب - عندما تكون المياه موزعة إلى ثلاثة فروع فقط:

١ - خلال موسم الشتاء:

٤٠ مصرية كل ٣٢ يوماً ينال حسب نظام الري ٦ ساعات زمنية للفرع الواحد.

٤٠ مصرية كل ١٦ يوماً ينال حسب نظام الري ٣ ساعات زمنية للفرع الواحد.

١ مصرية كل ١٦ يوماً ينال حسب نظام الري $(60 \times 3) / 40 = 1/2$ ٤ أربع دقائق ونصف الدقيقة.

ومعنى ذلك أن كل مزارع يملك (١) مصرية واحدة في أحد الفروع ينال $1/2$ ٤ أربع دقائق ونصف الدقيقة كل ١٦ يوماً خلال موسم الشتاء في هذا الفرع.

٢ - خلال موسم الصيف:

٤٠ مصرية كل ٣٢ يوماً ينال حسب نظام الري ٦ ساعات زمنية للفرع الواحد.

٤٠ مصرية كل ١٣ يوماً ينال حسب نظام الري $1/2$ ٢ ساعتان ونصف ساعة زمنية للفرع الواحد.

١ مصرية كل ١٣ يوماً ينال حسب نظام الري $(60 \times 2,5) / 40 = 3/4$ ٣ ثلاثة دقائق وثلاثة أرباع الدقيقة.

ومعنى ذلك أن كل مزارع يملك (١) مصرية واحدة في أحد الفروع ينال ٣ ٣/٤ الدقيقة كل ١٣ يوماً خلال موسم الصيف في هذا الفرع.

كان يدير شؤون الري لجنة تدعى لجنة المياه تتألف من أربعة شيوخ ماء، عن كل حي في يبرود شيخ يمثله، وحارس ماء واحد يدعى (الشاوي) والمفروض أن يكون حتماً إما من حي الصالحية أو حي القاعة.

ومهمة اللجنة هذه أن تقوم باجتماعات دورية وطارئة لتوزيع القسم وتحديد بدء (شد الماء) أي بدء الموسم الشتوي ثم الموسم الصيفي وتحديد موعد حل الماء وتحديد مواعيد الكسور وهي على نوعين:

١ - كسور كراية (أي تعزيل مجرى النهر) ويخصص لها يومان فقط في العام، يوم في شهر نيسان وآخر في شهر تموز، وفيهما يتم إغلاق مساكير بحيرة قرينة.

٢ - كسور بيع وهذه تحصل تقريباً كل ٣٠ يوماً ويحددها شيوخ الماء لتغطية نفقات لجنة الماء وتغطية نقص كل منهم، ويحق لشيوخ الماء فيها أن يبيعوا ماء الري للمزارعين.

كما أنه كان من مهمة لجنة الماء محاسبة من يقوم على سرقة الماء من المزارعين وفرض العقوبة المالية التي تتناسب ومساحة الأرض المروية عنده.

كان عامة المزارعين في يبرود عرضة للاستغلال وضياع حقوقهم من جراء تصرفات بعض لجان الماء المتتابعة الذين يشرفون على توزيعها، حيث كانوا يتحكمون بمصالح المزارعين

دون أن يستطيع المزارع الجاهل بنظام التوزيع أن يطالب بحقه، كما أنه لم يكن هناك أي سجلات أوقيود تحفظ الملكية وتصونها، فكان المستغلون والسماسرة يستغلون ذلك ويبيعون المزارعين مياهها دون أن يكون لها أي أساس.

وبناء عليه فإنه في العقد السابع من هذا القرن تشكلت بشكل رسمي لجنة سميت لجنة مياه السقاية وألغت اللجان القديمة، كما أن اللجنة الرسمية الحديثة ألغت عدة لجان منها اللجنة التي كلفت بتصحيح ملكية مياه السقاية حيث حصرت النقص وتم عمل سجلات رسمية وسندات ملكية وزعت على المالكين ووضعت نظاماً ثابتاً لنقل الملكية بين المزارعين حسب الأصول.

كما تم تأليف لجنة مهمتها وضع النظام المالي لمصلحة مياه السقاية ينظم العلاقة بين المزارعين والموزع بإشراف اللجنة، ويحدد الطريق الواضح لاستثمار المياه دون أي تعقيد متجاوزاً الصعوبات والتعقيدات في النظام القديم، ويضع حداً أمام المستغلين والسماسرة ويمنعهم من السرقة والاستغلال.

المطاحن

تعتبر صناعة طحن الحبوب من أقدم الصناعات الغذائية في العالم، وقد استخدم الإنسان وسائل عدة لهرس الحبوب وطحنها، وكانت أولى هذه الوسائل المدقة والجرن الحجري، ومع تطور البشرية اخترع الإنسان الرحي وهي طاحونة بدائية عبارة عن حجرين منحوتين على شكل دائرتين من الحجارة البازلتية يثقب الأعلى منهما في وسطه لصب الحب المراد طحنه فيه، ويدور العلوي بالقوة العضلية فيهرس هذه الحبوب ويحولها إلى دقيق يخرج من أطرافه.

ومع تطور الحضارة البشرية تطورت هذه الآلة لتصبح أحجار الرحي أكبر وتنتج أكثر وتدار بقوة الماء، فاخترعت المطحنة المائية. وقد عرفت يبرود منذ العصر الكلاسيكي (الروماني والبيزنطي) استخدام الطاحونة التي تدار بالقوة المائية نظراً لوجود جدول ماء دائم الجريان فيها، وهذه الطاحونة قادرة على طحن الحبوب وجرش البرغل والعدس.

في مطلع القرن العشرين كان عدد المطاحن في يبرود تسع، وهي مطحنة غنيم في قرينة أسفل البحيرة ومطحنة السكة في حي فقرو ومطحنة عقيل القريبة من جامع الشيخ علي (الرويس) تليها مطحنتا الضيعة وطراد، ثم مطحنة أم مزاراب في حي القاعة

ومطحنة باب الحمام أيضاً في حي القاعة ومطحنة عردة قرب
ساحة عردة ومطحنة الشيخ اسماعيل في بساتين المعیدن.



منظر خارجي لمطحنة قديمة

هذه المطاحن كانت تطحن حبوب سكان مدينة يبرود والقرى
المحيطة بها، وقد اندثرت بكاملها عدا واحدة هي مطحنة الضيعة
وقد توقف العمل فيها بسبب تحول مجرى النهر عنها.
كان النهر يتفرع قبل الوصول إلى المطحنة إلى ثلاثة أفرع،
اثنان منهما يصبان في بئري المطحنة ليديرأ أحجارها والفرع
الثالث يغلق عندما يدار حجراً المطحنة ويفتح عند إيقاف حجر واحد

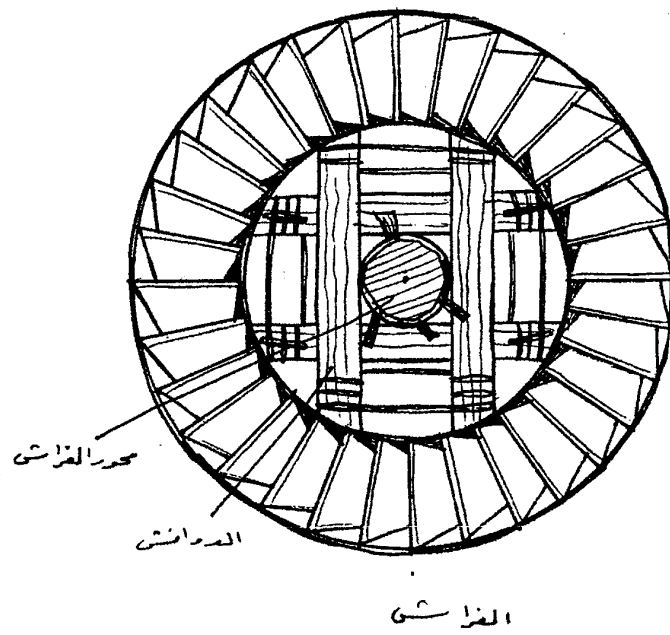
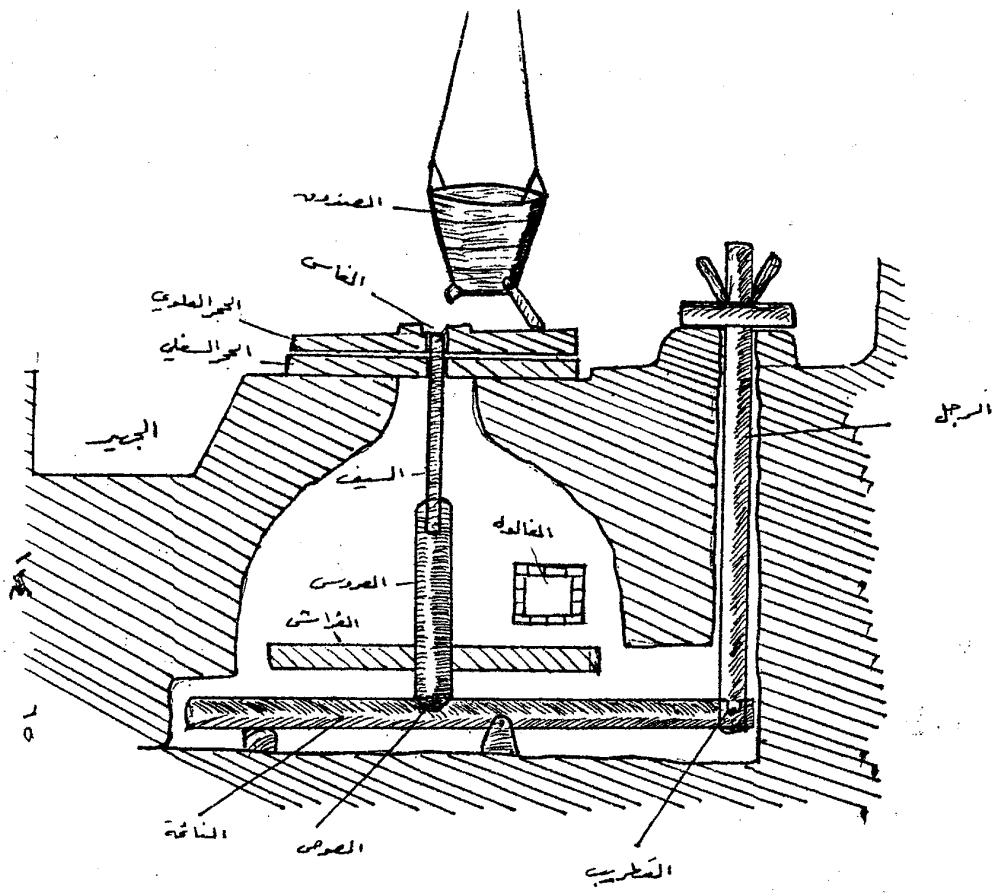
أوحجري المطحنة، كان الماء ينصب في بئر المطحنة والذي يبلغ ارتفاعه حوالي الأربعة أمتار وفي أسفل هذا البئر فجوة كبيرة تدعى المغارة تمتلئ بالماء المتساقط بقوة من أعلى البئر، ثم ينطلق الماء بقوة من فجوة ضيقة منحدره تدعى الغالول ليصطدم بشفرات الدوLAB المعدني المائلة والذي يدعى الفراش وهو مثبت على محور خشبي قائم يدعى العروس في نصفه السفلي والسيف في نصفه العلوي وهذا المحور يرتكز تحت الفراش على قطعة خشبية أفقية طويلة تدعى النائمة في حفرة صغيرة فيها تدعى الصوص، وأعلى المحور (السيف) ينفذ من أرضية الطاحونة ويمر من فتحة مركز حجر الرحي السفلي والذي يبلغ قطره حوالي المترين ويعلوه حجر الرحي العلوي المتحرك والذي يماثله في الشكل والحجم، والسيف يحكم شدة إلى الحجر العلوي بقطعتي خشب متصلتين تدعيان الفأس.

عندما يسمح للماء في السقوط بالبئر يندفع هذا الماء من المغارة عبر فتحة الغالول بقوة فيصطدم بشفرات الفراش والذي يدور وينقل الحركة بدوره عبر المحور الذي يربطه بحجر الرحي العلوي فيدور حجر الرحي، ويوجد فوق حجر الرحي صندوق خشبي على شكل قمع مثبت بحبال إلى سقف المطحنة على شكل أرجوحة قابلة للاهتزاز في أسفلها ثقب يمكن التحكم به ويسمح للحبوب بالسقوط منه في فتحة مركز حجر الرحي، وهذا القمع تثبت عليه قطعة من الخشب تلامس في طرفها السفلي السطح العلوي لحجر الرحي بحيث إذا دار الحجر تهتز قطعة الخشب هذه فتتهز بدورها القمع المليء بالحبوب مما يساعد على إسقاط هذه الحبوب من فتحته إلى

مركز فتحة الرحى والتي تنهرس بين الحجرين ويتناثر الطحين من أطراف حجري الرحى ويجمع في حفرة قريبة تدعى الجهير.

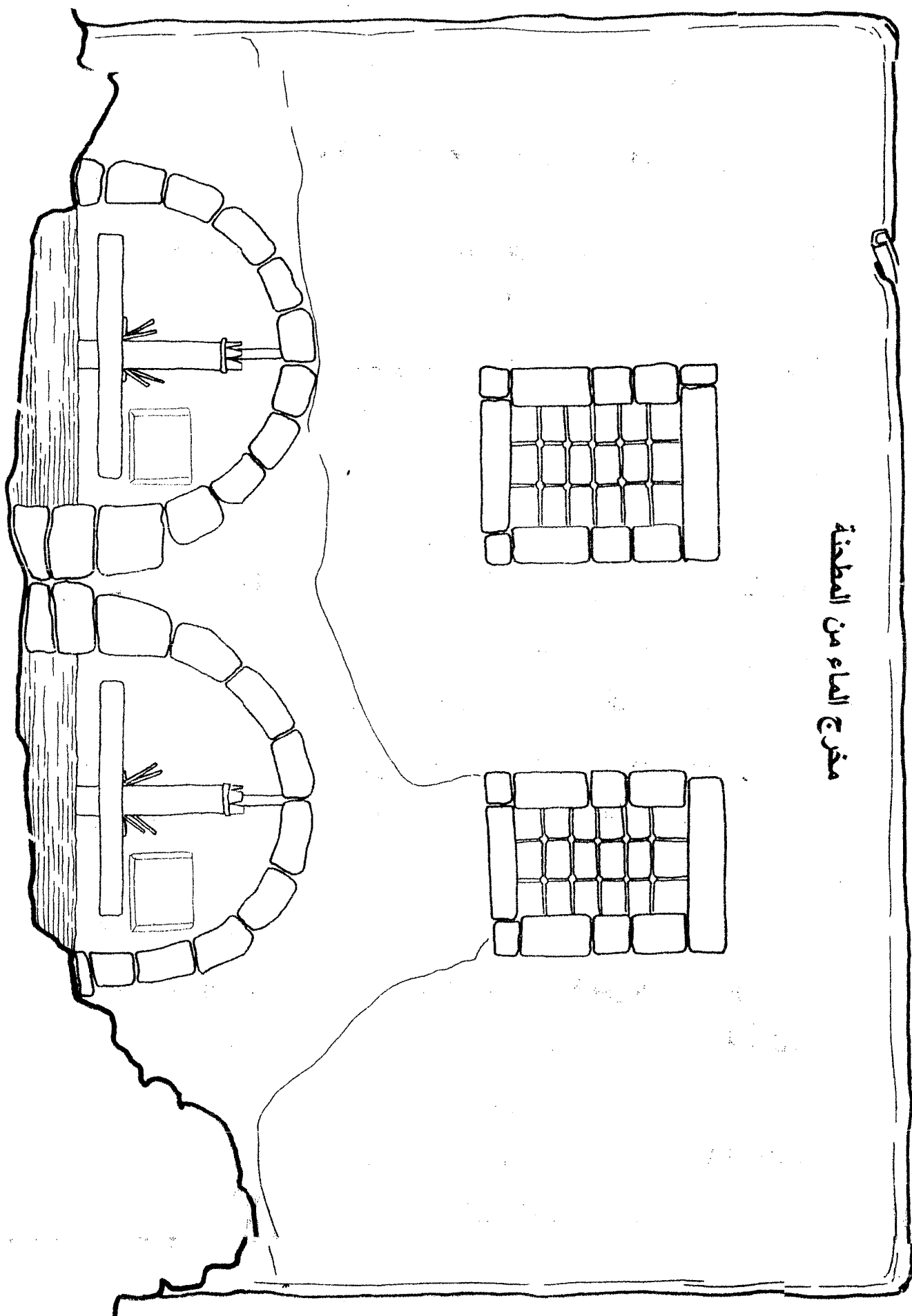
ويمكن لعامل المطحنة أن يرفع حجر الرحى العلوي قليلاً ويخفضه عن طريق الضغط على عمود من الخشب ينفذ من أرضية المطحنة ويدعى (الرجل) ويتصل بأسفله بمفصل يدعى (القطريب) بخشبة النائمة والتي هي عبارة عن عتلة وترتكز في وسطها على محور مثبت في الأرض، وعندما يتم الضغط على (الرجل) يرتفع قليلاً نصف النائمة التي يرتكز عليها الفراش فيرتفع هذا ويرفع بدوره حجر الرحى العلوي، وعندما يتم سحب (الرجل) إلى الأعلى ينخفض الفراش ثم حجر الرحى العلوي، ويرفع حجر الرحى العلوي وإنزاله يمكن التحكم بنعومة البرغل أو العدس أو الطحين.

والمطحنة عبارة عن بناء واسع ومرتفع الجدران يتألف من بهو واحد يحوي حجري الرحى ومكاناً مخصصاً لحفظ أكياس الحبوب والدقيق، أما الطابق السفلي من المطحنة فيحوي الفراشين وتوابعهما، والماء ينطلق بعد الفراش من خلال فتحتين على شكل قنطرتين، ارتفاع كل منهما حوالي المتر والنصف ليستمر جريان الماء في الجدول بعد المطحنة.



مقطع مطحنة

مخرج الماء من المطحنة



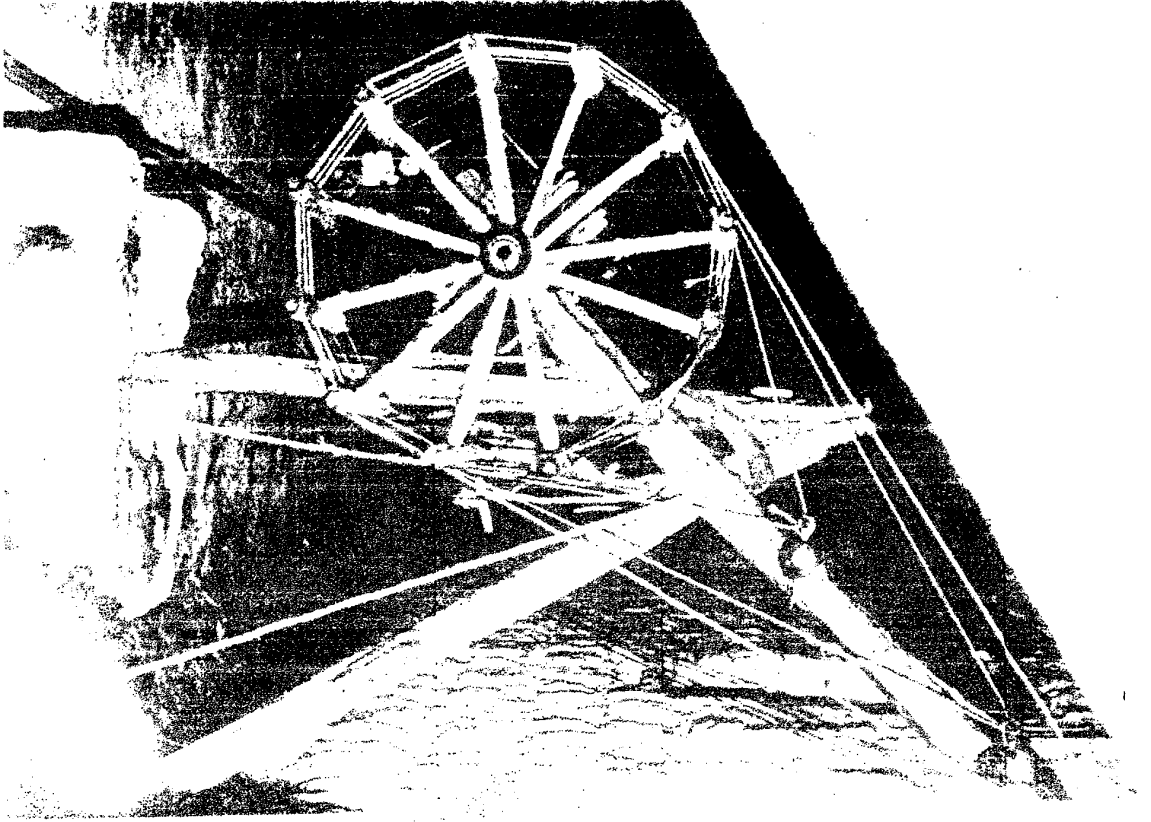
غزل الشعر ونسجه

من أهم مناطق صناعة خيام البدو في بلاد الشام يبرود وأريحا وجسر الشغور في القطر السوري وبلدة شحيم في القطر اللبناني، وقد وجدت صعوبة في تحديد تاريخ هذه الصناعة في يبرود، ولكنه من المؤكد أنها تعود لعدة قرون مضت، حيث أن هذه الحرفة تعتبر من أهم وأقدم صناعات هذه المدينة، وكانت تلي حرفة الزراعة من حيث النشاط الاقتصادي لسكان يبرود.

هذه الصناعة تعتمد بالدرجة الأولى على المادة الأساسية لها وهي شعر الماعز المحلي أو المستورد كمادة أولية للغزل والنسيج، حيث يقوم حرفيو هذه الصناعة بتوضيب الشعر الخام وغزله ونسجه ليتحول إلى نسيج يصلح أن يكون خياماً لسكان البوادي والصحاري، حيث كانت هذه الخيام تقيهم قر الشتاء وحر الصيف.

غزل الشعر:

- ١ - قبل أن يتم نسج الشعر يجب أن يمر بعدة مراحل وأهمها:
١ - غسل الشعر الخام بالماء لازالة مايلق به من أتربة أو شوائب ثم نشره وتجفيفه في أشعة الشمس.
- ٢ - صباغ الشعر بتغطيسه بصباغ أسود مرتفع الحرارة ثم نشله بعد عدة دقائق واعادة نشره في أشعة الشمس ليجف.



دولاب غزل شعر السدى

٣ - بعد تجفيفه تماماً يتم ندف الشعر بطريقة يدوية تستعمل بها حبال القنب الرفيعة المشدودة إلى عصا تضرب الشعر فتجعله أقل تماسكاً عما كان ليسهل غزله.

٤ - بعد عملية الندف يملأ الشعر في جراب يربطه عامل الغزل على خصره من الأمام ليكون في متناول يديه حتى يسهل عليه تلقيم الشعر للمغزل.

٥ - يتم غزل شعر السدى بطريقة يدوية وبواسطة مغزل خاص يغزل خيطين في وقت واحد حيث يستعمل العامل كلتا يديه، وبعد أن يغزل العامل الخيطين الأولين يربطهما مع بعضهما ليلتقا حول بعضهما ويشكلان خيطاً مزدوجاً متيناً، في نفس الوقت يقوم العامل بغزل خيطين مفردين آخرين، ويغزل العامل حوالي خمسة كيلو غراماً من الشعر يومياً.

٦ - يتم غزل شعر اللحمة الناعم والقصير التيلة والذي يدعى «شعر الكنبك» على دولاب غزل يدوي صغير يدعى (دولاب الكنبك) وتعمل عليه النساء خاصة وهن جالسات على الأرض أمامه.



دولاب الكنبك لغزل شعر اللحمة

وتستطيع المرأة الماهرة أن تغزل يومياً حوالي ثلاث كيلو غرامات من شعر الكنبك، وعندما يتم غزل شعر السدى واللحمة ينتقل العمل إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة نسج خيوط الشعر.

حياكة أونسج الشعر:

هذه المرحلة تلي مرحلة غزل الشعر، فكيف تتم حياكة الشعر؟ وماهي الأدوات المستخدمة في هذه الصناعة القديمة والتقليدية والتي كانت مصدر رزق لكثيرين جداً من أبناء بلدة يبرود.

١ - يقوم عامل الحياكة بفرد خيوط الشعر على آلة قديمة تسمى (النول) ويصنع النول من الخشب القاسي وهو أشبه بنول صناعة السجاد اليدوي.

٢ - إن فرد خيوط الشعر على النول والقلاب يكون بحسب طول (الشقة) وعرضها، ويمكن أن نقسم أطوال الشقة إلى مايلي:

آ - شقة بطول ١٢ متراً تقريباً ويطلق عليها اسم ثلاثينية أي بطول ثلاثين قدماً تقريباً.

ب - شقة بطول ١٦ متراً تقريباً ويطلق عليها اسم أربعينية أي بطول أربعين قدماً تقريباً.

ج - شقة بطول ٢٠ متراً تقريباً ويطلق عليها اسم خمسينية أي بطول خمسين قدماً تقريباً.

ملاحظة: إن هذه الأطوال تقريبية، وباستطاعة عامل الحياكة أن يحدد الطول الذي يريده وذلك عن طريق تقريب أو إبعاد (القلاب) الذي يحدد الطول المطلوب، أما بالنسبة إلى عرضها فيكون من أربعين إلى سبعين سنتيمتراً وقد يقل أو يزيد حسب الرغبة والطلب،

وعرض الشقة يحدده عدد خيوط السداة فكلما زادت خيوط السداة زاد العرض وأصبحت الشقة أفضل لأنها تكون متماسكة ومتينة بسبب قرب الخيوط من بعضها بعضاً، وهناك اصطلاح لدى من يعمل في هذه المهنة، أن كل أربعة خيوط تشكل (عدة) لذلك عندما نسأل عامل الحياكة عن عرض الشقة يقول: عرضها أربعون سنتميترًا وعدد عداتها مثلاً ثلاثون أو خمس وثلاثون عدة وهكذا...



حائك أمام نوله

أهم الأدوات المستخدمة في هذه الصناعة هي:

١ - المشط: ويكون مصنوعاً من الحديد ويتراوح وزنه ما بين ٤ -

٨ كغ تقريباً ومهمته رص خيط اللحمة مع خيوط السداة.

٢ - السيف: ويصنع من الخشب القاسي ويتراوح طوله من ٨٠ سم

إلى متر تقريباً ومهمته فرد خيوط السداة ليستطيع العامل إدخال

قضييب اللحمة.

٣ - الكابس: وعمله إبعاد خيوط السداة عن بعضها ليتمكن العامل

من ادخال السيف بين الخيوط تهيئةً ليدخل خيط اللحمة من

جديد ورضها بالمشط وبهذا يكون قد شكل (الحدفة الأولى).

٤ - الشوكة: قطعة خشبية قصيرة مدببة الرأس لايزيد طولها عن

١٥ سم وتسمى (الخلال) ويمررها الحائك على خيوط السداة

لفصل الخيوط والشعرات عن بعضها.

وقد وصف لنا أحد الشعراء واسمه (دريد بن الصمة) سقوط

الرماح والسهم على أخيه الشجاع في ساحة المعركة، بشوكة

الحائك التي تسقط على خيوط الشعر حيث قال:

غداة دعاني والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد

وبهذا يمكن أن نسمي شوكة الحائك بالصياصي.

٥ - القانونة: وهي اسطوانة معدنية وتوضع على فخذي النول وتلف

عليها خيوط النيرة مرتبطة بنصف خيوط السداة، وعملها جعل

خيوط السداة متخالفة.

٦ - قضبان اللف: عيدان من الخشب تلف عليها خيوط اللحمة وهي

أشبه بالمكوك بالنسبة إلى الصناعات النسيجية الحديثة.

٧ - خيط النيرة: خيط من القطن يلتف حول القانونة ومهمته أن

يتخلل خيوط السداة ويخالفها مع بعضها.

٨ - الشمع العسلي: ويمرر على الكابس والسيف بين الحين والحين

لتسهيل فصل خيوط السداة عن بعضها.

فوائد هذه الصناعة القديمة التقليدية:

إن أهل البادية لا يسكنون إلا في بيوت من الشعر لأنها تلائم البيئة التي يعيشون فيها ويتم تصنيع هذه البيوت بتجميع عدد من الشقق المنسوجة وزرقتها بألوان متعددة تناسب الذوق، ويتم نصبها وأرفعها على أعمدة من الخشب، إن هذه البيوت دافئة شتاءً، باردة صيفاً لذلك فضلها أهل البادية ولولم تكن كذلك لما قالت الشاعرة ميسون بنت بحدل الكلابية زوجة معاوية بن أبي سفيان عندما سكنت القصور المنيفة في الشام:

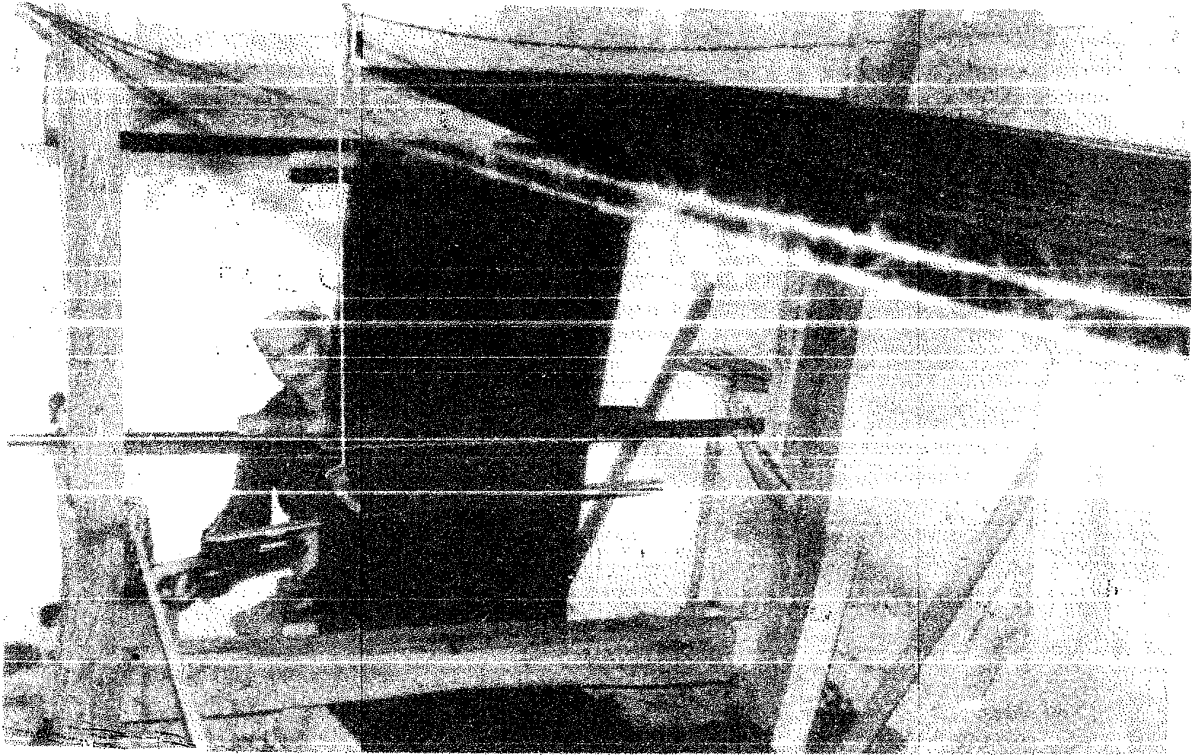
وما أدراك ما القصور ولكنها حنت الى سكن بيوت الشعر فقالت:

لبيت تخفق الأرياح فيه أحب الي من قصر منيف

المشغل:

مشغل غزل ونسج الشعر عبارة عن بناء بطول حوالي خمسة وعشرين متراً تقريباً وعرض يتراوح بين أربعة إلى خمسة أمتار وسقفه يرتفع حوالي الثلاثة أمتار والنصف محمول على عدة أقراس حجرية، ويحتوي هذا المشغل على نول الحياكة الذي يثبت في مقدمة البناء ومغزلين أو ثلاثة مغازل لشعر السدى يعمل عليها الغزالون، حيث تثبت هذه المغازل في صدر البناء وحيث يعقد

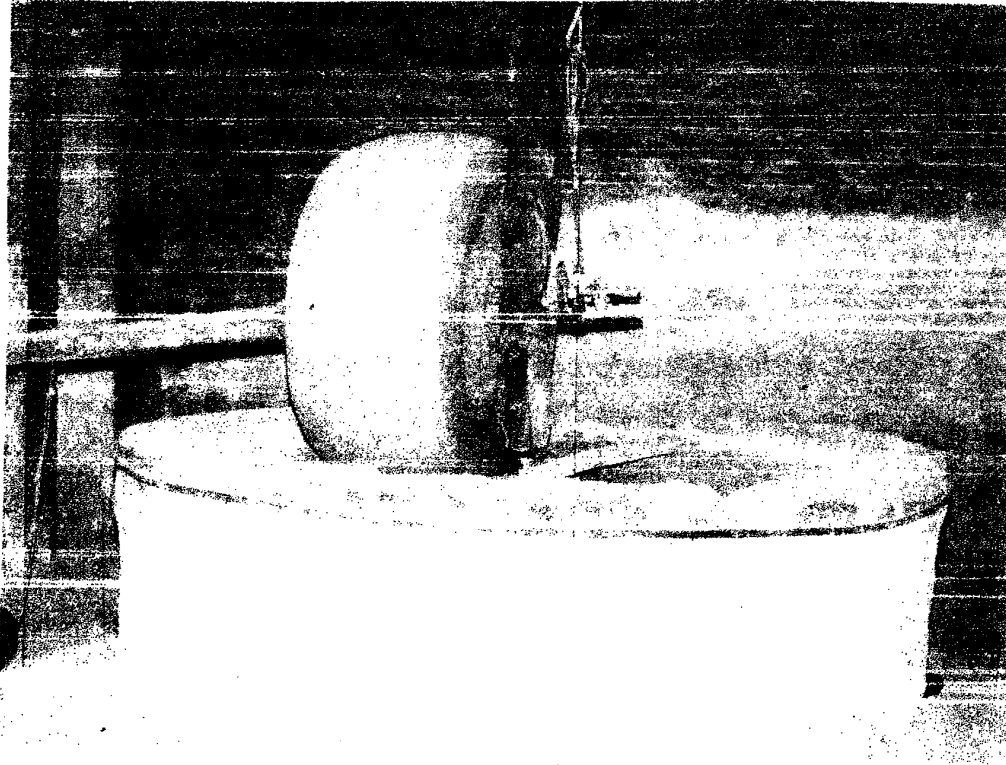
عامل الغزل مقدمة الخيط الذي يغزله فيه وبإمكانه أن يروح
ويجيء من صدر المشغل إلى مقدمته وهو يقوم بعملية غزل خيوط
الشعر.



حائك شعر أمام النول

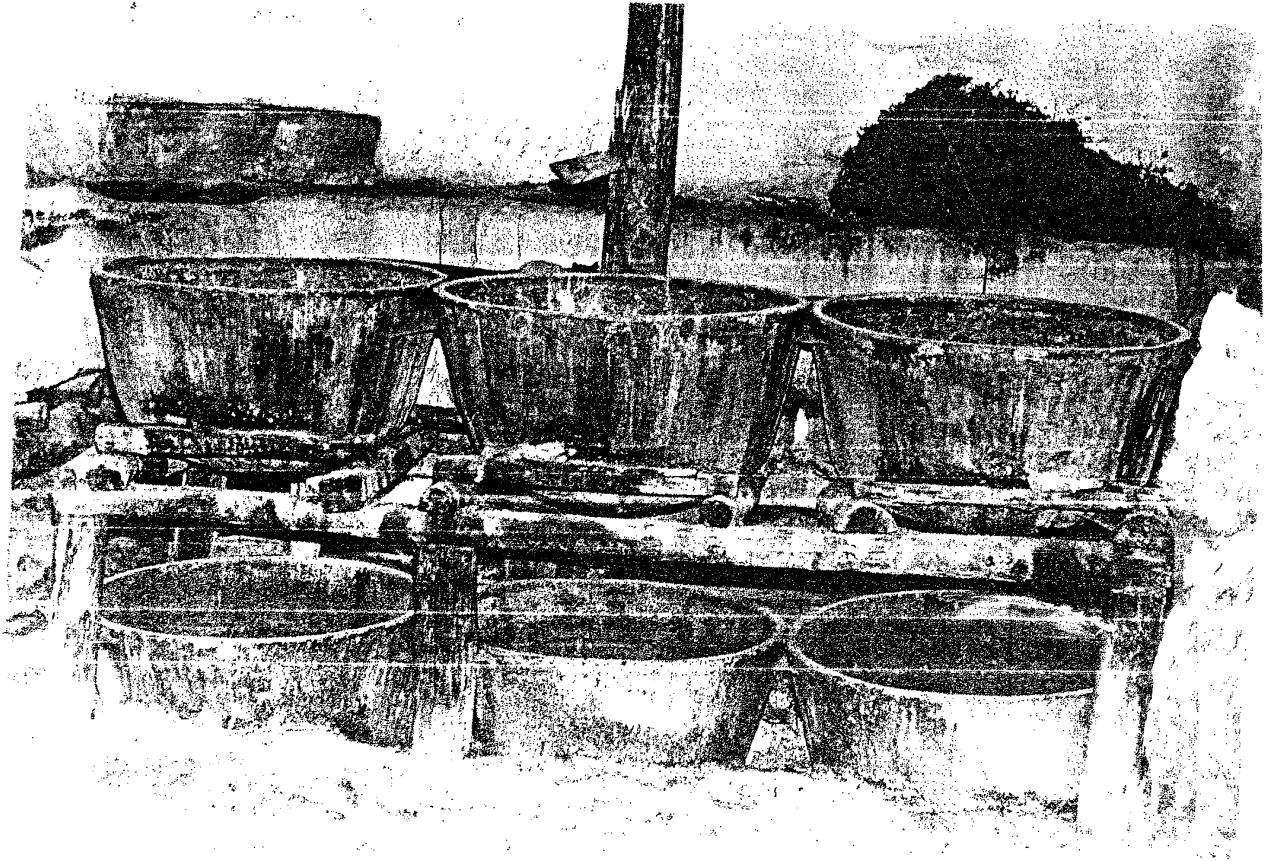
صناعة الدبس

كان في يبرود حوالي سبعة معاصر لصناعة الدبس تكفي حاجة البلدة والقرى المجاورة لها من هذه المادة، والمعصرة كانت عبارة عن بناء طيني واسع وكبير له سقف مرتفع قليلاً، وكانت الواحدة منها تتسع لعدة أقسام، فحجر المدار الضخم الذي يدور حول محور على مصطبة تعلو عن الأرض حوالي المتر تقريباً والذي يديره بغل قوي مشدود إلى خشبة متصلة بالحجر المذكور يأخذ حيزاً في وسط بناء المعصرة، ويعمل هذا الحجر على سحق الزبيب المعد لصنع الدبس.



حجر المدار الذي يهرس الزبيب

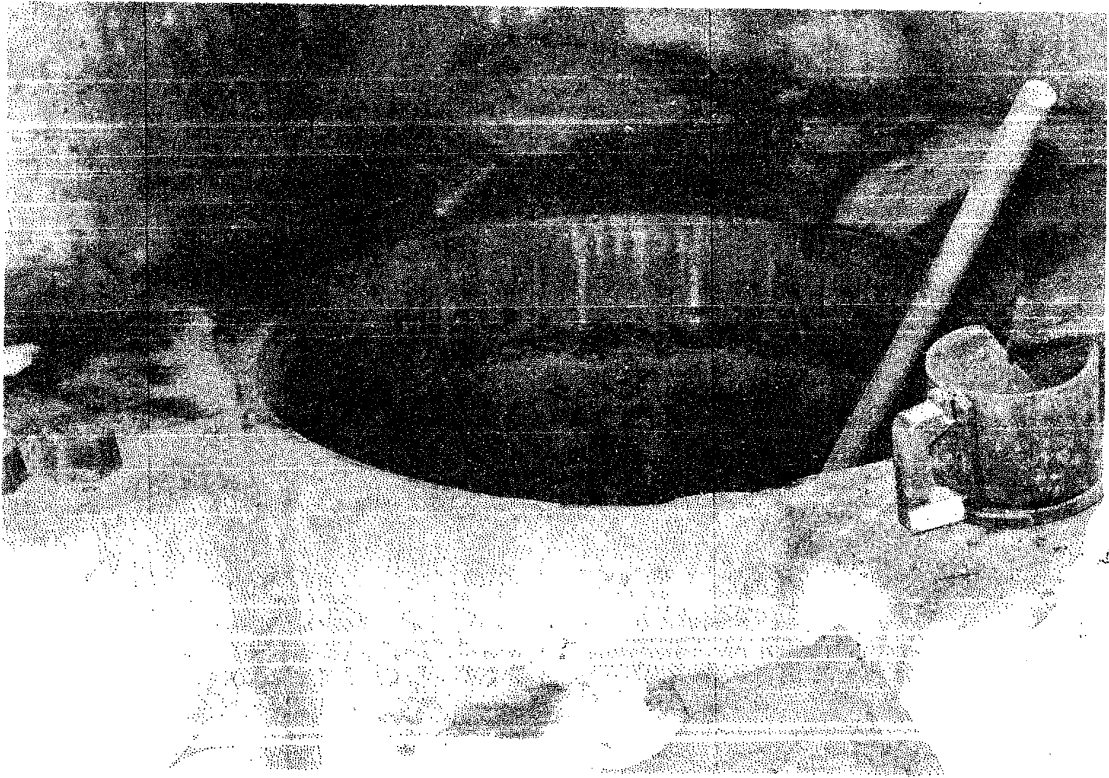
كما أن هناك قسماً قريباً من بوابة المعصرة تثبت فيه الحلة النحاسية الكبيرة (الجعيلة) على قاعدة تحيط بالحلة مبنية بحجارة وطين حيث كان يترك تحت الحلة فراغ ليكون موقداً تشعل فيه النار، وللموقد فتحة على فناء المعصرة لقذف الوقود منها والمؤلف من الشيح والقصل، وفي المعصرة قسم لخزن أكوام الزبيب بعد هرسه (الدريس) حيث توضع كل كومة بجانب أخرى، وفي المعصرة موضع لخزن الوقود، وعلى أطراف جدران المعصرة الداخلية تثبت (بدلات التواغير)، والبدلة الواحدة مؤلفة من ست أوعية فخارية كبيرة على شكل نصف كرة، ثلاثة منها مثبتة على بناء مرتفع مجوف ومثقوبة بثقب في أسفلها ومرتببة بجانب بعضها وتحتها مباشرة وتحت كل قدر (تيفار) قدر آخر يماثله مثبتة على الأرض ولكنها بدون ثقوب وترتفع العلوية عن السفلية منها مقدار متر تقريباً، ويتسع القدر الواحد حوالي ستة صفائح من الماء ١٢٠ ليتراً، وقد تحتوي المعصرة على عشر بدلات من هذه القدور، ووظيفة القدور العلوية منها نقع الدريس بالماء الصافي النظيف ليتحول هذا الماء الى عصير شديد الحلاوة ويدعى (جلاب).



بدلة التيفارات

وتتم صناعة الدبس كما يلي: تنقل الأسرة الزبيب الجيد والمهيأ للتدريس إلى المعصرة مع الوقود اللازم، ثم يفرش الزبيب كمية إثر أخرى على مصطبة حجر المدار بسماكة لاتزيد عن ٢ سم ثم تربط الدابة إلى خشبة الحجر لجره فيدور الحجر الضخم حول المحور ويقوم بهرس الزبيب بشكل جيد حيث يصبح دريسا، وبعد ذلك يتم جمعه على شكل كتل كروية الواحدة منها بحجم كرة السلة، ويرش عليها فتات الحجر الكلسي (القشاش) والذي يقوم بامتصاص الحموضة من هذا الدريس، ثم تنقل هذه الكتل إلى القسم المعد لحفظها حيث تكوم على الأرض كل عشرة منها أو أكثر في كومة

واحدة، ويكتب عليها بالاصبع اسم صاحبها ثم تترك لمدة لا تتقص عن أسبوعين حيث تجف تماماً وتصبح قاسية، وبعدها يحضر أفراد الأسرة ويأخذون في تفتيت كوم الدريس بواسطة قدوم معدني إلى قطع صغيرة على شكل شرائح، ثم تنقل هذه الشرائح إلى القدر (التيفار) العلوي الأول في إحدى البدلات ويغلق ثقب هذا القدر بقطعة خشبية ويوضع فوق الثقب قطعة من شيح اللبان مرصوفة بحجر ثم يصب الماء النظيف ليغمر الفتيت ويعطوه بحوالي عشرة سنتيمترات، ويترك لمدة ثلاثة أيام حيث ينحل الدريس في الماء ويتحول الماء إلى عصير شديد الحلاوة، فيقوم عامل المعصرة بفتح ثقب القدر ليصب العصير إلى القدر السفلي، ويضع كمية من الفتيت الجديد في القدر العلوية الثانية بعد اغلاقه فتحتة.



جعلة الدبس

ويأخذ العصير الذي نزل من الأول ويصبه في القدر العلوي الثاني فوق الفتيت الجديد، ثم يغلق فتحة القدر الأولى ويسكب فوق فتية ماء جديداً ويتركه إلى اليوم الثالث حيث يتم فتح فتحتي القدرين معاً ويضع في القدر العلوية الثالثة فتية جديداً ويقوم بنقل عصير الثانية إلى العلوية الثالثة وعصير الأولى إلى الثانية، ثم يغلق الفتحات للقدر العلوية الثلاث ويصب الماء الصافي على فتيت القدر الأولى للمرة الثالثة، وفي اليوم الثالث يفتح فتحات الثلاثة ويأخذ عصير القدر الثالثة إلى الحلة النحاسية (الجعيلة) للطبخ، بعد أن علقت عليه حلاوة فتانت القدر الثلاثة، ثم ينقل عصير الأولى إلى الثانية وعصير الثانية إلى الثالثة، ويلقي ببقايا فتيت القدر الأولى خارج المعصرة حيث يعرض لأشعة الشمس ويصبح وقوداً ويدعى (جنزيه)، وهنا تشعل النار تحت الحلة ويأخذ الدباس في ضرب العصير الذي يسخن ثم يأخذ في الغليان بالمشلات الخشبية حتى يمنعه من الفوران، ويدوم ذلك نحو ساعة أو أكثر حتى ينضج تماماً ويصبح كثيفاً ثم تطفأ النار ويستمر الدباس في ضرب الدبس وتحريكه في الحلة نحو نصف ساعة أخرى، ثم يتم رفعه من الحلة (الجعيلة) بوعاء اسطواناني مصنوع من الخشب يدعى (الملقاية)، ثم يعبأ في دسوت نحاسية كبيرة لكل منها حلقتان حيث يقوم شابان بادخال عمود خشبي في حلقتي الدست ثم يرفعان العمود من كلا الطرفين على أكتافهما وينقلان الدبس إلى المنزل والذي تعلوه رغبة طيبة المذاق ثم يصب الدبس في جرار فخارية

كبيرة لتخزينه ويضرب يومياً في داخل الجرة بعود من خشب الحور له عدة شعاب حتى تتماسك ذرات الدبس جيداً.

وبعد ثلاثة أيام تتكرر نفس العملية حيث يتم نقل عصير القدر الثالثة إلى الحلة (الجعيلة) ليطبخ دبساً وعصير القدر الثانية إلى الثالثة حيث ينقع فتيتها ثلاثة أيام أخرى ثم يؤخذ عصيرها إلى الحلة أيضاً ليطبخ أيضاً وتدعى كل من هذه الطبخات (الرأس الأول والثاني والثالث).

وأحياناً كان بعض الشيوخ والكهول من الرجال يلتقون في المعصرة في الأيام الباردة يلتقون قرب موقد الجعيلة ويقضون بضع ساعات طلباً للدفع في أحاديث وحكايات ومنهم من يدخل حبات البطاطا في الرماد الحار حيث تتضج وتصبح لها مذاق طيب وفي المساء كانت جرار الفول اليابس تطمر في هذا الرماد الحار بكاملها عدا فتحتها التي تغلق بقطعة من القماش المكور، ثم يأتي أصحاب هذه الجرار صباحاً لأخذها بعد أن يكون الفول قد نضج وأصبح جاهزاً للأكل.

المرأة ونظام الزواج

المرأة البيرودية

مجتمع بيروود أعطى المرأة مكانة ممتازة وجعلها شريكة الرجل في كل شيء، فقد منحها حق التعليم ويسر لها السبل إليه منذ فترة مبكرة من الزمن، بل وشجعها على ذلك حتى نالت المرأة البيرودية منذ بداية القرن العشرين قسطاً وافراً من العلم والثقافة أهلها كل ذلك لأن تكون عضواً فعالاً في مجتمعها إلى جانب كونها ربة منزل ومربية ممتازة وشريكة لزوج تحمل عنه الكثير من أعباء الحياة وعوناً له في السراء والضراء، فكان زوجها يقدرها وغالباً ما كان يستشيرها ويأخذ برأيها في كثير من الأمور ويعمل به، وقد نالت المرأة البيرودية إلى جانب حقها في التعليم حقها أيضاً في الميراث وفي التملك وفي اختيار شريك حياتها، ومن النادر جداً مانجد في بيروود أباً غصب ابنته على الاقتران بشخص لا تريده ولا تهواه، كما أن عادة وجود الخاطبات اللاتي يكن وسيطات في الزيجات في بعض المجتمعات معدومة تماماً في بيروود، لأن الشاب يمكن له أن يتعرف على شريكة حياته ويختارها دون واسطة أحد، لأن مجتمع بيروود منفتح وغير مغلق، أومتزمت فكان الشاب يختار الشريكة المناسبة من بين الفتيات اللاتي يلتقي بهن في الشارع والحقل والبيت حيث كان الاختلاط شائعاً بين الجنسين في حدود الأدب

والحشمة والتقاليد ولاغضاضة أبداً في أن يجتمع الشبان والفتيات من أبناء الحي أو الجيران أو الأقارب في مواسم السلق والجرش وقطف العنب وسطاحه وفي بعض السهرات وحفلات الزواج وفي الأعياد وفي مناسبات أخرى، حيث لم تعرف المرأة البيرودية الحجاب قط ولم تستر وجهها بل كان يكفيها ماترديه من ملابس محتشمة وغطاء رأس دون الوجه، وكانت تملك قسطاً من الحرية مقيدة بحدود الدين والأدب والأخلاق والتقاليد.

وكانت المرأة البيرودية عوناً لزوجها في الحقل وكثير من الأعمال الزراعية، وقد تمارس أعمالاً قد تدر عليها أرباحاً تشارك بها زوجها في الانفاق على البيت كعملها في غزل الصوف والشعر وكثير من الأعمال اليدوية كأشغال الخياطة والتطريز وأشغال الأبرة وحياسة الصوف، وبعض النساء كن يمارسن أعمال البيع والشراء ويجنين أرباحاً يساعدن بها أزواجهن وعائلاتهم.

أعمال المرأة في يبرود

من أهم الصفات التي تتصف بها المرأة في يبرود حسن المعشر والذكاء والمهارة في تدبير شؤون بيتها واسرتها، تحسن تربية أولادها وتأسر زوجها بلطف معشرها وحنانها كما تشاطر هذا الزوج حلو الحياة ومرها، ولا تحمله ما لا طاقة له به، تعايش ظروفه، أمينة على بيته وماله، تهيء لزوجها دائماً أسباب الراحة والسعادة والهناء، ومن النادر في يبرود أن تجد رجلاً أشرك زوجة أخرى على زوجته أوحى فكر بذلك.

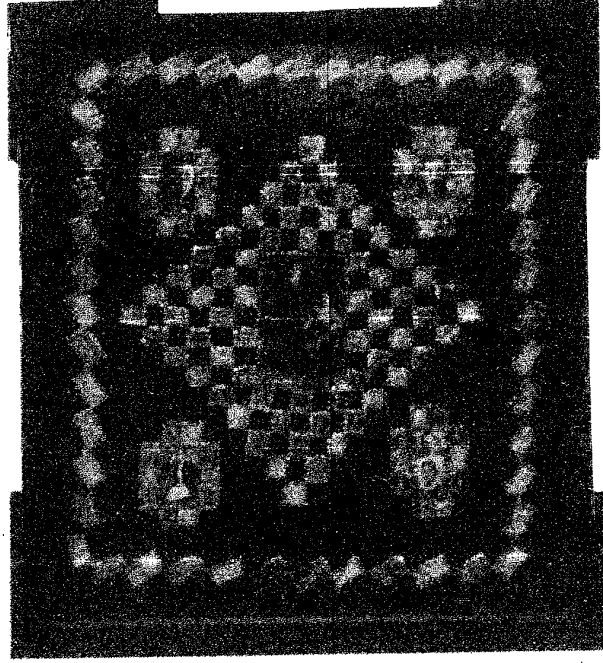
كانت المرأة زوجة الفلاح في يبرود تشارك زوجها في أغلب أعمال الزراعة وتقدم له المساعدة والمعونة في الحصاد وجمع المحاصيل الزراعية وزراعة الخضار وقطف الثمار وسطاح العنب وغيره، كما تقوم على العناية بالحيوانات والدواجن، فتحلب البقرة والنعجة وتجمع بيوض الدجاج، وتشرف على مؤونة البيت، وتذهب إلى الطاحونة لطحن القمح ثم تعجن وتخبز على التتور، وتهيء طعام أسرتها وزاد زوجها عندما يخرج إلى حقله، كما أنها المسؤولة عن طينة وحوارة منزلها، تجلب ماء الشرب على رأسها من مناهل عين كوشل الموزعة في البلدة وتجلب ماء النهر لإرواء الدواب والدواجن واستعمالات المنزل المتعددة.

بفضل النساء كانت منازل يبرود ودورها نظيفة مرتبة، جدرانها الخارجية والداخلية بيضاء اللون من أثر دهنها بالحوارة، فكان المسافر

الذي يؤم البلدة ويطل عليها من بعيد يجد يبرود بمنازلها كالحمامة البيضاء تحيطها الخضرة من أغلب نواحيها، وليس جديداً إهتمام المرأة اليبرودية الشديد بمظهر زوجها وأولادها وحسن هذامهم ونظافة ثيابهم، كانت أغلب نساء يبرود يتعلمن مهنة الخياطة قبل الزواج عند بعض معلمات هذه المهنة المتوفرات في البلدة، وكن يقمن بخياطة ملابس أفراد أسرهن ويجدن ذلك تمام الاجادة.

وكثيرات من نساء يبرود كن يشاركن أزواجهن الانفاق على بيوتهن بممارستهن أعمالاً كانت تدر عليهن أرباحاً، وكانت أشهر هذه الأعمال غزل الشعر القصير الناعم على مغازل يدوية تدعى (دواليب الكنبك) حيث كان متوسط ماتغزله العاملة يومياً رطلاً من الخيوط التي كان يستخدمها حاكّة خيام البدو في اللحمة. إلى جانب ذلك كانت المرأة في يبرود وهذا شأنها دائماً تملك مهارات يدوية متميزة فهي ماهرة في أشغال الإبرة والسنارة، تحوك بسنارتها خيوط القطن أو الحرير أوخيوط الحرير الرفيعة (التنتتا) لتصنع منها طاقيات لرؤوس الرجال بأشكال وزخارف بديعة تلفت الأنظار، كانت النساء تشتغلها لبعض تجار هذه الأصناف مقابل أجره لابس بها، كما أنه كان لبعض النساء مهارة في غزل صوف الغنم بمغازل يدوية ثم تحويل هذه الغزول إلى سترات وكنزات وجوارب وأكف صوفية بعد نسجها بالسنارة، بما يكفي حاجة أفراد الأسرة من الملابس الصوفية، كما أن كثيرات من النساء كن يقمن بنسج الجوارب والأكف الصوفية لبعض التجار مقابل أجور تلبي بعض حاجاتهم.

إلى جانب ذلك فإن لنساء يبرود مهارة لاتضاهى أبداً في أشغال
الابرة وتطريز الشرشف والأغطية بأشكال مختلفة متعددة
وزخارف جميلة إلى جانب صف الخرز الملون والودع على
أطراف أغطية الرأس التي كانت تدعى (الشاشية والسنبلة) والتي
ترتديها الفتيات والنسوة على رؤوسهن، كما أنه لأغلب النساء
براعة في أشغال السنارة المنفردة بخيوط الحرير الرفيعة (التنتنا)
فكن يصنعن أغطية الأسرة والطاولات وستائر النوافذ وأغطية
المساند وغيرها بأشكال وزخارف بديعة تلفت الأنظار وتدل على
مهارة فائقة وذوق رفيع وحس بالجمال، كما أن أشغال (الميلون)
وهو تفريغ القماش بأشكال هندسية وزخرفية وحبك الأطراف
المفرغة بالابرة وخيوط الحرير الأبيض أو الملون كانت من بين
المهارات التي تتمتع بها نساء يبرود، كما أن صناعة إطارات
الصور من شرائق دودة الحرير (القر) بأشكال جميلة وتنسيق متقن،
وصناعة المساند ذات الأشكال المربعة أو المستديرة من قماش
الحرير الملون (الأطلس) والمحشوة بالقطن كانت في غاية الجمال
والروعة وخاصة عندما كانت النساء تتحكم في ثباتها وصنع
الأشكال النافرة فيها والزخارف الرائعة كانت أيضاً من ضمن
مهارات المرأة في يبرود.



برواز صور من أعمال نساء يبرود

كانت الأمهات عندما تبلغ بناتهن سن الزواج يشجعهن على تعلم فن الخياطة وأشغال الإبرة وحياسة الصوف وأشغال البيت كالطبخ ودق الكبة والعجن والخبز والغسل وترتيب البيت وكانت الأم تتقل جميع خبراتها لابنتها لتؤهلها أن تكون زوجة ناجحة صالحة في بيت زوجها، وكانت الفتيات بعد تدريبهن على هذه الأشغال يمارسها في صنع حاجيات بيوتهن الزوجية المستقبلية فيصنعن الشرشف والمساند وأكسية الرأس والثياب الداخلية وتطريزها بالإبرة أو السنارة، فكان نصف جهاز العروس من صنع يديها قبل الزواج.

العادات الاجتماعية في الخطوبة والزواج

الخطوبة

كان مجتمع يبرود يفضل الزواج المبكر لأبنائه، وكان ربّ كل أسرة يرى أن من واجبه تزويج أولاده على حياة عينه، كما كان يرغب أن يرى أحفاده يملؤون الدار، وذلك لأن المجتمع بكامله كان محباً لكثرة الخلف والنسل، كما أن الأسرة ترى في زواج الابن زيادة فرد منتج والتي هي الكنة التي ستعين حماتها وتحمل عنها بعض أعباء المنزل وتساعد الأسرة في أعمال الزراعة وغيرها، لذلك ما أن يبلغ الابن السن التي تؤهله للزواج حتى يصبح هم الوالدين وأقربائه وأصحابه ومعارفه الإسراع في انتقاء العروس الملائمة وتزويجه حتى يتم لوالديه الفرح والسرور والسعادة والحبور، فتري الجميع يحثونه على الإسراع بذلك حيث كانت تتنبه عواطف هذا الشاب وتستيقظ أفكاره لدى هذا الحث المتواصل والترغيب الملح، فيصبح شغله الشاغل هو سعيه لانتقاء فتاة تشاطره عيشه وأعباء الحياة.

البيئة الاجتماعية في يبرود هي بيئة زراعية تستدعي الاختلاط بين الجنسين في كثير من المناسبات، كما أن الحجاب لم يعرف طريقه إلى يبرود، حيث كانت أغلب الأعمال الزراعية يعمل بها

الجنسان معاً، كما أن تبادل التعاون الذي كان سائداً في كثير من
الأشغال والأعمال كان يسمح للشباب أن يرى الفتاة في الحقل
والبيدر والكرم وفي الشارع وفي الأعياد والمواسم وفي الأفراح
وفي السهرات وكثير من المناسبات، حيث كان يتم الاختلاط ولكن
في حدود الأدب والحشمة وكل فرد كان يعرف حدوده فلا يتعداها.
والشباب الذي كان يبحث عن خطيبة أحياناً كان يعتمد الوقوف مع
أترابه وخلائه قرب أحد ميازيب عين كوشل الموزعة في الأحياء
في أبهى حلة حتى يتمكن من اختلاس النظرات إلى الفتيات اللاتي
كن يردن الماء أو يصدرن عنها وهن حاملات جرارهن على
رؤوسهن حيث يخطرن في مشيتهن ويتباهين بمهارتهن في حفظ
توازن الجرار على الرأس بدون أن يستعن بأيديهن، فقد يجد لنفسه
ميراً أن يقدم المساعدة لأحدهن في رفع الجرة إلى رأسها، كما
أنه كان يقدم نفسه لمساعدة أهل الفتاة في أعمال الحقل والكرم
والسلق والجرش، وفي بعض مناسبات الأفراح والأعراس، حيث
كان يسعى لتبادل النظرات والابتسامات مع تلك الفتاة، وقد يجرها
إلى التجاذب ببعض الحديث إذا استطاع أن يبتعدا عن أنظار الوشاة
الفضوليين، وقد يبادرها ببعض عبارات التودد والهيام إذا سمح
الظرف له بذلك، ومتى وجد لديها الاستجابة لمبادلته المودة
أو الإعجاب عندها كان يسعى أن تتكرر مشاهدته لها، فيظهر عليه
ذلك لدى والدته أو إحدى أخواته، ويتسرب خبر تلك المودة إلى ذويه
الذين إما يباركون هذا الأمر مباشرة عندما تكون الفتاة ترضي
إرادة الوالد والوالدة وتلائم الأسرة من حيث المستوى الاجتماعي

والشكل والمهارة في أشغال البيت وغيرها، ويعرفون عنها ذلك، وإما أن يتم التباحث بينهم والسؤال عنها، أو تقوم والددة الشاب أو إحدى أخواته أو قريباته بزيارة بيت الفتاة بأية حجة لدرس أخلاقها والوقوف على صفاتها والتحقق من حسن صحتها واختبار نشاطها واهتمامها بأعمال البيت وطريقة (حواشيها) له، لأن في ذلك أهمية كبرى، لأن أهل عريسها يرون فيها عوناً لهم في تطيين جدران البيوت وحواريتها ودق الكبة ولف اليبرق والعجن والخبز إلى غير ذلك من الأشغال البيتية والزراعية كالحصاد والقطاف والسطاح ولسق البرغل وجرشه.

وقد تتعدد زيارات أهل الشاب التي تساعد على توثيق الصلات حيث ينتشر الخبر بين الناس عن عزم أسرة فلان لخطبة ابنة فلان. وأحياناً كان والدا الشاب هما اللذان يقومان بالبحث عن عروس لابنهما، وبعد أن يتم اختيار الفتاة المناسبة يتم اعلام الابن بذلك وإقناعه إذا أبدى تردداً أو تخييره بين أكثر من واحدة من المعارف أو الأقارب أو بنات الجيران، ومتى تم القرار على إحداهن توكل المهمة إلى والدته أو إحدى قريباته المقربات لزيارة بيت الفتاة لعرض الأمر على والدتها وجس نبض الأهل في قبولهم بالعريس إذا ماتقدم لخطبة كريمتهم، وهنا تطلب والددة الفتاة المهلة لبضعة أيام لمشاورة أبي الفتاة وأخوتها والفتاة نفسها، وإذا ماتم القبول وهذا ماكان يحدث غالباً وخاصة إذا كان الفتى المتقدم كفوفاً لهم، يقوم والد الفتاة بجمع أخوته ويبسط لهم الأمر حيث كان يعتبر ذلك واجباً مقدساً يتحتم عليه قضاؤه مع أهله وأنسابه، وكأنه يطلب بذلك منهم السماح بأن تخطب ابنته إلى من يطلب يدها، وكانت هذه الاستشارة

تعتبر حقاً لاختوته وأبناء عمومته فقد يكون من بينهم من يرغب في الاقتتران بابنته إذ أن له الحق الأول فيها، وليس على والدها وهذه الحالة إلا الرضوخ أحياناً لهذه الرغبة والقبول بها، فيضطر إلى أن يقنع ابنته على قبول الزواج من ابن عمها أرغبت فيه أم لم ترغب، فتزعن راضخة لأمر والديها ولا يكون لها نصيب في اختيار رفيق حياتها، أما إذا كان أبناء العم غير قادرين على الخطبة أو يمتنعون عنها لسبب ما فيتتحون عن هذا الميدان برضاهم حتى لا يكونوا عثرة في سبيل ابنه عمهم وسعادتها، فيقرر رأي أهل الفتاة عندئذ على أن يوافقوا على خطبة ابنتهم لمن طلبها، عندها يشيع الخبر بأن فلاناً أعطى قولاً بابنته فلانة إلى فلان ابن فلان.

عند هذا الحد وعند قبول العريس من أهل الفتاة، يقوم والد الشاب مع زوجته وبعض إخوته بزيارة أهل الفتاة للاتفاق معهم على تحديد موعد الخطبة (يوم المشاورة) وعن شكل الخطبة، هل يريدونها أهل الفتاة كبيرة أم معتدلة أم مقتصرة؟ إذا كان هناك عذر لأحد الطرفين مثلاً بقرب وفاة أحد الأقارب أو الجيران، حيث كانوا يحترمون مشاعر بعضهم البعض وكانت الأفراح تؤجل أو تختصر إلى حين ينتهي الحزن عند قريب أو جار، أو قد يتم استئذان أهل الحزن، وغالباً ما كان هؤلاء يباركون الأفراح ويطلبون عدم التأجيل ويبدون استعدادهم للمشاركة لولا الحزن الذي يخيم عليهم، ومع ذلك فقلماً يقام فرح أو عرس في جوار دار فقد أهلها عزيزاً عليهم احتراماً لمشاعرهم حتى أن أهل الحي بكامله كانوا يمتنعون عن دق الكبة أو حوارة (تببيض) منازلهم أو حتى الذهاب إلى الحمام مشاركة لجيرانهم في حزنهم.

وفي حين عدم وجود عذر لأحد الطرفين، يتم تحديد موعد الخطبة (المشاوره) وشكلها وفي تلك الليلة يقوم أهل الفتاة بتقديم واجب الضيافة لأهل العريس الذين يعودون إلى بيتهم للاستعداد ليوم المشاوره.

المشاوره:

قبل يوم الخطبة (المشاوره) بعدة أيام يقوم والدا العريس بالدوران على الأهل والأقارب ووجهاء العائلة والحي لدعوتهم للمشاركة في الجاهة والمشاوره، حيث كان الواجب يحتم على الجميع تلبية هذه الدعوة.

في ضحى يوم المشاوره تقوم والدته العريس وبعض أخواته بالذهاب مع العريس إلى بيت العروس لمرافقتها إلى سوق البلدة لانتقاء المصاغ الذهبي من محل الصائغ حيث ترافقها أيضاً والدتها وبعض إخوتها وخالاتها وعماتها، ويتم انتقاء المصاغ حسب الوضع المادي للعريس ويقوم العريس بدفع ثمنه ثم تلفه والدته بمحرمة تدسها في عبها، ويعود الجميع إلى منزل العريس لتناول طعام الغداء.

وفي عصر ذلك اليوم يقوم أهل العريس بارسال قفاير القش المايئة بالزبيب والتين المجفف والجوز وأحياناً القضامة إلى منزل أهل العروس لأن الضيافة التي سيقدمها أهل العروس في ليلة المشاوره على حساب أهل العريس.

وفي مساء ذلك اليوم يتوافد المدعوون من وجهاء الحي والعائلة وأقارب العريس من أعمام وأخوال وجيران وأصدقاء العريس إلى منزل والده حيث يكون المكان قد هيء لهم ثم تقدم الضيافة المعتادة لهم من قهوة مرة وشاي وجوز وزبيب وتين، وبعد العشاء حيث

يكتمل الجمع يطلب والد العريس الأذن من الوجهاء والضيوف
بالمسير إلى دار والد العروس، فيذهبون جميعاً الرجال في المقدمة
والنساء من خلفهم إلى بيت أبي العروس حيث يخف أهلها وأقاربها
لاستقبالهم والترحيب بهم بكل بشاشة وتبادر النساء من أهل
العروس باستقبال الضيوف بالزغاريد والأويها، ويدخل الجميع
ويتصدر أهل العريس المجالس حيث يبالغ أهل العروس بالترحيب
والاحتفاء بهم، وتقدم القهوة المرة والشاي والتبغ لمن يشرب الدخان
والأركيلة لمن يشرب الأركيلة، ثم تدور الأحاديث على ماتوحيه
الظروف الحاضرة، حتى تحل الفرصة المناسبة حيث يبادر كبير
أسرة العريس إلى كبير أسرة العروس وبعد أن يلقي على الجميع
التحية المألوفة بقوله مثلاً: "الله يمسيكم جميعاً بالخير يا جماعة
الخير، يا أبا فلان الله يجمعنا عندكم بالأفراح جميعاً، جئنا إليكم
خاطبين راغبين أن نناسبكم ونطلب منكم يد ابنتكم فلانة لابننا فلان
ابن فلان فلا تردونا خائبين وعقبال الأفراح عندكم جميعاً"، فيرد والد
العروس أوجدها أو عمها الأكبر أو كبير عائلتها: "أهلاً وسهلاً فيكم
جميعاً على عدد مامشيتو وجيتو، إن لم تسعكم بيوتنا تسعكم قلوبنا
بننتا هي بنتكم فأهلاً وسهلاً فيكم ونحن نتشرف بمصاهرتكم"، فيكون
الرد: "بارك الله فيكم فأنتم جميعاً قدها وقدود، الله يقدرنا على مكافاتكم"،
وعندها يطلب أحد المشايخ قراءة الفاتحة وبعدها يقدم الجميع المباركة
لوالدا العريس والعروس، وبعدها ترسل النساء من يطلب العريس فيقوم
هذا باستئذان حميه وينتقل إلى غرفة النساء حيث يستقبل بالزغاريد
والأويها وتقدم له والدته صرة المصاغ لتلبس عروسه خاتم الخطوبة

(المحبس) وسواه ثم تقوم العروس بدورها باللباسه المحبس في اصبعه، وهنا تزغرد النساء ويتبادلن الأويها ثم يستأذن العريس ويعود إلى مكانه بين الرجال ويقوم أهل العروس بتقديم الضيافة المعتادة وبعدها يستأذن أهل العريس ويعودون إلى منزل والد العريس حيث يقوم أهل العروس بوداعهم حتى باب الدار، وقد تقام التعليلة في هذه الليلة في بيت العريس إلى ساعة متأخرة من الليل ويشترك الرجال والشباب بالغناء والرقص على صوت الدبكة والمجوز وكل ذلك تعبيراً عن الفرحة بالخطوبة.

وفي ضحى اليوم التالي يقوم العريس ووالدته بالذهاب إلى منزل العروس لدعوتها إلى منزل عريسها لقضاء ذلك اليوم في بيت حميها ويدعى هذا اليوم (يوم كسرة الرجل)، ثم يتم دعوة أهل العروس على السهرة والعشاء في منزل العريس، وتستقبل العروس بالترحيب والاكرام في منزل أهل عريسها وبالزغاريد والأويها ثم يقدم لها عريسها وأهله بعض الهدايا من مصاغ الذهب أوقطع القماش والأحذية أو بعض قطع النقود الرائجة وتدعى هذه الهدايا بـ (فوتة الدار)، أي هدايا زيارة العروس الأولى لبيت حميها، وحيث يكون من المفروض على العروس أن تساعد حماتها ونساء الدار في التحضير وطبخ طعام العشاء لكل من اشترك في المشاورة من أهل العروس والعريس، حيث يقوم أخوة العريس وأبناء عمومته بالدعوة ويتم طبخ البرغل باللحمة أو الشاكرية أو اليخنة أو الكبة باللبنية، وفي المساء يستقبل أهل العريس ضيوفهم بالاكرام وتتصب سفرة الطعام عند اكتمال الجمع ويفوم الشبان من أهل وأصدقاء العريس بخدمة الضيوف ودعوتهم إلى الطعام، وبعدها تقدم الضيافة

المعتادة من قهوة وشاي ثم تقرر الدبكة وتقوم التعليلة فيساهم الجميع بالغناء والرقص إلى ساعة متأخرة من الليل.

وبعد يوم أو أكثر يقابل أهل العروس أهل العريس بالمثل فيتم دعوة العريس وأهله وأقاربه وأقارب العروس للعشاء في منزل والد العروس.

ثم يأخذ الناس بالتوارد إلى منزل العريس لتقديم التهاني والمباركة بالخطوبة حيث يقدم أهل الدار الضيافة ويستقبلون المهنئين.

بعد ذلك يأخذ العريس في قضاء أغلب سهراته في منزل عروسه، وعليه أن يقدم في كل فترة هدية إلى العروس إما قطعة نقدية أو منديل رأس أو قطعة قماش كما أن عليه أن يقدم لها كلما ذهبت إلى الحمام قطعة صابون وأجرة الحمام، وفي الأعياد عليه أن يزورها مع أهله في أول أيام العيد وتقديم هدايا متنوعة كالجوارب والمناديل وأغطية الرأس الحريرية وقطع نقدية وغيرها، وأما العروس فعليها زيارة بيت حميها كلما سنحت الفرصة وكلما دعوها إلى ذلك، وأن تملأ لهم جرار الماء وأن تساعد حماتها في بعض أعمالها البيتية كالحوارة ودق الكبة والسلق والجرش وغيره، كما أنها قد تساعد أهل عريسها في بعض الأعمال الزراعية، وعلى والدتها أن تعامل صهرها وكأنه أحد أولادها، بل قد تخصصه ببعض المعاملة الحسنة وبعض المآكل الطيبة وتسال عنه كلما غاب وتوجه ابنتها إلى طلب مرضاة عريسها وأهله ومعاملتهم المعاملة الحسنة.

الجهاز: أثناء فترة الخطوبة يأخذ كل من العريس والعروس في تهيئة الألبسة والأغطية والفرش وتقوم العروس بشغل الشراشف وأغطية المساند والنوافذ وتطريزها بالابرة، كما تقوم بتهيئة ألبستها وتطريزها أيضاً وتقوم أم العريس بتهيئة وتتجيد الفرش الصوفية والملاحف، وترافق كبتها إلى محل بيع الأقمشة في سوق يبرود لشراء جهاز العروس (قطع الجهاز) من أقمشة متنوعة ومتعددة ثم نقلها إلى امرأة تحسن الخياطة في البلدة لخياطة التنانير والبالات والسراكس والأطقم المخملية والحريرية مما يتفق مع حالة العريس المادية.

ثم قد يقوم العريس ووالدته وعروسه ووالدتها بالسفر إلى الشام لشراء ماينقصهم من الجهاز كالبيرو والمرآة وهو من خشب الجوز المحفور والمصطف وشراء السبت أيضاً وهو صندوق خشبي كبير محفور ومصطف ومصنوع من خشب الجوز أيضاً يستعمل لحفظ جهاز العروسين، وأيضاً يتم شراء أدوات الزينة والحنة والشموع والطيب والأواني الزجاجية والخزفية والأحذية وبدلة العرس وغيرها، وقد يرافقهم أحد أصحابهم أو أقربائهم من أصحاب الخبرة في شراء مثل هذه الحاجيات ويهيأ كل ذلك في أحد غرف الدار المعدة للعروسين حتى يحين موعد العرس.



بعض قطع جهاز العروسين

العرس

بعد انتهاء موسم جني المحاصيل الزراعية وتزويد البيوت بالموونة وحلول فصل الشتاء الذي تقل فيه أعمال الفلاحين في الحقول، يصبح الوقت مناسباً لإقامة الأعراس والأفراح حيث يصبح في استطاعة جميع الناس أن يشتركوا في الأفراح التي تقام في البلدة، بحيث يكون العرس حافلاً بالأهل والأقرباء والأصحاب وسائر الجيران وأهل البلدة، كان الناس يتشوقون للتمتع بمثل هذه الأفراح والأعراس حيث كانت الفرحة تعم الجميع وكأن العرس في بيت كل منهم، كان للأعراس في يبرود عاداتها وتقاليدها، فيها الكثير من البساطة والتعاون بين الناس الذي يعبر عن الإلفة والمحبة بينهم، كان الاستعداد للعرس يستغرق وقتاً للتهيئة ويبدأ بأن يقوم والدا العريس بزيارة أهل العروس قبل العرس بحوالي الأسبوعين لتحديد موعد العرس، وبعدها يدعو والد العريس أشقاءه وأهله المقربين ليطلعهم على موعد العرس ويستشيرهم هل يريدون أن يكون العرس كبيراً أم صغيراً، فإذا قر رأيهم أن يكون كبيراً اغتتموا الفرصة ليصالحوا كل من كان معهم على شيء من الشقاق أو النفور لكي يشترك أهل البلدة جميعاً في الفرحة، كما يقوم والد العريس مع بعض إخوته بأخذ خاطر الحزاني وأخذ الأذن منهم بالعرس وهذا تقليد كان متبعاً في يبرود، وغالباً ماكان أهل المتوفين يشجعون على المضي بالعرس ويذكرون بعض عبارات المجاملة

مثل: الله يتمم أفراحكم فالعريس ولدنا فخلوا الأمور ماشية على
بركات الله فهو يتممها بخير.

وبعد ذلك يقوم والدا العريس بالدوران على الأهل والمقربين
والوجهاء لإعلام الجميع عن موعد العرس ودعوتهم للمشاركة حتى
يتهيأ هؤلاء ويتجهزوا ويعدوا ملابس العرس ويحضروا واجباتهم
تجاه العرس.

وقبل العرس بأسبوع تقريباً تقام التعليلة كل ليلة في بيت العريس
حيث كان يجتمع الأهل والأصدقاء للمشاركة في الرقص والغناء
تعبيراً عن فرحتهم، وفي هذه الأثناء ينشغل أهل العريس بتجهيز
غرف البيت وفرشها وتهيئة أدوات الانارة وتحضير الحطب للطبخ
والخبز على التتور عدة أمداد من طحين القمح، ويكلف أهل
العريس بعضاً منهم ومن أقربائهم ليقوموا بالدعوة والعزيمة للعرس
حيث تتم دعوة الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء والمعارف
وكل من له صلة أو معرفة بأهل العريس وهؤلاء يدورون على
المنازل لدعوة أصحابها من الصباح إلى الظهر ويتناولون الغداء
في منزل العريس ثم يكملون مهمتهم بعد الظهر وقد يدوم ذلك
يومين أو أكثر وقد يرسل والد العريس من يدعو بعض معارفه من
سكان القرى المجاورة.

وفي هذه الأثناء تصبح دار العريس كخلية نحل تعج بالأصدقاء
والأقرباء والأهل وكل يبدي استعداداته لأية خدمة تطلب منه أو يكلف
بها وكل ذلك لاظهار العرس بالمظهر اللائق.

حمام العروس:

قبل موعد العرس بيوم واحد تقوم والددة العروس بدعوة النساء والبنات من أهل العريس والعروس وصديقات وأتراب ابنتها العروسة إلى الحمام حيث يتم حجز أحد حمامات البلدة بعد ظهيرة ذلك اليوم، وعندما يصل موكب الجميع إلى باب الحمام تقوم امرأة من أخصاء بيت العروس في مدخل الحمام تحمل الصابون وتعطي كل واحدة منهن قطعة من الصابون، ثم تشترك عدة نساء بتحميم العروس وكانت صديقاتها يرقصن ويغنين الأغاني والأهازيج ويزغردن إلى أن يتم ذلك وبعد الاستحمام تجتمع النساء في باحة الحمام حيث تجلسن العروس على مصطبة مرتفعة تحضر بعض النسوة من أهل العروس الطعام الذي كان يجهز لهذه المناسبة والمؤلف من خبز التتور والرز المفلفل حيث يوزع على كل واحدة رغيف عليه كمية من الرز المفلفل المطبوخ بالسمن العربي وبرتقالة لكل منهن، وبعد الأكل تقام حلقة الرقص والغناء والدبكة داخل الحمام وتتبادل النساء الأويها معددات مناقب العروسة مثل:

أويها وَيَا زَهْرَ الْبَسَاتِينِ	أويها حَصَنَّتْكَ بِيَّاسِينَ
أويها عَلَى رِكَابِ السَّلَاطِينِ	أويها وَيَا مَصْحَفَ صَغِيرٍ

لي لي لي ليش

أويها وَجْهَكَ قَرَّازٍ مِنْ تَحْتِ الْقَرَّازِ قَرَّ
أويها وَصَدْرَكَ مَرْمَرٌ مِنْ فَوْقِهِ لَحْرِيرٌ اهْتَرَّ
أويها وَمَنْ يَخْلُقُ الْغَزَالَ يَقْفُزُ قَفْزُ
أويها مُحِبَّتِكَ بِقَلْبِي مِثْلَ أَوْلَادِي وَأَعَزَّ

لي لي لي ليش

أويهانحن البنيات نحنا نجمة العيوق أويها نحنا يلبيق لَنَا قصر وتحتة سوق
أويها يلي يأخذنا بيرفع رأسه فينا أويها الحسرة على السمرهلي وجههم محروق
لي لي لي ليش... وهكذا...

وقبل المساء تخرج النساء من الحمام حيث يكون شباب العريس
في انتظارهن ويقوموا بالزفة أمام النساء حتى باب منزل والد
العروس حيث كانوا يعودون بعدها إلى منزل العريس.
ليلة الحناء:

في مساء ذلك اليوم بعد حمام العروس تكون النساء من أهل
العريس قد هيأن أطباق الحناء وزينها بالورود والشموع المشتعلة،
وبعد العشاء تحمل النساء هذه الأطباق على رؤوسهن، وتذهب
جميع النساء من أهل العريس وممن دعي إلى ذلك في زفة وتعلو
الأهازيج والأغاني بين رقص النساء اللواتي يحملن أطباق الحناء
والعريس، وشباب العريس يتقدمون الزفة حيث يدخل الجميع منزل
والد العروس وسط الزغاريد وتقوم الصبايا والشباب بالرقص
والغناء وأثناء ذلك تقوم والددة العريس بوضع الحناء على أكف
العروسة ولفها بالقماش وسط الأويها والزغاريد كما تقوم والددة
العروس بوضع الحناء على بعض أصابع العريس وربطها أيضاً
وسط الأويها والزغاريد مثل:

أويها ياعريس ومذ الكف وتحنأ أويها وحياة عمرك لاترعل حدا منا
أويها وحياة عمري مايزعل حدا منكم أويها ياسيف بيك على رقاب العدا غنا

كما تخاطب احداهن العروس بقولها:

أويها حنك الأحمر جرح قلبي سكاكينه أويها وياكل ما ينمحي وأنت تعبينه
أويها وحياء بيك يابعدني اللي تعزينه أويها رمان صدرك لغيري لاتبعينه

ثم يتبادل الجميع وضع الحناء على أكف بعضهم البعض حيث
لاتقلت امرأة أو فتاة أو شاب من شباب العريس من الحناء، وبعد
الحنة هذه تنتقل التعليلة إلى منزل العريس حيث تستمر إلى ساعة
متأخرة من الليل ويشترك فيها الصغار والكبار.

يوم العرس:

منذ صبيحة اليوم التالي يصبح منزل العريس كخلية النحل،
فالنسوة مشغولات بنقل الماء وترتيب غرف الدار وفرشها،
وبعضهن مشغولات أيضاً بالخبز على التتور، والبعض بالاعداد
لطبخ الطعام، والرجال مشغولون بتهيئة الحطب وذبح الخراف،
ويتوزع أصدقاء العريس المهام فيما بينهم حيث يدعون الحريسة
وهم مسؤولون عن خدمة الضيوف وتقديم الطعام والضيافة، كما أن
كثيراً من الجيران والأصدقاء والأقارب كانوا يهيئون بيوتهم لتأمين
منامة الضيوف الذين وفدوا من خارج البلدة ودعوا إلى العرس،
وكان الجيران ينقلون الحصر والبسط والسجاد من بيوتهم إلى منزل
العريس لبسطها وفرشها فيه، وتبدأ النساء في طهو الطعام منذ
الصباح ويتم تهيئة أواني الطعام من صحون وصوان وغيرها.
وفي مساء ذلك اليوم يبدأ سيل المدعوين بالوصول إلى منزل
العريس حيث كان من المتوقع على أهل الدار أن يكونوا في

استقبالهم ويأخذ كل من هؤلاء الضيوف والمدعوين مكانه حسب وضعه ومقامه ويقوم شباب العريس بتقديم القهوة المرة والتبغ والأراكيل لمن يشربها، وبعد أن يلتئم الجمع تبسط الموائد للرجال والنساء ويأخذ الجميع في تناول الطعام وأهل العريس والحويصة قائمون على الخدمة وصب الطعام في الأواني وحث الناس على الأكل وبعده تقدم الضيافة المعتادة وأكواب الشاي والقهوة المرة وغالباً ماكان رجال الدين يقومون بقراءة قصة المولد النبوي الشريف وإنشاد بعض المدائح النبوية، فيما الشباب يرقصون ويدبكون ويغنون في صحن الدار حتى موعد جلب العروس فيرود الشباب وتزغرد النساء ويدعو والد العريس ضيوفه ومدعويه لمشاركته في جلب العروس.

تزيين العروس وتجميلها:

منذ صبيحة يوم العرس يقوم أهل العروس وأقرباؤهم بتهيئة دارهم لاستقبال أهل العريس وتهيئة غرفة جلوة العروس، كما يتم تهيئة حاجات الضيافة وأدوات الانارة، وتتشغل النساء في عصر ذلك اليوم بتزيين العروس ويتم ذلك على يد نساء كن معروفات في البلدة وتدعى الواحدة منهن (معدلة)، تأتي المعدلة إلى منزل العروس وتطلي وجه العروس بالأبيض (الاسبيداج) وخديها وذقنها وشفتيها بالأحمر بشكل زائد عن المألوف، ثم تمشط شعرها وترفعه إلى الأعلى أو تسدله على الكتفين، وترسم الحواجب بالكحل الأسود، كما تكحل أعين العروس لتبدوا واسعتين وبعدها تقوم برش مسحوق ذهبي لماع يدعى (بهرجان) على خدي العروس وشعرها ثم تثبت

اكليلاً من الورود الصناعية في وسطه ريشة أوريشتان من الريش
المخصوص بالعرايس على رأسها، ثم تلبسها بدلة الجلوة والحلق
في أذنيها والأساور والخواتم في يديها والرش الذهبي في عنقها
وهكذا تهيأ العروس للجلوة.

جلوة العروس:

تهيأ للعروس كنبه مرفوعة على صندوق مرتفع في صدر أكبر
غرفة في دار والدها، ويعلق خلفها على الجدران بعض الشراشف
الحريرية المطرزة ذات الرسوم الجميلة، ويثبت فوق رأسها قوس
من الورود الطبيعية والصناعية، كما تهيأ أدوات الانارة الجيدة لكي
تضيء على وجه العروس وتظهر محاسنها، وبعد غروب الشمس
تجلس العروس على كنبه الجلوة وتأخذ معظم نساء البلدة كباراً
وصغاراً يتوافدون لرؤية العروس وترتفع أصوات الأغاني
المختصة بالجلوة مثل:

أويها ريش العرايس عند العصر بندّي أويها ياطير بلبل على الأغصان بيهدّي
أويها رليش أحاكيك يانور العين ماتردّي أويها على شان بيك كنك رايحة تهدي

لي لي لي ليش

أويها نحن الأصالة من جدود وجدي أويها نحن الأصالة كاملات الأدة
أويها واللي يأخذنا يرفع رأسه فينا أويها ويكللنا بالذهب العتيق بالمده

لي لي لي ليش

أويها نحنا ونحنا ومن سود اللحي نحنا أويها لورقرف لطير بيروس لجناح نحنا
أويها ماقلت لك يابيا ولاياسيفنا المحنى أويها نحنا نكيد الأعادي وين مارحنا
أويها نحن البنيات نحنا بلبل الغالي أويها ومكتوب على جبيننا ما نلخد ندل
أويها ومناخذ الألسجيع للصاحب للناموس أويها ولنل ما نأخذ ولو زلنا للمال

وأيضاً مثل:

مين قال عنك سميرة ياتلج دابا يا عقد لولو من استانبول منجابا
وإن جيت أوصفك ياعروس من روس الجنا والشعر لو حلتو بغوص لكعابا
وجبين قاضي وتنظر لو جميع الناس من راس عشية لوجه الصبح ماغابا
وحواجبك ياعروس سيوف محنية حني النخيل ولا يابعد جلابا
وعيون لو كحلتهن بميال نحاس يشفوا عليل الألوسنتين ماطابا
والوجه دورة قمر يضوي بليالي الصيف يضوي بليلة عتم وغيوم وضبابا
والتم خاتم ذهب قاسوا بمقياس وأسنان شك البرد جوا البرد دابا
والعنق عنق الغزال ها القانص وقناص ياريت أعرف غزالي رين هرابا
والصدر بستان رمان وزهر انجاص لأجل الغوي حطوا حارس وبوابا
والبطن شقة حرير مختمة بختام وختام غالي الثمن من مصر منجابا

وتزدحم غرفة الجلوة بالنساء والبنات والمتفرجات إلى درجة
كبيرة جداً حتى يتصبب العرق من العروس المجلوة التي عليها أن
تتحمل وتظل ثابتة في مكانها حتى تنتهي الجلوة.

جلب العروس:

بعد العشاء بحوالي الساعتين يتهياً أهل العريس للذهاب إلى بيت
العروس لجلبها، حيث يطلب والد العريس من الوجهاء والمشايخ
وأغلب المدعوين مشاركته في جلب العروس فيخرج الجميع
وتتقدمهم زفة الشباب الذين يحملون الفوانيس للأنارة وتتبعهم
النساء، وعندما يشعر أهل العروس باقتراب مقدم أهل العريس،
يقوم والد العروس واخوتها وأعمامها وأخوالها ونساء البيت
باستقبال الجمع وحيث ترتفع أصوات شباب العريس بأغان مثل:

أبو فلان افتح لنا منزلك نحن الزوار جايين اليوم نزورك

وتتقدم نساء العريس بالأويها مخاطبات والد العروس بقولهم مثلاً:

أويها علالي أبو فلان عالهندام رافعها أويها وياريحة البن والقهوة مطالعها

أويها لاتستحي يابعدى من الكرم والجود أويها ياصيت بيك قبل منك مطالعها

لي لي لي ليش

أويها علالي أبو فلان ياحد الطريق أويها ياعواتبها من ذهب العتيق

أويها نصف الدار لأزرعها قرنفل أويها وباقية الدار لعبار الطريق

لي لي لي ليش

فتجيبهم النساء من أهل العروس بمثل ذلك:

أويها أهلاً وسهلاً ياعزاز أويها أنتم أعزاز وجايين من بلاد عزاز

أويها أغلى من البن أغلى من طيور الباز أويها أنتو أغلى من لذهب لوكن صاحبو معتز

لي لي لي ليش

أويها أهلاً وسهلاً ياضيوف أويها لو جيتوا كرات وألوف

أويها ولو كنتم جايين قبل هلق أويها لأبذبحلكم خروف

لي لي لي ليش

ثم يدخل الرجال إلى غرفة الرجال بأبهة وأفتخار والنساء يدخلن

إلى غرفة الجلوة حيث يأخذن بالغناء والرقص وتتبارى النساء في

الأويها وتعداد مناقب العروس والعريس سواء أكانت صحيحة أم

غير صحيحة لكنها مجاملات يتبادلونها في مثل هذه المناسبات مثل:

أويها يا سمكة البحر امشي وتقلي رجلك
أويها امشي شوي شوي لايبان حبك
أويها وإن سألت عن الكبارهم الكبار أهلك
أويها وأنت أصيلة وكل الناس تشهدلك

أويها يا حبة البن قلبي والنبي حبك
أويها جوات أرض اليمن مايزرعوا حبك
أويها لأصير درويش وأدور على حبك
أويها ويهلك سبيل الذي شافك وماحبك

أويها نحنا بني عم حسبي مامنفترق أويها ولوجرى الدم عالعودات والورق
أويها والذي يحبنا ينزل لواديننا أويها والذي يبغضنا بعود النار يحترق

نقوط العروس:

أثناء ذلك يتقدم والد العروس ووالدتها وأخواتها وأعمامها
وأخوالها للنقوط وتتقدم إحدى النساء ممن يحسن إعلان النقوط من
أهل العروس إلى جانب العروس فكلما تقدم أحد بنقوطه للعروس
ترفع هذه صوتها بذكر اسمه ونوعية النقوط، بدءاً من والد العروس
ووالدتها وأخواتها وأعمامها وأخوالها وهكذا بقولها مثلاً:

خلف الله عليك يا أبو العروس وهذا نقوط محبيب بشواربك
أوخلف الله عليك يا أخو العروس وهذا النقوط محبيب بكل الشباب
الأوادم لأجلك

أوخلف الله عليك يا أم العروس وهذا نقوط محبيب بكل النسوان
الأوادم المحشومين لأجلك

ووالدة العروس هي التي تقوم بجمع النقوط المؤلف من الليرات الذهبية أو أنصافها أو أرباعها أو القطع النقدية أو غيرها في محرمة ويتم ذلك أمام النساء من أهل العريس.

طلب العروس من أهلها ونقلها إلى بيت عريسها:

بعد الانتهاء من نقوط العروس تقدم الضيافة إلى أهل العريس وتدار القهوة المرة، ثم يتقدم كبير أسرة العريس من كبير أسرة العروس بعبارات مجاملة متعارف عليها طالباً التكرم من أهل العروس بالسماح بأخذ العروس إلى منزل عريسها، وهنا يكون الرد بعبارات الترحيب والمجاملة وإعطاء الإذن بأخذها حيث يطلب إلى والدها إنزالها عن عرشها المزعوم فيوكل هذا الأمر إلى جدها أو عمها أو أخيها الأكبر فيقوم هذا بانزالها وهي تبكي ثم تخرج من غرفة الجلوة وتقبل أيدي والديها وهي تودعهما وأيادي أعمامها وأخوالها وهي تنتحب لفراقهم، وأخيراً يلبسونها عباءة أو إزاراً فوق بدلة الجلوة ويركبونها ظهر فرس ويقوم أحد أخوال العريس بقيادة الفرس ويتقدم الرجال والنساء بزفة وعراضة وهم يهزجون مخاطبين أهل العروس قائلين مثلاً:

يخلف عليكم كثر الله خيركم	أنتو المناصب ما مناصب غيركم
يخلف عليكم كثر الله خيركم	أنتو الأكارم ما أكارم غيركم
يخلف عليكم كثر الله خيركم	أنتو الأفاضل ما أفاضل غيركم
يخلف عليكم كثر الله خيركم	أنتو السخايا ما سخايا غيركم

والنساء يهزجن قائلات:

جينا وجينا وجينا	جينا العروس وجينا
جينا العروس وجينا	خلو العريس يلاقينا
جينا العروس وجينا	من يقدر يحكيينا
جينا العروس وجينا	يادل اللي يعاديننا
جينا العروس وجينا	بالسيف والسكينا
جينا العروس وجينا	يافرحة أهالينا
جينا العروس وجينا	لو طقت أعاديننا
جينا العروس وجينا	والعريس مستئيننا
جينا العروس وجينا	والشباب بتحييننا
جينا العروس وجينا	هالغالية الثميننا
جينا العروس وجينا	تسلم العروس ليننا

وتدور الزفة بهذا الشكل حتى تقترب من دار العريس حيث يخرج العريس منها في موكب مع من بقي في داره من شباب وفتيات لانتظار موكب العروس وذلك بفارغ الصبر حتى لا تدخل العروس عليه وتكبسه في داره، وعندما تصل العروس إلى باب الدار تترجل من ظهر الفرس فتناولها إحدى النساء قطعة من العجين مزينة بالورد تدعى الخميرة ويقوم العريس برفع عروسه بين يديه لتلصق الخميرة على قوس باب الدار ثم تدخل العروس الدار والعريس من خلفها في موكبه ثم تلصق العروس خميرة أخرى على باب غرفتها وتدخل برفقتها والدتها أوبعض عماتها

أوخالاتها حيث ينفردن بها لحظات ثم يخرجن بعد أن يساعدها في خلع ألبستها عنها ثم يدخلن العريس عليها ويتركانهما.

وهنا يقوم أصدقاء العريس بمحاولة إزعاجه وإرباكه وهو في غرفته، فإما يحاولون قرع باب الغرفة أو يصعدون إلى السطح ويدبكون بأرجلهم بقوة على سطح غرفة العريس أو يضعون أفواههم على مدخنة الموقد ويقومون بالصراخ ويستمررون بهذه الأعمال حتى يقدم أحد أعمام أو أخوال العريس نفسه على أنه مستعد لفك العريس وتلبية ما يطلبونه مقابل تركه وشأنه وغالباً ما يكون شرطهم تقديم ذبيحة أو أكثر فيوافق على ذلك.

هذا ما يحدث عندما يكون العريس والعروس من حي واحد، أما عندما يكونان من حيين مختلفين فأمر جلبها ونقلها من بيت أهلها لبيت عريسها لا يخلو من بعض المتاعب حيث كان شبان حي العروس يحاولون أن يعرقلوا على أهل العريس أخذها من حيهم وذلك بالقيام ببعض المشاغبات كقذف الحجارة على موكب العروس بحجة أنهم لا يرضون أن تخرج العروس من حيهم رخيصة لذلك كان لابد من إسالة بعض الدماء لتصبح غالية، وكان أهل العريس يتفادون قذف موكبهم بالحجارة بأخذها دون ضجة وبإطفاء أنوار الفوانيس ليكون الظلام دامساً أوحى بنقل العروس فوق أسطح المنازل للإبتعاد عن مكان الخطر.

حمام العريس:

في صباح الغد الذي يلي ليلة الدخلة تحضر إلى منزل العريس بعض عمات أو خالات العروس حيث كن يختلن بها بعد أن يغادر العريس غرفته ويطلبن منها المنديل الملوث بالدم ثم يطلقن الزغاريد إشارة إلى صيانة بكاره العروس وحفاظها على عفتها وشرفها وأحياناً كانت حماتها تأخذ المنديل وترقص به، ثم تقوم بعض ترتيبات للعروس بإعادة زينتها وإصلاح ما اختل من بياض وحمرة خديها وإلباسها الألبسة المصطلح عليها فيأخذها العريس إلى والده ووالدته حيث تقبل أيديهما فيباركان لها ولعريسها، ثم يجلس العروسان على مقعدين مرتفعين في صدر الغرفة حيث يقوم شباب العريس بالغناء والرقص.

ويستعد الجميع للذهاب إلى الحمام بعد اجتماع شباب العريس ومن دعي إلى ذلك حيث يذهب الجميع بزفة وعراضة ويحيط اثنان أو ثلاثة من شباب العريس بالعريس وهم يرفعون الخناجر بأيديهم لحمايته وخوفاً من أن يخطف أحد ما عقاله من رأسه أو محرمة من جيبه لأن من يستطيع ذلك يكون قد علم على العريس وشباب العريس وله أن يطلب فكاك ما خطفه ما يشاء، لذلك يحرص شباب العريس على حمايته وعدم اقتراب أي كان منه حتى يصل الجميع إلى الحمام حيث كان الشبان يتسابقون لغسل العريس وتنظيفه وغالباً ما يقدم أحد الوجهاء أو أحد أقرباء العريس البرتقال للعريس والشبان إظهاراً لكرمهم وحفاوتهم بالعريس وبعدهما ينتهي الشبان من غسل العريس يكون بعض النساء من أهل العروس قد أتين بالبقجة التي

تحتوي مناشف العريس وألبسته الداخلية، وبعد أن يخرج العريس إلى صحن الحمام يلتف حوله الشباب وهم يغنون ويرقصون ويدبكون وترتفع أصوات النساء بالأغاني المعتادة مثل:

يا عريس ومبارك اليوم حمامك ومباركة بدلتك وازرار قفطانك
وحياة عمرك وعيرة ما استعرنا لك من مال بيك على عرسك نفقنا لك

وتدوم الدبكة والرقص حوالي الساعة إلى أن يحين موعد حلقة العريس حيث يجلس العريس على مقعد مرتفع فيلتف حوله الشباب والنساء ينقرون على الدبكة ويرقصون أمامه ويشرع الحلاق في عمله بحلق شعر وذقن العريس، والنساء من أهل العريس وأهل العروس يرقصن ويزغردن ويغنين له بعض الأغاني مثل:

حلاق ما بدي أنا وصيك
احلق لزين المعالي ربنا يخليك
واحلق لزين المعالي وتقل الريحه
سألت رب السما يخليك وينجيك

وأيضاً:

يا عريس وتحت الجوز حلقولك وأولاد عمك على الشهباء يشدوا لك
لبسوك بدلة الجوخ على طولك من عند بيك وعيري ما استعارولك
وحياة عمرك وعيري ما استعارولك من مال بيك على عرسك نفاقولك

ويظل الشباب والبنات يرقصون أمام العريس حتى ينتهي الحلاق من عمله فيعطونه أجرته وإكرامية كبيرة ويتحفونه بطاقيّة من طواقي العريس.

وبعد ذلك تكلف بعض نساء من أهل العروس باللباس العريس ثيابه وهي بدلة العرس والكوفية والعقال فيعلوا صوت الجميع ببعض أغان مثل:

يا عريس مبارك كل شيء تلبس من أفخر الجوخ اللبياج للأطلس
وإن مريت على رفقاتك يا عريس لاتعبس يضحك لك الغصن ويبتسم لك النرجس
يا عريس ولاتنم على مالك بكرة يصبح غزال البر بدارك
بكرة يصبح وكل الناس بتشوفوا ويعوضك يا عريس مال بضر مالك
يا عريس مبارك ما عملناك ومباركة بيلتك وأزرار قفطالك
وحياة عمرك وعيري ما استعرناك من مال بيك على عرسك نفقناك

وتقوم إحدى النساء برش العطر على العريس وعلى شباب العريس ويستعدون بعدها للخروج من الحمام، حيث يركب العريس فرساً مزيّناً بالورود ويلتف شباب العريس من حوله حاملين الخناجر للمحافظة عليه، ويشترك الجميع في العراضة والزفة وصوت البارود وزغرودة النساء ترتفع، وكلما مرت الزفة أمام بيت من البيوت تلقي عليهم النساء من أهل هذا البيت السكاكر والجوز وترش عليهم العطر فيحي شباب العريس صاحب البيت بهتافات وتراويد حتى تصل الزفة إلى منزل العريس فيدخلها الجميع لتقوم الدبكة والرقصات فيرقص العريس مع عروسه فتتبارى النساء في الأويها مثل:

أويها عين الله عليك أويها واسم الله حواليك
أويها وعين السوء تعمى أويها ويلي ماصلت عليك

لي لي لي ليش

أويها ارقص يارقوص بالسيفين أويها ريت قلبك مايشوف الضيم
أويها واطلع على دار العدو وهدها أويها وانصب خيامك فوق رأس العين

لي لي لي ليش

ويغنون للعروس:

أويها نحنا البنيات الخوخ بعنا قيدوا أويها ياريقنا السكرى ياسعد مين ذاقوا
أويها وإن كان أهل الهوى من مبسمك ذاقوا أويها راحو سكارى ليوم الحشر مافاقوا
أويها هالفستان الحلو وين مخيطيه أويها والخياط لمخيطه حطط كل نوقه فيه
أويها والوجه مدور والورد مفتوح فيه أويها وشعرك شلة حرير ونسمة هوا تلعب فيه

لي لي لي ليش

وعندما يقوم والد العريس للرقص تغني له النساء:

أويها أبو فلان ثقل خاتمك بايدك أويها الكرم كرمك واللولو عناقيدك
أويها ياربي يعطيك ويزيدك أويها وتصير أمير وكل العرب تحت ايدك

لي لي لي ليش

أويها أبو فلان ياعود الند أويها ياجسر حديد لايفنى ولاينهذ
أويها سألت رب السما مافوق أيلك يد أويها تقبر عدوك وتملك هالبلد من جد

لي لي لي ليش

أويها وياعزيزنا وحمانا
أويها لنكيد فيك عدانا

أويها أبو فلان يامولانا
أويها ياربي تعيش وتسلم

لي لي لي ليش

ثم يشترك الجميع في طعام الغداء.

وفي مساء ذلك اليوم تقام التعليلة في منزل العريس حيث تحضر النساء من أهل العروس وأقارب العروس وجاراتها وصديقاتها وكل من دعيت إلى ذلك حيث تدعى هذه الليلة (ليلة توداية البدة) وتكون بعض النساء من أهل العروس حاملات بقج الثياب الخاصة بالعروس والنقود المجموع في ليلة العرس للعروس وإحدى هؤلاء النساء المجربات من أهل العروس كانت تحمل سفظاً من السكاكر يدعى (مجمع العريس) وعليها أن تنتبه له جيداً من أن يغافلها أحد من شباب العريس ويستولي عليه قبل أن تدخل منزل العريس لأنه إن استطاع أحد ذلك فعلى أهل العروس دفع غرامة (فكاكه) لشباب العريس، كما يحاول بعض شباب العريس أن ينهبوا العريس من جانب عروسه عندما يكون في وسط أهل عروسه وإذا نجحوا في ذلك فعلى أم العروس أن تدفع فكاكة حتى يدعوه يسهر مع أهل عروسه.

في تلك الليلة والعروس والعريس في وسط اجتماع أهليهم يتسابق الشباب والفتيات من كلا الطرفين للرقص والغناء والدبكة حتى ساعة متأخرة من الليل، وقد تستمر التعاليل في منزل العريس عدة ليال، وفي ذلك الأسبوع يحضر المهنئون ومن لم يقدم النقود للعريسين ليلة العرس بإمكانه أن يقدمه عند التهئة وكل حسب وضعه المادي، بدءاً من الخرفان إلى أكياس الرز أو السكر

أوصفائح السمن أو الزيت أوقطع النقود الدارجة في تلك الأيام، ويتم الاحتفال بالعروسين لمدة اسبوع حيث يعفى العريس والعروس من الأعمال ولايسمح للعروس أثناءها من الخروج من دار عريسها. وبعد مرور أسبوع واحد على العرس يقوم أهل العروس بدعوة صهرهم وابنتهم لتناول الغداء أوالعشاء في بيتهم وبعدها يسمح للعروس بالخروج والدخول من دارها وتصبح من أهل البيت وعليها أن تمارس أعمالها كزوجة وربة منزل.

الخطوبة والزواج عند المسيحيين

لا تختلف عادات وتقاليد الخطوبة والزواج بين أبناء يبرود بين الاخوة المسلمين والمسيحيين إلا ببعض الأمور الطفيفة مثلاً كموعِد إكليل وزفة العروس، وموعد حمام العروسين، أما بقى الأمور فهي مشتركة وواحدة بين أبناء البلدة لأن الجميع تجمعهم ذات العادات والتقاليد وذات البيئة الاجتماعية والنشاط الاقتصادي.

فالشباب المسيحي كان يتعرف على فتاته حيث كان يراها في الشارع وفي الكنيسة وعند ميزاب العين وفي الحقل وفي كثير من المناسبات الدينية والاجتماعية وغيرها، وعندما كانت تتال إحداهن إعجاب الشاب ويلقى منها بعض القبول أو الاستلطاف يعرض الأمر على والديه معلناً رغبته في خطبتها فيتشاور هؤلاء في شأنها وشأن والديها وأسرتها إن كانت تتاسبهم أم لا ثم يتم التشاور بين والديه وأعمامه وأخواله لإبداء رأيهم، وعندما تلاقي هذه الفتاة قبول وموافقة الأهل جميعاً، يقوم والد الشاب بصحبة بعض إخوته وأقاربه من ذوي المكانة والجاهة لطلب يد الفتاة من والديها، وقد يطلب هذا منحه مهلة بضعة أيام ليشاور أسرته وكبار عائلته، وعندما يلقي العريس الرضى والقبول من أسرة الفتاة يتم تحديد موعد الخطبة بالإتفاق بين الطرفين ثم يجمع والد العريس في منزله إخوته وأقرباءه وكبار عائلته والكاهن حيث يتم إعلامهم عن موعد ليلة الخطبة ويطلب من الجميع تلبية دعوته لهم بالمشاركة بمجاملات وعبارات تتم عن الرابطة والمودة التي تربطه بهم، ثم

يقدم الضيافة المعتادة وييدي له الجميع استعدادهم ومباركتهم وبعدها يأخذ أهل العروسين بالاستعداد لهذه المناسبة حيث تغص دار والد الشاب في مساء ليلة الخطوبة بالأقرباء والجيران والمدعوين وتدار بينهم فناجين القهوة المرة وأكواب الشاي وتقدم لهم الضيافة من زبيب وجوز وبعدها يتوجه الجميع رجالاً ونساءً يتقدمهم الكاهن إلى منزل والد الفتاة حيث كان يتلقاهم أهل البيت بالترحيب ويتصدر الكاهن والوجهاء المجلس ثم يلقي الكاهن موعظة تناسب الموقف ويطلب يد الفتاة من والدها باسم أهل العريس أوقد يقوم بذلك أحد كبار أسرة العريس، وبعد ترحيب والد العروس بالحضور جميعاً بوجه عام وإبداء موافقته يقوم والدا العريس بإلباس العروس خاتم الخطوبة وبعض قطع المصاغ الذهبية المهيأة لهذه المناسبة وتزغرد النساء ويتبادلن الأويها ويبادر الحضور لتقديم التهاني والمباركة للعروس والعريس وذويهما، ثم يقدم أهل العروس الضيافة للجميع من تين وزبيب وجوز حسب الوضع المادي لأسرة العروس، وبعدها يستأذن أهل العريس ومن مشى في الجاهة فيودعهم أهل العروس إلى باب الدار وتقام التعليلة في منزل العريس في تلك الليلة إلى ساعة متأخرة من الليل.

وفي ضحى اليوم التالي يذهب العريس مع والدته وأحدى أخواته ليأتيا بالعروس إلى دار حميها لقضاء ذلك اليوم والذي يدعى (يوم كسرة الرجل) بين أهل زوجها المرتقب ويقدم العريس وأهله لها بعض الهدايا كقطع القماش والنقود الدارجة أو بعض قطع المصاغ حسب الوضع المادي لهم.

وفي مساء ذلك اليوم يتم دعوة أهل العروس للعشاء في منزل العريس وبعد يوم أو عدة أيام يرد أهل العروس الدعوة لأهل العريس ومن اشترك في الجاهة.

ويمكن للعريس بعدها أن يزور أهل عروسه وأن يقضي أغلب سهرات الأسبوع في منزلهم كما يمكن للعروس أن تزور بيت حميها بدعوة منهم أو بدون دعوة وعليها أن تقدم لحمايتها المساعدة في بعض أعمال المنزل وأن تساعد أسرة عريسها في بعض الأعمال الزراعية.

وأثناء فترة الخطوبة يأخذ كل من العروسين في تهيئة الجهاز وتأسيس عش الزوجية حسب الوضع المادي لكلا الطرفين ومن أهم الأشياء الواجب على العريس اقتناؤها السجادة أو البساط الأحمر والمساند والمخدات والفرش الصوفية والسبت أو البيرو والمرآة المصنوعان من خشب الجوز والمحفور والمطعم بالخزف والصدف، وأثناء فترة الخطوبة على العريس أن يقدم في المناسبات والأعياد الهدايا إلى عروسه.

وعند إتمام الجهاز يبدأ الاستعداد للعرس فيقوم والد العريس وبعض إخوته والمقربين من أهله بزيارة والد العروس في منزله لتحديد موعد وشكل الاكليل والزواج، وبعد تحديد ذلك الموعد والاتفاق على الشكل، يعلم والد العريس أقرباءه بذلك ويدعوهم ليهيؤوا أنفسهم ليكونوا بجانبه في عرس ابنه كما يعلم الكاهن ليهيء الكنيسة لحفلة الاكليل.

وقبل الاكليل بأسبوع تجري في دار العريس المسيحي مايجري في دار العريس المسلم من تهيئة لوازم الاكليل والعرس ودعوة أهل

البلدة وفرش الدار وإقامة التعاليل في كل ليلة وإقامة المآدب للضيوف ولشباب العريس حتى صبيحة يوم السبت الذي يسبق يوم الاكليل حيث تتم حفلة حمام العريس في أحد حمامات البلدة العامة، وذلك بأن يدعو أهل العريس أصدقاءه وجميع الشباب من أقاربه وأقارب عروسه لمرافقة العريس إلى الحمام حيث كانت تجري نفس مراسيم حمام أعراس شبان المسلمين فيقوم أصدقاء العريس بغسله وإلباسه ثيابه، وتقام الدبكات والرقصات داخل الحمام ثم يخرج الجميع في زفة إلى دار العريس لتتم حفلة حلاقة العريس وسط الزغاريد والأويها وتستمر التعليلة طيلة ذلك اليوم.

أما العروس فيكون حمامها مع أترابها ومن دعي معها بعد ظهر ذلك اليوم ثم يعودون بالعروس في زفة يتقدمها شبان العريس وأصدقاؤه، وفي مساء ذلك اليوم تجري حفلة حنة العريس والعروس كل في منزله ويشترك كل من دعي أوحضر في وضع الحنة في أكفه أو بعض أصابعه.

وفي اليوم التالي الذي يصادف يوم الأحد يتم تزيين العروس وتعديلها من قبل النسوة المتخصصات في ذلك وتلبس فستاناً أوبدلة المخمل الحرايري وبعد الظهر تجلس على كنبه الجلوة في الغرفة المعدة لذلك والتي تزين جدرانها بالشراشف الحريرية الملونة ويعلو العروس قوساً مزيناً بالشموع والورود الطبيعية والصناعية وتزدحم غرفة الجلوة بالصبايا والنساء من كل الأعمار حيث تقام الرقصات ويعلو الغناء وتتبادل النساء الأويها ويعددون مناقب العروس وصفاتها وكرم وجود أهلها.

وفي منزل العريس يتوافد المدعوون رجالاً ونساءً من الوجهاء والأقارب والأصدقاء والجيران منذ الصباح حيث يتناول الجميع

طعام الغداء على مائدة والد العريس وبعدها يتوجه الجميع يتقدمهم
الوجهاء والكاهن إلى منزل والد العروس حيث يتم استقبالهم
بالترحيب والزغاريد وتقدم إليهم الضيافة ثم يشترك أهل العروس
وأهل العريس بتقديم النقوط للعروسة أمام النسوة في غرفة الجلوة،
وبعدها يطلب أحد الوجهاء من أهل العريس أو الكاهن من والد
العروس أوجدها أو عمها الأكبر الأذن بإنزال العروس عن عرشها
لمرافقتها إلى الكنيسة للاكليل، فيجيبه هذا أهلاً وسهلاً بكم شرفتمونا
والبنت بنتكم، وهنا يستدرك أحد أعمامها أو أخوالها مخاطباً أهل
العريس، ليس من مانع في ذلك ولكن أخا العروس وابن عمها
مسافران وشرطنا أنه لابد من حضورهم وموافقتهم على الاكليل
ونحن نرى أن يرجأ الاكليل حتى يوم مجيئهم، وهنا يبادر أحد
الحاضرين ويقترح إرسال كتاب مع رسول إلى أخيها وابن عمها
في سفرهم المزعوم يسألونهم العجلة في الإياب، ويعقب ذلك برهة
من السكوت فيبادر واحد من أهل العريس قائلاً: شو عليه أرسلوا
ساعياً وانتظروا من تشاؤون ومن تريدون وإنا هاهنا قاعدون فنحن
لن نجد أكرم من وجوهكم الطيبة وأحسن من بيتكم، فيجيبه واحد من
أهل العروس: أهلاً وسهلاً بكم نحن نتمنى لو تبقون عندنا طيلة
العمر ونحن نرى أن نؤجل الاكليل حتى يصل الغياب ولم العجلة
فهي من الشيطان، وبعد الأخذ والرد واشتداد المحاورة والجدال
يتدخل أحد الوجهاء قائلاً: الله يمسيكم بالخير يا جماعة، كل
ماتضعونه من شروط لاتمام الاكليل فعلى الله وعلي قضاؤها، وأنا
كفيل الغائبين بالرضى والقبول، وكفيل أهل العريس بماتقرضونه

عليهم، فيقول أحد أفراد أهل العروس: نحن قبلنا كفالة أبي فلان، وأعطينا ابنتنا لفلان ابن فلان إذ ما هو إالولد من أولادنا فيجيبهم الوجيه: بارك الله فيكم فأنتم جميعاً قدها وقدود، قدرنا الله على مكافأتكم، اسمح لنا يا أبا فلان بزفة عروستنا إلى الكنيسة، فيقوم والد العروس أو أحد أعمامها أو إخوتها بإنزالها من على عرشها فتقوم بتقبيل أيدي والديها وإخوتها وأعمامها وهي تذرف الدموع، ثم تمتطي فرساً مزينة يقوده اشبين العريس ويتوجه الجميع بزفة إلى باب الكنيسة حيث يلتقون مع العريس الذي يرافقه شباب العريس حيث يأخذ العريس بيد عروسه ويدخلا الكنيسة وبجانبيهما الاشبينان حيث يأخذ كل مكانه داخل الكنيسة المزينة لهذه المناسبة بالشموع ويقوم الكاهن بأجراء مراسيم الاكليل المعتادة وبعدها يغادر الجميع الكنيسة بزفة وعراضة إلى دار العريس بينما يعود أهل العروس إلى منزلهم، وتقام التعليلة بالدبكات والرقص والغناء طيلة ذلك اليوم في منزل العريس، وفي المساء تحضر والدة العروس إلى منزل ابنتها حيث يقبل العريس يد حماته ثم تنفرد الأم بابنتها لتهيئتها لاستقبال زوجها في غرفة الزوجية، بينما العريس يحاول أن يتسلل من بين أصدقائه الذين يحاولون منعه وإجباره على السهر معهم حتى الصباح حتى يبادر أحد أخوته أو أعمامه بفكه بقبول مايفرضه هؤلاء الشبان من حفلة غداء أو عشاء أو سكرة أو ذبيحة أو غيرها مقابل السماح له بالنوم في غرفته.

وفي اليوم التالي للاكليل يحضر أهل العروس وأعمامها وأخوالها إلى بيت العريس لتقديم التهاني والمباركة للعروسين حيث يتم استقبالهم

بحفاوة وإكرام، كما أنه في ذلك المساء تحضر النساء من أهل العروس وقربياتها وجاراتها والمدعوات إلى ذلك وهن يحملن جهاز العروس ونقوطها على رؤوسهن فيستقبلن بالزغاريد والأويها ويتقدم العريس ويقبل يد حماته ثانية وتقام التعليلة وتشترك النساء والصبايا من الطرفين في الرقص والغناء ثم يقدم أهل العريس الضيافة للجميع وتعود النساء إلى بيوتهن يرافقهن الشباب حرصاً عليهن.

وفي اليوم التالي يبدأ سيل المهنئين بالوفود إلى منزل العروسين لتقديم التهئة وتستمر العروس ملازمة بيت الزوجية حتى صباح الأحد التالي حيث تذهب مع زوجها إلى الكنيسة في صباح ذلك اليوم بأبهى ثياب وزينة للصلاة وبعدها ترافق زوجها إلى بيت ذويها لقضاء ذلك اليوم بين أهلها مع زوجها وتعود مساء إلى بيتها لتعيش مع أهلها الجدد ويقول المثل المحلي: العروس ترخي أب تلاقي عمها أب وترخي أم تلاقي حماتها أم... وهكذا.

الفصل الخامس:

بين القديم والحديث

الكتاب^٣

كان التعليم في القرون الماضية في يبرود يقوم على تعليم الصغار في كتاتيب خاصة يقوم عليها بعض الشيوخ من رجال الدين وأحياناً بعض النساء حيث كن يقمن على تعليم البنات. وكان من أشهر الكتاتيب في النصف الأول من القرن العشرين، كتاب الشيخ محمد المغربي وقد آل من بعده إلى ابنه الشيخ أحمد المغربي وأيضاً كتاب الشيخ بهاء الدين ياسين رحمهم الله جميعاً. كان الكتاب يستقبل الصغار من سن السادسة وحتى الرابعة عشرة حيث كان يتعلم فيه هؤلاء مبادئ القراءة والكتابة والحساب وقراءة القرآن الكريم، شيوخ هذه الكتاتيب كانوا يجيدون فن كتابة الخط العربي إجابة حسنة، حيث كانوا ينقلون هذه المهارة إلى تلامذتهم، وكان التلامذة يحافظون على الحضور إلى الكتاب طيلة أيام السنة عدا الكبار منهم حيث ينقطعون للعمل مع أهلهم في الحقول والكروم والبيادر حينما يحين موعد الأعمال الزراعية صيفا ثم يعودون للدوام شتاء لتحصيل العلم وإجابة قراءة القرآن الكريم. والكتاب عبارة عن غرفة متسعة نوعاً ما، في مقدمتها دكة خشبية مرتفعة قليلاً في وسطها يجلس الشيخ على جلد خروف

وأمامه طاولة صغيرة قليلة الارتفاع عليها أدوات الكتابة من ريشة ومحررة، وبجانب الشيخ وبم تناول يده عصاً طويلة رفيعة يطال بها أبعد التلاميذ عنه وهو جالس مكانه، ويتراوح عدد التلاميذ مابين الثلاثين والستين تلميذاً يجلسون على حصر مفروشة على الأرض، وكانوا متبايني الأعمار والهيئات، فقط يوحد بينهم طلب العلم والخشية من عصا الشيخ الذي كان صارماً وشديد العقاب لمن يخالف أو يتغيب أو يتباطأ في الدرس، وكان الدوام طيلة أيام الأسبوع عدا أيام الجمع والأعياد، وكان على التلامذة أن يصطحب كل منهم قطعة من الحطب أو الشيخ يومياً في فصل الشتاء لتكون وقوداً لمدفأة أو موقدة الكتاب لطرد البرد القارس، ومايزيد من هذا الحطب ودائماً ماكان يحدث ذلك يحتفظ به الشيخ لإيقاده في منزله، كما أنه في صبيحة كل يومي اثنين وخميس من الأسبوع كان على كل تلميذ أن يحضر معه للشيخ بيضتين غير مسلوقتين، والويل والثبور لمن يتخلف عن ذلك، وكان شيخ الكتاب ينال أجور تعليم الأطفال عيناً من محاصيل أرض أهلهم الزراعية، حيث كان الفلاحون يحسبون حساب الشيخ في مواسم البيادر أوحين قطف الجوز والعنب واقتلاع البطاطا وجني بعض محاصيل الخضار والفواكه وحين التدبيس شتاء، وكان الأهالي يقدمون ذلك للشيخ الذي يعلم أولادهم عن طيب خاطر لأنهم كانوا يقدرون قيمة تخليص أولادهم من الأمية والجهل حيث كان ذلك سائداً في ذلك العصر، وكان لشيوخ الدين وشيوخ الكتاب مكانتهم عند العامة.

كان التلميذ عندما يتم حفظ جزء من القرآن الكريم فإن الشيخ يستدعي والده ويمتحنه أمامه في هذا الجزء، وكان الشيخ ينال لقاء ذلك هدايا أهل التلميذ وشكرهم وامتنانهم، أما عندما ينهي التلميذ قراءة وإجادة كامل القرآن الكريم فيجرب احتفال يشترك فيه جميع تلاميذ الكتاب الذين يقودهم عريف الكتاب والشيخ وأهل التلميذ، وكان هذا الاحتفال يدعى الختمية أي ختم القرآن الكريم.

حفلة ختام القرآن الكريم

عندما يصبح التلميذ قادراً على حفظ قراءة جميع سور القرآن الكريم بشكل حسن ومقبول، يرسل الشيخ عريف الكتاب ليُعلم أهل التلميذ بذلك بعد أن يكون قد أمره أن يخطف حاجة من حاجات هذا التلميذ الخاصة كالمحرمة أو الطاقية بدون انتباه هذا التلميذ، وبذلك يكون قد علّم عليه، عندها يحضر والد التلميذ إلى الشيخ لتحديد موعد حفلة الختام، وفي اليوم المحدد يأتي أهل التلميذ إلى الكتاب ويفرشون على طاولة الشيخ غطاءً قماشياً مزخرفاً ويعلقون على أطرافه بعض قطع ذهبية كالليرات أو أنصافها ثم يضعون المصحف فوقها، ثم يصطف التلاميذ خلف الشيخ الذي يتقدم الموكب وأمامه الطاولة المزينة وفوقها المصحف يحملها عريف الكتاب، وبجانبه التلميذ صاحب الحفل ويردد التلاميذ بعض الأناشيد الدينية وهم في موكبهم هذا من باب الكتاب إلى دار التلميذ وذلك بعد صلاة الظهر حيث يستقبلهم أولياء التلميذ بالترحيب والزغاريد، ويدخل الجميع منزل التلميذ حيث تكون قد أعدت مائدة دسمة يتصدرها الشيخ، ثم يطلب الشيخ من التلميذ المحتفى به قراءة بعض سور من القرآن الكريم ليؤكد للأهل إجادة ابنهم ذلك ثم يتناول الجميع الطعام ويختتم ذلك الشيخ بالدعاء والآخرين برفع الأيدي والتأمين ثم يباركون للأهل ويعود كل إلى بيته، وبعدها يقوم أهل التلميذ بإهداء الشيخ في منزله ماتجود به أنفسهم من قمح وبرغل وسمن وكشك وزبيب وبطاطا وغير ذلك ويستردون علام ابنهم الذي يحتفظ به الشيخ حتى هذا الحين.

الواقع إن لشيوخ الكتاب هؤلاء فضل كبير في تخلص أبناء المسلمين من الأمية وتعليمهم أصول قراءة القرآن الكريم وإجادة الكتابة وفك الحرف، وكان أغلب تلامذة الكتاتيب يواصلون تعليمهم في المدارس الابتدائية ويختصرون السنة الأولى أو الثانية في هذه المدارس بسبب إجادتهم القراءة والكتابة.

تطور التعليم

كان للبعثات التبشيرية الغربية وحمية بعض رجالات يبرود في نشر العلم بين أبناء بلدتهم الفضل الأكبر في افتتاح عدد من المدارس التبشيرية والدينية في البلدة وذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر في يبرود.

وقد أورد الأستاذ الرحالة أحمد وصفي زكريا الذي زار يبرود في مطلع القرن العشرين في مؤلفه (جولة أثرية) وصفاً لمدينة يبرود منوهاً بالمدارس التي افتتحت بها سواء عن طريق البعثات التبشيرية أو مدرسة الحديث الإسلامية التي أنشأها أحد أفراد أسرة عقيل ثم المدرسة الأميرية (الرسمية) فكتب مايلي: (... وهواء يبرود نقي وتعد من مراكز الاصطياف والاستشفاء، وبيوتها أيضاً مبنية من اللبن، ولخاصتها عناية بالعلم والرفه، ولعامتها إنكباب على التجارة والزراعة، والجمال في نسائها غير يسير، وقد اشتهرت بمحصول البطاطا والحنطة السلمونية البيضاء والفول المئخار، وبصناعة خيام البدو، وقد جلبت إليها أخيراً مياه عين كوشل العذبة، أخف مياه هذه الكورة، فزادت الصحة فيها جودة.

وفي يبرود عدة مدارس ابتدائية، إحداها للروم الكاثوليك شادها في سنة ١٢٦٢هـ - ١٨٤٧م أحد مطارنتهم ثم استلمها اليسوعيون، وثمة مدرسة دينية إسلامية أسسها كبير أسرة عقيل المتقدمة في هذه البلدة في حدود السنة المذكورة، فكان منها لمسلمي قلمون نفع

جزيل، ومدرسة للبنين وأخرى للبنات للمبشرين الدانماركيين، وليس للحكومة سوى مدرسة واحدة ابتدائية هي أقل من حاجة يبرود...). انتهى.

نستنتج من ذلك أن العلم والطلب عليه ليس حديثاً في يبرود، فقد شهدت هذه المدينة منذ منتصف القرن التاسع عشر وجود عدة مدارس ابتدائية تبشيرية ورسمية ومدرسة دينية إسلامية، كما شهد العام ١٨٩٩م افتتاح المدرسة الأسقفية التي أنشأها أحد المطارنة ثم أصبح لهذه المدرسة الفضل الكبير في نشر التعليم المتوسط (الإعدادي) في يبرود وماحولها.

وقد شهد العام ١٩١٦م وكانت البلاد مائتال خاضعة للحكم العثماني أداء أول عمل مسرحي في يبرود في باحة مدرستها الرسمية حيث تم تقديم وعرض مسرحية وطنية أمام أهالي يبرود، هذه المسرحية كانت تعبر عن كفاح الأمة العربية ونضالها ضد الاحتلال الأجنبي وكانت بعنوان (صلاح الدين الأيوبي)، وقد قام بأداء أدوار هذه المسرحية المناضل الشهيد سيف الدين الخطيب الذي كان أحد رجالات اليقظة العربية والنضال العربي القومي ضد الاحتلال العثماني المستبد، وهو أحد شهداء السادس من أيار عام ١٩١٦م والذين أعدمهم والي سورية العثماني آنذاك أحمد جمال باشا السفاح في ساحتي المرجة في دمشق والبرج في بيروت، وقد قام أيضاً بأداء بعض الأدوار في هذه المسرحية كل من شفيق عقيل وحمود عقيل.

وفي فترة الاحتلال الفرنسي لسورية بين عامي ١٩٢٠م - ١٩٤٥م شهدت يبرود وجود عدة مدارس منها مدرستان للذكور والانات للبعثة البروتستانية والمدرسة الاسقفية ومدرستان رسميتان للذكور والانات.

في العام ١٩٤٥م اجتمعت شلة من مثقفي يبرود منهم الأستاذ تحسين منعم وعبد السلام حيدر وعبد الحميد حيدر ومحمد الكسار والدكتور أنيس دهر والخوري نقولا دهر ووضعوا مشروعا لرفع سوية التعليم من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة المتوسطة (الاعدادية) وتم لهم ذلك في العام ١٩٤٦م حيث افتتح أول صف للتعليم المتوسط، وكان عدد الطلاب فيه حوالي ٢٦ طالباً من ابناء القلمون بكامله، ثم تم نقل طلاب المرحلة المتوسطة في العام ١٩٤٨م إلى النبك كونها مركزاً متوسطاً للقلمون، وفي العام ١٩٥٠م تبنيتها وزارة المعارف وأصبحت تعرف بثانوية القلمون.

في العام ١٩٤٦م تطورت المدرسة الاسقفية من ابتدائية وفتحت فيها صفوف المرحلة المتوسطة وأصبح التعليم فيها فيما بعد مختلطاً وذلك في عهد وكيل المطران بترولماوس السمان، واستمرت هذه المدرسة تؤدي دورها حتى العام ١٩٦٧م حيث تمت مصادرتها وتأميمها ثم أصبحت نواة ثانوية يبرود للذكور والانات.

في العام ١٩٤٩م افتتحت في يبرود دار المعلمين الريفية وكان عدد طلابها حوالي ٨٦ طالباً واستمرت تؤدي دورها في تخريج المعلمين وتأهيلهم حتى العام ١٩٥٩م حيث تم نقلها إلى مدينة حمص، وقد تخرج من هذه الدار مئات المعلمين من كافة أنحاء القطر.

في العام ١٩٥١م تم فتح مدرسة متوسطة خاصة للبنات لتشجيع الفتيات من حملة الشهادة السرتفিকা (الابتدائية) على إتمام تعليمهن وكان عدد طالباتها في بداية افتتاحها حوالي ١٥ طالبة واستمرت لمدة أربع سنوات وخرجت أول دفعة من الطالبات من حملة الشهادة الإعدادية وقد تابع أكثرهن دراستهن في دار المعلمات بدمشق وتخرجن معلمات خدمن التعليم في يبرود وغيرها.

وفي العام ١٩٥٥م افتتحت في يبرود إعدادية المدينة المنورة واستمرت في أداء دورها التعليمي حتى العام ١٩٦٧م حيث شملها مرسوم تأميم المدارس الخاصة، وفي العام ١٩٥٩م افتتحت الإعدادية الصناعية في مبنى دار المعلمين الريفية سابقاً وقد تطورت فيما بعد لتصبح ثانوية صناعية ومهنية ولا تزال تؤدي دورها إلى الآن.

في عام ١٩٣٩م احتضنت يبرود أول معسكر كشفي أقيم في مرج قرينه (مكان المشتل التابع لوزارة الزراعة حالياً)، قاد هذا المعسكر المفوض العام ومؤسس الحركة الكشفية في سورية السيد عبد الكريم الدندشي، وقد ضم هذا المعسكر الكشفي العديد من فرق كشافة الوطن العربي، وكان ذلك أول بادرة تضامن عربي لشباب الأمة العربية.

الحرف والصناعات اليدوية القديمة

كان معظم سكان يبرود حتى منتصف القرن العشرين يتعاطون الفلاحة والزراعة وبعضهم يتعاطى الزراعة وتربية الماشية من غنم وماعز وبقر، وهناك فئة نزاول بعض الحرف المحلية المتعددة، وكانت أهم هذه الحرف الحدادة والنجارة والغزل والنسيج والتجيد وصياغة الذهب والدباغة وصناعة الأحذية والجزازة والحلاقة وأعمال البناء ونحت الأحجار وصناعة الدبس، فحدادو يبرود كانوا يقومون بصناعة جميع الأدوات الزراعية التي يحتاجها الفلاح بدءاً من المحراث والمعزق والرفش والمر والشعب والمسحاة وغيرها، كما كانوا يصنعون درابزونات الأدراج وشبكات النوافذ الحديدية والأبواب ومدافئ الحطب المتنوعة، والنحاسون يصنعون الأواني المنزلية المتعددة والحلل الكبيرة والصغيرة وكل ما تحتاجه الأسرة من طناجر وصحون ومقالي وسطول ودسوت وغيرها، كما يقوم المبيضون بتبييض هذه الأواني النحاسية بالقصدير حتى تصبح صالحة للاستعمال.

ونجارو يبرود كانوا يصنعون الأبواب والنوافذ وجميع الأدوات الزراعية الخشبية والخزن والطاولات والمقاعد وجميع الأدوات المنزلية الخشبية التي تحتاجها العروس لجهازها كالسبت والبيرو المطعمين بالصدف والعاج والفضة، كما كانوا يقومون بصناعة عربات الجر والطنابر.

وعمال الغزل والنسيج كانوا يقومون بغزل شعر الماعز المحلي أو المستورد ثم يقومون بنسجه لصنع البسط وخيام البدو، وليبرود شهرة واسعة في هذه الصناعة ويمارسها عدد كبير من السكان، كما أنه كان يتم في ببرود غزل صوف الغنم وتنسج منه البسط الصوفية والعباءات الصوفية (الزناريات) وأيضاً الشراشف الصوفية، كما كان يتم نسج الخيوط القطنية لصنع بسط (القطاع) وبعض حاجيات الفلاحين مثل الخرج والشليف والعدل.

وكانت بعض النساء يمارسن مهنة غزل الشعر القصير والناعم (الكمبك) في بيوتهن بواسطة مغازل خاصة تدعى (دواليب الكمبك) وذلك لاستخدام هذه الغزول كلحمة في نسج خيام الشعر.

وصاغة الذهب كان لهم شهرتهم في ببرود إذ إن معظم سكان القلمون كانوا يقصدون ببرود لاقتناء أنواع الحلي والمصوغات الذهبية التي كانت تُصنع في ببرود.

كما أن الدباغين كانوا يقومون بدباغة جلود الحيوانات التي كانت تذبح في ببرود كالأغنام والماعز والبقر والجمال والتي كانت تستخدم في صناعة الأحذية أو تصدر خارج البلدة، كما كان البعض يقومون بدباغة جلود الخراف لصناعة الفروا.

أما الاسكافيون وصناع الأحذية فكانوا يكفون المنظفة بكاملها من انتاجهم في مختلف أنواع الأحذية الرجالية والنسائية والولادية النعلية منها أو المطاطية بدءاً من الشاروخ وحتى الكندرة والصباط والمداس والصرماية والشحاطة وغيرها.

كما ازدهرت صناعة القفف والدلاء بأنواعها والسطول المطاطية
والمصنوعة من دواليب الآليات الكاوتشوك (المطاط).

كما أنه وجد في يبرود عدد غير قليل من البنائين الذين بنوا
منازل يبرود واشتركوا مع النحاتين الذين كانوا ينحتون الأحجار
الكلسية لاستخدامها في بناء واجهات المنازل ونحت الأعمدة
وحجارة الأقواس للأروقة ونحت أجران الكبة وغيرها.

وهناك أيضاً الجزارون الذين كانوا يقومون بذبح الخراف
والماعز والأبقار والجمال وكان عددهم قليلاً لا يتجاوز عدد أصابع
اليدين، أما الحلاقون فكانوا يقومون إلى جانب مهنتهم بخلع الأسنان
والأضرار بوسائل بدائية ويمارسون عمل أطباء الأسنان.

أما أصحاب معاصر الدبس فكانوا يقومون بتحويل الزبيب إلى
دبس وهذه المهنة فصلية حيث لا يتم ذلك إلا في فصلي الخريف
والشتاء وعدد معاصر الدبس في يبرود كان يتجاوز السبعة وكانت
تكفي يبرود والقرى المجاورة.

والمطاحن أيضاً كانت تؤدي دورها في طحن حبوب سكان
يبرود وجميع القرى المجاورة لها، وكان هناك تسع مطاحن تدور
بقوة الماء بآلية ميكانيكية تثير الإعجاب، كما أن هذه المطاحن كانت
تقوم بطحن الكشك أيضاً، كما كان يوجد في يبرود أكثر من خمسة
أفران للخبز وبها كان الناس يشوون عجين اقراص الحلو.

وقد عرفت يبرود بعض صناعات قد اندثرت كصناعة الفخار
والصابون وغزل خيوط القنب والطباعة على قماش المناديل
النسائية.

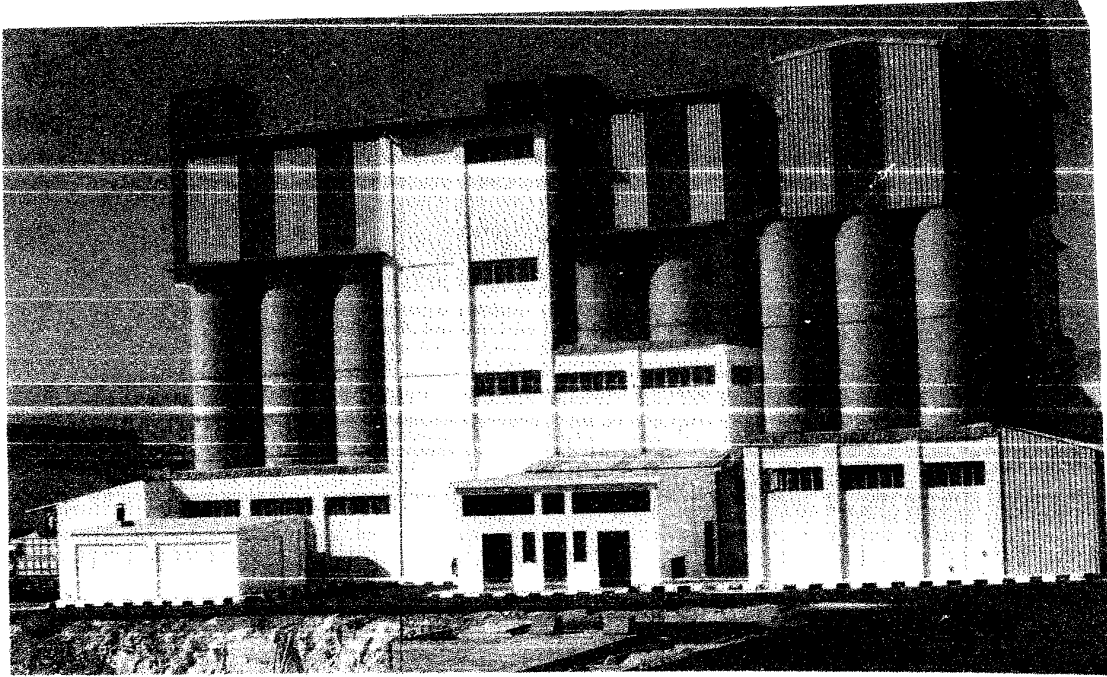
والخلاصة أن انتاج هؤلاء الحرفيين من حدادين ونجارين وعمال
غزل ونسيج ومنجدين وصاغة ودباغين وصناع أحذية وعمال بناء
ودباسين وطحانين وغيرهم كانوا يغطون معظم احتياجات سكان
بيروود وسكان البلدات وقرى القلمون حيث كانت بيروود سوقاً رائجة
لهذه السلع والصناعات حيث كان يتوافد إليها سكان النبك ودير
عطية وقارة والسحل وجراجير وفليطة ورأس المعرة وبخعة والجبة
وعسال الورد وقلدون والقسطل والناصرية وجيروود لابتئاع
حاجياتهم المنزلية والزراعية سواء كانت المعدنية منها والخشبية
كما كانوا يبتاعوا الأقمشة والألبسة وأدوات الزراعة والحراثة
والفرش والبسط والمساند والأدوات النحاسية والزجاجية والأحذية
ومصاغ العرائس وجهازهن بأكمله، وذلك من مشاغل الحرف
والمحلات التجارية في سوق بيروود.

تطور الصناعة في يبرود

بعد أن حصل القطر العربي السوري على استقلاله عام ١٩٤٥م، حدث التطور الصناعي بشكل عام في القطر، وبنتيجة تدفق الأموال التي جمعها المغتربون من أبناء يبرود في بلاد المهجر سواء في أقطار القارة الأمريكية أو أقطار الجزيرة العربية والخليج العربي، انعكس كل ذلك بقيام نهضة صناعية حديثة في يبرود، وتحولت أغلب الحرف القديمة في البلدة إلى صناعات حديثة متنوعة تعتمد على العلم والتكنولوجيا وأدوات الانتاج الحديثة، وافتتحت في يبرود عدة مصانع حديثة، وأصبحت المصنوعات الليبرودية تغزو أسواق المدن السورية بل وأسواق الأقطار العربية المجاورة، وغدت يبرود ذات مكانة صناعية واقتصادية مرموقة في القطر ليس في مجال التصنيع فقط وإنما أيضاً في مجال تربية الدواجن وإنتاج البيض وقد بلغ إنتاج منطقة يبرود من الدواجن والبيض ما بين ٢٥ - ٣٠٪ من انتاج القطر السوري من هذه المواد. وقد أنشئ في يبرود عدة معامل ومصانع تعزز بها يبرود وتفخر ومن أهمها:

- ١ - معمل تصنيع الأعلاف ويعتبر هذا المعمل من أهم معامل تصنيع الأعلاف الحيوانية المركزة في منطقة الشرق الأوسط وهو نو تقنية حديثة جداً.

- ٢ - أربعة معامل لصناعة الأنابيب والبروفيلات المعدنية بكافة قياساتها وأقطارها.
- ٣ - عشرة معامل لصناعة المدافىء بأنواعها وأحجامها.
- ٤ - معمل لصناعة الكونسروة وتعليب الفواكه والخضار.
- ٥ - معمل لصناعة ألواح خشب اللاتيه.
- ٦ - أربعة معامل لتعبئة المته.
- ٧ - ثلاثة معامل لصناعة البلاستيك وأكياس النايلون بأنواعها وأشكالها.
- ٨ - ثمانية مصانع لصناعة النشافات البلاستيكية والمعدنية.
- ٩ - مصنعان لصناعة شريط المنخل المعدني.
- ١٠ - معمل لصناعة الفراشي والمكانس البلاستيكية.
- ١١ - أربعة عشر معملاً لصناعة الجوارب بأنواعها.
- ١٢ - أحد عشر مشغلاً لأشغال المعادن منها مشغل لإنتاج المعالف والمشارب المعدنية والوتوماتيكية للدواجن ومشغل لإنتاج المفصلات المعدنية.
- ١٣ - ثلاثون مشغلاً لصناعة غزل ونسج الشعر.
- ١٤ - مصنع لإنتاج زيت حبة البركة.
- ١٥ - خمس ورشات لصناعة صناديق السيارات بأنواعها.
- ١٦ - معمل واحد لصناعات الساعات الزمنية بأنواعها.



مصنع الأعلاف الحيوانية في بيروت

- ١٧ - ١١٠ محلات للحدادة الافرنجية.
- ١٨ - ١٨ ثمانية عشر محلاً لاصلاح الميكانيك.
- ١٩ - ١٩ تسعة عشر محلاً لاصلاح الأدوات الكهربائية.
- ٢٠ - ٦٠ ستون مشغلاً للنجارة الحديثة.
- ٢١ - ٥٠ خمسون مشغلاً لنجارة الموبيليا.
- ٢٢ - ١١٠ معملًا لصناعة البلوك والأنابيب الاسمنتية.
- ٢٣ - ١٥ خمسة عشر مشغلاً للخياطة الحديثة.
- ٢٤ - ١٢ اثنا عشر مشغلاً للتجيد الحديث.

- ٢٥ - ٩ تسعة أفران لصناعة الخبز والكعك وثلاثة أفران آلية.
- ٢٦ - أربع محلات لصناعة الحلويات.
- ٢٧ - ثلاث محلات لصناعة البوظة.
- ٢٨ - ثلاثة معامل لصناعة الطحينة والحلاوة.
- هذه المعامل والمصانع هي التي استطعت احصاءها وقد فاتني
العديد من الصناعات المتنوعة التي غفلت عنها.

مفكرون وأدباء وفنانون من يبرود

حبيب ابراهيم كاتبه (١٩٠٢م - ١٩٥١م):

ولد في مدينة يبرود وأنهى دراسته بالجامعة الأمريكية في بيروت، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والتحق بجامعة (هارفرد) متخصصاً في التصوف الاسلامي وفلسفة الدين، في عام ١٩٢٤م عمل بجريدة (بروكلن ايكل) كاتباً متخصصاً بشؤون الشرق الأوسط، وكتب أكثر من مائتي مقال عن الشرق العربي من خلال زيارته للشرق في صيف عام ١٩٢٩م.

وعقب عودته إلى الولايات المتحدة ألف كتاب (المهاجرون العرب في أمريكا الشمالية) وذلك باللغة الانكليزية، وتوفي في ريعان شبابه عام ١٩٥١م.

يعد الأديب حبيب كاتبه من أبرز وجوه الأدب المهجري وأنشط العاملين في حقل القومية العربية، إذ قام بإدارة مكتب الجامعة العربية في نيويورك ومكتب الشؤون العربية الأمريكية وكان حلقة الاتصال بين الوفود العربية، وله أثر كبير في الحركة الفكرية والنهضة الأدبية بالمهجر، أنبه عصري الطابع، غني بمادته العلمية والفلسفية، حافل بالكنوز القديمة يبرزها في حلة جديدة شيقة.

الياس قنصل (١٩١٢م - ١٩٨١م):

ولد في يبرود في ١٣ نيسان من عام ١٩١٢م، ورحل مع أبيه إلى البرازيل وعمره أربع سنوات ثم عاد بعد أربع سنوات إلى البلدة حيث تعلم في مدرستها الابتدائية، ثم هاجر إلى الأرجنتين في سن الثالثة عشرة، وغدت منذ تلك السنة مغتربه الدائم، وثقافته لم تتعد التعليم الابتدائي، لقد تقف نفسه بنفسه وتعلم في المهجر من الكتب العربية التي كان ينفق معظم دخله الزهيد على شرائها، لكنه كان يملك موهبة الفنان الأديب والشاعر، لذلك استقام له الشعر بسرعة وانطلق منذ بلغ السابعة عشر ينظم ويكتب في الصحف ويرأس تحرير إحداها ويصدر بنفسه أخرى وعمره لم يتعد الثالثة والعشرين، ولقد علمته الحياة وعلمته الكتب، وكانت ثقافته الشخصية وتجاربه الكثيرة الخاصة عوناً لموهبته في إيصاله إلى المكانة التي بلغها في عالم الأدب.

امتازت هذه المرحلة من حياته بهذا الانتاج الغزير وبتتبعه أخبار الوطن العربي السياسية والأدبية، كما تشهد بذلك مجلة المناهل التي كان قد أصدرها عام ١٩٣٧م، والتي كانت غنية بأخبار سورية وسائر البلاد العربية، كما امتازت هذه الفترة من حياته بالشعر الكثير الذي نشره تمجيذا لبطولات الثوار الذين كانوا يقارعون الاستعمار الفرنسي في سورية، وخاصة في الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م، وكان دائماً يتفطر حنيناً وشوقاً للوطن.

يحتل الياس قنصل مكانة خاصة بين شعراء المهجر وأدبائه، فقد ترك لنا نتاجاً متنوعاً في الشعر والقصة والرواية يقارب الخمسين

مؤلفاً على أن هذا النتاج الغزير ترفرف فوقه قبل كل شيء تلك الروح العربية التي تبسط جناحيها على كل ماكتب، يتجلى ذلك في الأسلوب وفي المضمون، ففي الأسلوب نجد لفظاً أنيقاً وجملة قصيرة وصورة رشيقة، وفي المضمون طلب الحرية للعرب وتحرير أرضهم المغتصبة واستعادة القدس السليبية ثم مع هذا كله حنين للوطن وفرحة ببقائه وحب للعرب واعتزاز بأمجادهم وتاريخهم.

ففي شعر الحنين للوطن ولكل ما فيه من جمال وذكرى طفولة ماأحلاها وماأبهاها إذا ماقورنت بحياة المهجر المادية القاسية، وفي الشوق إلى الحرية، أما الآن وقد لقي الوطن بعد طول غياب فهو يستسلم لدموع سعادته التي ذرفها كثيرة متلاحقة، وليس هذا عجيباً فلقد أمضى حياته في المهجر حالماً بقاء الوطن الذي تقدست ذرات أرضه.

يشكل نتاج الياس قنصل النثري جزءاً هاماً جداً مما قدم في حياته الأدبية من حيث الكمية والنوعية، فعدد مؤلفاته النثرية الموضوعية أربعة عشر كتاباً والمخطوطة خمسة عشر منها أربع مجموعة أقاصيص وهي: (في مدار الزمن) و(في سبيل الحرية) و(لصوص الشرف) و(دولة المجانين) وأربع دراسات أدبية ونقدية مثل (اصنام الأدب) و(أدب المغتربين)، وخمسة مجموعات مقالات (البقايا) ومؤلف بعنوان (أوراق مبعثرة).

كما عني الياس قنصل بفن الخطابة وبرع فيه، وقد توفي يوم ٢٠ آذار عام ١٩٨١م، ونعته أكثر الاذاعات والصحف العربية، كان انساناً عربياً أصيلاً وشاعراً عبقرياً.

موسى كريم (١٩١٠م - ١٩٧٥م):

ولد في مدينة يبرود عام ١٩١٠م، تعلم في مدارسها الابتدائية، كان محباً للمطالعة، تقف نفسه بنفسه حيث درس أمهات الكتب العربية، عين مدرساً للغة العربية في القريتين لمدة عامين.

هاجر إلى البرازيل في العقد الرابع من القرن العشرين، كافح وعمل بالأدب وأتقن اللغة البرتغالية وكتب الكثير من المقالات في صحف البرازيل باللغة البرتغالية، وبعد أن نال الجنسية البرازيلية أسس مجلة الشرق الناطقة باللغتين العربية والبرتغالية، حيث نالت انتشاراً واسعاً بين صفوف المغتربين العرب في المهجر، ثم نال لقب عميد الصحافة البرازيلية، زار يبرود ثلاث مرات وكل مرة كان يقدم انجازات إلى بلده كبناء مشفى يبرود حيث كان نصف تمويل بناء المشفى من جيبه الخاص، كان محدثاً لبقاً وخطيباً مفوهاً، استمر في عمله الأدبي والصحفي حتى آخر رفق من حياته، توفي في البرازيل عام ١٩٧٥م، من أهم آثاره الأدبية (الأبجدية الأولى) و(شعراء وخلفاء) و(حدث في دمشق) و(خلفاء بغداد) و(قال جبران) و(أدب جبران) و(قال جحا).

الدكتور أنيس دهب:

من مواليد يبرود عام ١٩١٥م تلقى تعليمه الابتدائي في يبرود ونال الشهادة الثانوية في دمشق، انتسب إلى المعهد الطبي الفرنسي في بيروت عام ١٩٣٦م وتخرج منه طبيباً عام ١٩٤٢م عمل في حقل الطب في يبرود ولا يزال يزاوّل هذه المهنة في مسقط رأسه.

يميل للأدب وللساخر منه بوجه خاص، كتب بعض المقالات في بعض المجلات اللبنانية وفي مجلة الكلمة التي كانت تصدر في بيروت، أصدر الجزء الأول والثاني من كتاب ألوان وسيصدر له عما قريب الجزء الثالث.

نقولا واكيم (١٩٣٢م - ١٩٩٥م):

ولد في بيروت في أول الثلاثينات، درس المرحلة الابتدائية في مدارس بيروت، كان موهوباً منذ صغره حيث كان يشارك في أداء المسرحيات الغنائية التي تقيمها المدرسة، انتقل إلى مدينة زحلة بلبنان حيث أتم دراسته ونال بعدها ثلاث إجازات جامعية، إحداهما في الأدب العربي والثانية في الأدب الفرنسي والثالثة في الفلسفة، عين مدرساً في المدرسة الشرقية بزحلة، ألقى محاضرات في جامعة لبنان، له نشاط كبير في مجال الترجمة وقرض الشعر العمودي والحديث، كما أن له مؤلفات موسيقية متعددة أداها المطرب الراحل نصري شمس الدين، من أهم مؤلفاته الأدبية (بابل) وهي شعر ملحمي و(تموز) وهي أيضاً شعر ملحمي و(قصائد ساذجة) بالفرنسية ترجمها إلى العربية صبحي حبش و(هي والآخرون) و(سنابل الشتاء) و(تأملات ليلة صيف) و(مجد من عنا) وهي مسرحية غنائية و(فهمكم كفاية)، كتب عنه (الشعر الملحمي عند نقولا واكيم) تأليف ميشال فرنسيس و(أضواء حول نتاج نقولا واكيم) لمجموعة من الكتاب.

زكي القنصل (١٩١٤م - ١٩٩٤م):

هو شقيق الياس قنصل الأصغر ولد عام ١٩١٤م في يبرود وهاجر ملتحقاً بأخوته إلى الأرجنتين البلد الذي توضحت فيه الهجرة البيرودية تقريباً، ومنذ سني حياته المبكرة انكب على القراءة والاطلاع، وظهرت موهبته الشعرية ليأخذ دوره القومي إلى جانب شعراء المهجر العربي وعلى امتداد الثمانين عاماً التي عاشها كان عمره حافلاً بالعطاء، وإلى جانب عمله في الصحافة والندوات الأدبية التي كان يديرها بين المهاجرين وفي الجالية العربية البيرودية، ترك وراءه سيلاً من دواوين الشعر التي أتخمت بالحس القومي والعاطفة الصادقة.

تميز شعر زكي القنصل بماتميز به الشعر المهجري عامة بالحنين إلى الوطن ووصف معاناة المهاجرين والمغتربين في محيط غريب عنهم بعباداته وتقاليده ولغته وأخلاقه الجنسية المختلفة، وظل عربي القلب والتوجه في كل قصيدة كتبها، وإن كان شديد التعلق بالتقليدية الشعرية التي لم يستطع تجاوزها فنياً، نشر العديد من قصائده في الصحف والدوريات العربية، وجمع أعماله كلها قبيل وفاته المفاجئة، وهي تطبع في المملكة العربية السعودية كأعمال كاملة، كما نشرت له وزارة الثقافة السورية مجلداً من شعره تحت عنوان (ديوان زكي قنصل - المجلد الأول).

توفي في بيونس ايرس إثر نوبة دماغية حادة عن ثمانين عام ١٩٩٤م، ليضاف اسمه إلى قافلة شعراء المهجر، الذين استطاعوا أن يحدثوا تياراً شعرياً له ميزاته وخصائصه حظي بعدد ضخم من الدراسات الأكاديمية على صورة رسائل وأطروحات، كما عني به نقاد الأدب المعاصرون.

الدكتور فريد عقيل (١٩٣٧م - ١٩٩٥م):

ولد في بيروت عام ١٩٣٧م وتلقى تعليمه في مدارسها، ثم تخرج في كلية الحقوق في جامعة دمشق، وحصل على الدكتوراة في الحقوق من جامعة مدريد في اسبانيا عام ١٩٧٢م قسم فلسفة القانون، شغل مناصب قضائية عديدة آخرها عضوية المحكمة الدستورية العليا في القطر العربي السوري.

تولى تدريس الحقوق في جامعة الجزائر بين عامي ١٩٧٦م - ١٩٧٨م، وفي كليتي الحقوق والشرعية في جامعة دمشق بين عامي ١٩٧٩م - ١٩٨٧م.

له مؤلفات في الحقوق منها: (الالتزام) ويدرس في كلية الحقوق في جامعة دمشق و(الحجز الاحتياطي في القانون أوفيا استقر عليه الاجتهاد) و(نظرية مسؤولية حارس الآت الميكانيكية والأشياء الخطرة في القانون والاجتهاد المقارن) و(حجية الأحكام القضائية في الاسلام وقابليتها للمراجعة والنقض بعد الانبرام) أصدرته جامعة القرويين في المغرب وله مؤلف بالاسبانية عن (ابن رشد وفلسفته في العدالة ونظريته في الاجتهاد).

لفريد باع طويلة في الأدب نثراً وشعراً، وقد ظهرت اهتماماته الأدبية في سن مبكرة، وتأنى له القريض وملك زمامه فنظمه ضمن شروط البلاغة الشعرية القديمة وسلك فيه الخط الكلاسيكي مع أقرانه من أمثال بدوي الجبل وسليمان العيسى وعمر أبو ريشة وغيرهم، وهو يحتذي النموذج الجاهلي في شعره كله، له (هاجس من عبقر) و(الثورة أوسلطان باشا الأطرش) و(معلقة على جدار

يبرود) يساير فيها نظام المعلقة الجاهلية وبنيتها وهو يطلعنا فيها على تاريخ يبرود القديم وجمالها بجمالها ووديانها وهوائها ومياهها وبعض الجوانب من الحياة الاجتماعية وعادات وتقاليد أهلها.
أنطون المقدسي:

ولد المفكر العربي أنطون المقدسي في يبرود عام ١٩١٣م، تلقى علومه في سورية ولبنان وباريس في فرنسا، عمل بالتعليم الثانوي وفي دور المعلمين، ثم درس الفلسفة في جامعة دمشق ثم انتدبته وزارة الثقافة في قطر السوري مديراً للنشر فيها، وهو أحد مؤسسي اتحاد الكتاب العرب في دمشق عام ١٩٦٩م.
قد يكون المفكر أنطون المقدسي واحداً من قلة من المفكرين الذين لم يطبعوا انتاجهم الفكري في كتب، ومع ذلك يعتبره الدارسون صاحب بصمة على الفكر العربي المعاصر، من خلال محاضراته الدسمة ومقالاته المطولة والمكتفة رغم طولها، والتي تنشر في كبريات المجلات والصحف العربية، فهو مفكر يكتب ويتحدث ويحاضر عن تاريخ الفلسفة ومدارسها وتطورها عبر التاريخ، كما يكتب دراسات مكثفة في الفكر السياسي، وفي الفكر التربوي، وفي الأدب وعندما يكتب دراسات نقدية يشعر متلقيه بالكثافة الفكرية والثقل الفلسفي اللذين يشغلان رؤيته النقدية.
ومايزال محبوبه ومريدوه عاجزين عن اقناعه في طباعة أعماله المتناثرة بين المقالات المنشورة والمحاضرات والأعمال المخطوطة.

خالد محي الدين البرادعي:

ولد الشاعر خالد محي الدين في بيروت عام ١٩٣٤م تلقى تعليمه بدءاً من القرآن الكريم في الكتاب، ثم نال قسطاً من التعليم المدرسي والتحق بمهنة النجارة يتعلمها أمام ضغط الظروف المادية القاسية، رحل إلى دمشق وهو في الثالثة عشرة من عمره وكان الكتاب رفيق دربه وصديقه ثم رحل إلى الكويت للعمل فيها، وهناك عمل في الصحافة وترأس القسم الثقافي لجريدة القبس، قدم العديد من المسرحيات الشعرية وحظي مسرحه الشعري بعدد من الدراسات الجامعية في الوطن العربي، وترجم بعض نتاجه إلى الإسبانية والفرنسية والانكليزية والفارسية والاوكرانية، ويعتبر من كبار شعراء المسرح العربي.

نشر قصائده ودراسته النقدية في العديد من الدوريات العربية كالوحدة المغربية وآفاق عربية عراقية والمعرفة والموقف الأدبي السوريتين والكاتب العربي، والآداب اللبنانية.

يمتاز شعر البرادعي بخاصية السرد الحكائي والمشهدية الدرامية وخاصة في قصائده الطويلة، فهو يعتمد هذه الحالة كدلالة على التفرد والخصوصية بدون أن يقطع صلاته بالشكل الكلاسيكي للقصيدة، على رغم أن معظم قصائده مصاغة بأسلوب التفعيلة التي فتحت مجالات واسعة أمام تطور الشعر العربي المعاصر.

نشرت أعمال البرادعي الشعرية والنثرية في معظم عواصم الوطن العربي بين دمشق وبيروت وبغداد والقاهرة وتونس والمغرب وليبيا والكويت.

بلغت أعمال البرادعي المنشورة حتى عام ١٩٩٤م أربعاً وأربعين عملاً ما بين دواوين شعر ومسرحيات ونقد وآخرها ديوان (عبد الله والعالم) وقد عكف أخيراً على كتابة الدراما التلفزيونية فكتب بعض المسلسلات كـ (بحث عن أبي حيان التوحيدي) و(منام الأمير وردان) و(الرحلة المغربية أو ملوك الطوائف) و(العربي والذئاب السبعة).

جيروم غيث (١٩١٣م - ١٩٧٦م):

ولد في يبرود عام ١٩١٣م وتلقى تعليمه الابتدائي في مدارسها ثم انتسب إلى الرهبانية الباسلية الشويرية وهو ابن ١٣ سنة. تلقى تعليمه في الدير والمدرسة التابعة له ونال الشهادة الثانوية وبعدها تابع دراسته في الجامعة اليسوعية في بيروت، درس اللاهوت والفلسفة وكان من المبرزين في دراسته، وأكمل دراسته في باريس حيث درس الفلسفة والآداب ونال شهادة الدكتوراة في اللاهوت ودرس أيضاً علم الحيوان.

بعد عودته إلى لبنان درس الفلسفة في الجامعة اللبنانية في بيروت وأصبح مشرفاً على برامج الجامعة ومستشاراً عاماً لها، كما ألف محاضرات في الجامعة اليسوعية.

كان مشهوراً بالزهد في حياته وملبسه شديد التواضع صريحاً ومحبوباً من معارفه، كان مهتماً بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة وبفلسفة سقراط، أهم مؤلفاته (أفلاطون) و(سقراط) وله (دراسة عن حرية الفيلسوف بيرديت).

يوسف درة الحداد (١٩١٥م - ١٩٧٩م):

ولد في يبرود عام ١٩١٥م تلقى تعليمه الابتدائي في مدارس يبرود وأنهى تعليمه الثانوي في المدرسة الصلاحية في القدس في فلسطين حيث تلقى فيها العلوم الكهنوتية لمدة أربعة عشر عاماً ثم ارتسم كاهناً على كرسي حمص وحماه ويبرود لمدة ثلاثين عاماً، كان يجيد اللغات الفرنسية والانكليزية واللاتينية والبرتغالية، كان كثير المطالعة والقراءة في الكتب الدينية الاسلامية والمسيحية، كان محدثاً وخطيباً مفوهاً وشاعراً وله عدة قصائد شعرية خاصة.

شارك في المؤتمر الذي عقد في اسبانيا تحت شعار (في سبيل حوار اسلامي مسيحي)، تزيد مؤلفاته عن ١٥ خمسة عشر مؤلفاً كان أبرزها كتابه (الانجيل والقرآن) و(القرآن والكتاب) و(نظم القرآن والكتاب) و(مدخل إلى الحوار الاسلامي) و(القرآن والمسيحية) و(المسيح ومحمد في عرف القرآن) و(تاريخ المسيحية) و(فلسفة المسيحية) وغيرها، كانت وفاته في يبرود عام ١٩٧٩م.

عبد الحميد السوق (١٨٧٨م - ١٩٤٢م):

كان من شعراء يبرود في النصف الأول من القرن العشرين، ولد في يبرود حوالي العام ١٨٧٨م وتوفي فيها عام ١٩٤٢م، تلقى تعليمه في مدارس البلدة وكان كثير القراءة والاطلاع عمل موظفاً في بلدية يبرود ثم رئيساً للبلدية، كان يتصف بالذكاء وسرعة البديهة، أديباً فكهاً لا يترك مناسبة إلا وينظم فيها شعراً ولكن للأسف لم يهتم أحد من أسرته بجمع شعره ونشره بل بقي في بعض وريقات متناثرة عند أفراد أسرته وأقاربه، وقد ضاع أغلبها.

إننا نكتشف من خلال الاطلاع على بعض قصائده الطويلة أنه كان يروي القصة شعراً من خلال القصيدة الموزونة، كانت أشهر قصائده قصيدة طويلة نظمها بمناسبة عيد الشجرة عام ١٩٣٩م وقصيدة بعنوان الدر المنظوم في الزوج المظلوم.

من أجمل شعره ما قيل في الهجاء حيث كان عبد الحميد هجاءً لاذعاً وكمثال على شعره الفكاهة ما قاله في صديقه الدكتور داود الذي كان يعالج المرضى في يبرود هاذين البيتين:

نصيحة يابني يبرود قاطبة تجنبوا حكمة الدكتور داودا
مازار يوماً مريضاً وهو في رمق إلا وبعد قليل كان مفقودا
الدكتور حسن حده:

ولد في يبرود عام ١٩٢٢م وأتم دراسته في دمشق وتخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٤٧م ونال شهادة ماجستير في العلوم العسكرية عام ١٩٥٨م، كاتب ومؤلف وباحث تاريخي واجتماعي وسياسي معروف.

وله العديد من الكتب مثل: «موسى والتوراة - الجذور الفلسطينية - العرب الكنعانيون - الهجرات العربية - من تاريخ المغتربين - الجزيرة العربية أم الحضارة - الجذور اليهودية... وغيرها كثير».

الدكتور توفيق الحاج يحيى:

ولد في يبرود عام ١٩٣٧م وتلقى تعليمه فيها، حصل على لقب دكتوراه في الطب من جامعة دمشق عام ١٩٦٤م، عُين في وزارة الصحة السورية وتنقل بين عدة مستشفيات ومراكز طبية وكان آخر عمل له رئيساً لمشفى يبرود حتى عام ١٩٩٣م.

خارج عمله الوظيفي كان يمارس الطب العام وقد ولى الطب الطبيعي كل اهتمامه.

له أبحاث علمية وطبية منشورة في المجلات الطبية العربية وله محاضرات عدة في أسبوع العلم وقد صدر له كتاب «الهوايات والأهواء» وكتاب «الطب البديل» وسيصدر له كتابان «النبات غذاء ودواء» و«مع الطب والأطباء».

محب للعلم والبحث العلمي، لديه مكتبة علمية وأدبية جيدة.

الخاتمة

من طبيعة الانسان شدة فضوله للتعرف عما يدور وعما دار أيضاً من حوله، وإنه ليجد متعة كبيرة عندما يستطلع بعض أغوار الماضي ويتعرف عليه، خاصة عندما يكون هذا الماضي متعلقاً بتاريخ بلاده أو سيرة أجداده، ولعلي في دراستي هذه أكون قد نلت رضى أبناء مدينتي بنقل كل ما أعرفه وما تعرفت عليه وما جمعته من تاريخ هذه المدينة وتراثها وأحوال ونشاط الجدود والآباء من أبنائها لأضع كل ذلك أمام الأجيال لتبقى ذكرى لاتضيع لأن الظروف والأيام طمست الكثير من تاريخ وتراث شعبنا وبلادنا، وأنا أعترف أنني في تدوين دراستي هذه لتاريخ مدينتي يبرود قد لاقيت صعوبات جمة لفقر هذه المنطقة بالمصادر التاريخية المدونة والموثقة.

لذلك كان علي أن أجمع الننتف من هنا وهناك مما كتب حول يبرود ثم أصوغها في دراسة قد تفيد القارئ وترضيه وأني أعترف أنه ليس في الامكان أفضل مما كان، ودراستي هذه قد دارت حول تاريخ يبرود وبعض الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ومكانة المرأة ونظام الزواج وبعض المظاهر التي تنفرد بها يبرود كنظام الري فيها والمطاحن المائية وبعض الحرف والصناعات كصناعة خيام الشعر لبدو الصحراء ونظام بناء البيت اليبرودي.

فمن الناحية التاريخية لقد أثبتت الكشوف الأثرية والتاريخية أن منطقة يبرود قد استوطنت بالبشر منذ مئات آلاف السنين، وأن سكان عصور ما قبل التاريخ فيها لم يعرفوا الكتابة لذا لم يستطيعوا أن يسجلوا أحداثهم وأفكارهم ومعتقداتهم، ونحن نحاول التعرف على كل ذلك من خلال دراسة البقايا المادية التي خلفوها كالأدوات الصوانية والحجرية وبقايا المواقع والقبور، ومن البديهي أن نمط معيشة هؤلاء البشر قد اختلفت بتوالي السنين والأيام، ومنذ فجر التاريخ عاش هؤلاء الناس متنقلين خلف مصادر الصيد والالتقاط البريين، وبعدها عرفوا البناء واستقروا في كهوف وأبنية بدائية ومارسوا الزراعة وتدجين الحيوانات، وبذلك يكونون قد حققوا درجة كبيرة من التطور الاجتماعي والاقتصادي، ولا بد أن هؤلاء السكان قد شكلوا مجتمعا قائماً بذاته في هذه المنطقة منذ عصور ساحقة في القدم، وبعدها شهدت يبرود ومجتمعها جميع الأحداث والتطورات والتقلبات الحضارية والسياسية وأيضاً تدفق الهجرات البشرية المتوالية، كما شهدت قيام أنظمة سياسية مستقلة في حقب تاريخية متوالية.

ومن المؤسف جداً أن المصادر التاريخية المادية ضئيلة جداً بسبب عدم الاهتمام بالتنقيب الأثري في هذه المدينة برغم غناها بالمخلفات الأثرية المتعددة والتي تعود إلى عصور مختلفة، ولعل المستقبل سيكشف الكثير من تاريخ هذه المدينة إذا توفر لها البحث والتنقيب الأثري سواء في موقع تلة القبع الأثرية والتي تحتوي على بقايا حصن روماني قديم في أعلاها أوفي المقابر والنواويس

المنقورة في الصخور الصلبة والمنتشرة بكثرة على أطراف المدينة أوفي المعبد الوثني القديم والذي تحول إلى كنيسة في وسط المدينة. وقد عرجت في هذه الدراسة على ذكر موقع يبرود الجغرافي والمناخ السائد فيها ولا بد أن لذلك تأثيراً على نمط وحياة سكانها ونشاطهم الاقتصادي في مزاولة الزراعة والحرف الصناعية التي ازدهرت كثيراً منذ مطلع القرن العشرين حيث كانت يبرود في بداية هذا القرن هي المركز الصناعي الأكبر والأهم لجميع بلدات وقرى القلمون بكامله، وكان يأتي إليها سكان هذه البلدات والقرى لابتياح جميع احتياجاتهم بدءاً من أدوات الأعمال الزراعية المتنوعة إلى الألبسة والأحذية إلى المصنوعات المعدنية والخشبية والجلدية وأثاث البيوت من فرش وأغطية وبسط ومساند وكامل احتياجات العرسان من مصاغ ذهبي واقمشة متنوعة وأدوات منزلية لفرش بيوتهم، وكانت يبرود من أكبر مراكز صناعة خيام الشعر في القطر، كما أن صناعة غزل ونسج الصوف ونسج العباءات والدراعيات الصوفية كانت مزدهرة وأيضاً صناعة دبغ جلود الحيوانات هذا إلى جانب عراقة هذه المدينة بصنع المدافىء المعدنية بأنواعها.

كما عرجت في دراستي على ذكر تطور سكان هذه المدينة الحضاري والفكري وقد كان للمدارس التي أنشئت فيها في وقت مبكر أثر كبير في شدة إقبال السكان على العلم والمعرفة يضاف إلى ذلك احتكاك الكثيرين منهم بمظاهر الحضارة الغربية نتيجة الهجرة المتواصلة إلى أقطار العالم وخاصة إلى القارة الأمريكية

مما أدى إلى التطور الفكري والاجتماعي والحضاري في حياة أبناء
بيروود وأنماط معيشتهم وتفتحهم، وإن نسينا شيئاً فيجب ألا ننسى شدة
تفاعل سكان بيروود مع الأحداث السياسية التي سادت الوطن العربي
وخاصة في عهد الحركات الوطنية ضد الاستعمار وأشكال
الاستغلال ومشاركة العديد من شبان ورجالات هذه المدينة في
الثورة السورية الكبرى بين عامي ١٩٢٥م - ١٩٢٧م ضد
الاستعمار الفرنسي لقطرنا الحبيب، وكان لكثير من مثقفي هذه
المدينة باع طويل في النشاط الوطني والقومي منذ خمسينات هذا
القرن، وفي عام ١٩٤٨م خرج أكثر من نصف سكان بيروود رجالاً
ونساءً يحملون على أكتافهم ورؤوسهن ودوابهم ماجادت به أنفسهم
ومن مؤونة بيوتهم من خبز وطحين وحبوب وسمن وزيت وخضار
وغيرها وقدموا كل ذلك تبرعاً ومشاركة وجدانية لجيش الإنقاذ الذي
كان يقوده الضابط فوزي القاوقجي أثناء مروره على طريق حمص
دمشق في طريقه إلى فلسطين لمجادة الصهاينة بعد قيام دولتهم
الباغية، وقد انتظر أهالي بيروود مرور هذا الجيش في أسفل عقبة
بيروود لتقديم تبرعاتهم العينية مساهمة منهم في تموين جيش الإنقاذ
المتطوع لقتال الصهاينة على أرض فلسطين العربية، وهذا إن دل
على شيء فإنما يدل على حس وطني وتفاعل أهالي بيروود مع
أحداث وطننا العربي.

ولسكان بيروود عاداتهم وتقاليدهم الخاصة وإن اشتركت أحياناً مع
عادات وتقاليدهم باقي قرى وبلدات القلمون في بعض الأمور ولكن
لبعضها خصوصية في بيروود كإقامة الأفراح وحفلات الزواج

وترديد الأهازيج والأغاني المحلية وقد ذكرتها بشيء من التفصيل ولكني راعيت الاختصار في تدوين الأغاني والتي تلائم المناسبات مع أنها تمثل تراثاً محلياً خاصاً، وقد جمعتها من أفواه وذاكرة العجائز وكبار السن الذين يتذكرونها وتكاد تنسى بفقدهم وإنما دونت بعضها ليطلع عليها جيل الحاضر والمستقبل وتبقى ذكرى وتراثاً.

أما ما ذكرت حول المطاحن المائية ونظام الري ومهنة غزل ونسج الشعر لصناعة خيام البدو فإنها تكاد تكون خاصة ببيروود لأنه نادراً جداً ما يوجد مايمثلها في أية مدينة أخرى وأظن أنني قد أعطيت هذه المواضيع حقها في الدراسة والشرح لتبقى في أذهان الأجيال لأن معظمها قد اندثر حالياً وسيأتي الزمان على ما تبقى منه.

أما مادونته من معلومات عن بعض مفكري وأدباء وفناني بيروود فذلك غيض من فيض وإن بيروود لتفخر بهم وتفتخر بنفسها لأنها أنجبت أمثال هؤلاء الذين سيبقون في ذاكرة الشعب أعلاماً في عالم الأدب والفكر والفن.

تبقى كلمة أخيرة أنه من خلال دراسة جغرافية ومناخ بيروود فإننا ندرك أن هذه المدينة تقع في أحضان جبال صخرية مهيبه رائعة الجمال وتحيطها الخضرة من أغلب جهاتها مما يكسبها موقعاً ممتازاً ومنظراً رائعاً وطبيعة ساحرة خلابة ومناخاً لطيفاً معتدلاً بالإضافة إلى أنها تضم العديد من الأماكن الأثرية، كل ذلك يؤهلها لأن تكون منطقة سياحية تجذب إليها السياح والمصطافين، ولكن عوزها إلى المنشآت السياحية والخدمات العامة يقف حائلاً أمام

ذلك، ومن المؤسف أنه لو عدنا بذاكرتنا إلى منتصف الأربعينات والخمسينات والستينات من هذا القرن لرأينا كيف أن يبرود كانت تعج صيفاً بالمصطافين الذين كانوا يأتونها من كافة مناطق ومحافظات القطر السوري، حيث كانت يبرود تجذبهم لشعورهم بتوفر الأمان فيها إلى جانب أنهم كانوا يجدون فيها كل المتعة بالطبيعة والجو الرطب وكل الترحيب والاكرام من أهلها الودودين. ولو تحقق مستقبلاً ليبرود إقامة بعض المشروعات السياحية كالفنادق والمطاعم والحدائق والمتنزهات والمساح ولو تمت العناية بالمناطق الأثرية فيها وأنشئ متحفاً يضم آثار ومخلفات الأجداد لعاد ذلك عليها بالخير ولانتفعت منافع مادية وفيرة. أمل أن أكون بعلمي هذا قد قدمت كتاباً يستحق المطالعة لما يرصده من ذكر تاريخ وتراث بدأ يضمحل وأكون قد عرفت قارئى بجمال يبرود وروعته وبمكانتها الأدبية والاقتصادية والفكرية.

والله ولي التوفيق

نور الدين عقيل

الفهرس

الصفحة	البحت
٣	المقدمة
٥	موقع وجغرافية يبرود
١١	المناخ
١٥	يبرود التاريخ
٤٨	تطور السكان والعمران
٥٣	البيت اليبرودي القلموني
٥٩	يبرود التقليدية - تموين الأسرة
٦٣	أشهر المأكولات
٦٥	الأزياء
٧٥	يبرود في رمضان والأعياد
٨١	الأعياد الصغيرة ونوبات مشايخ الزوايا
٨٧	أعياد المسيحيين
٩٠	تاريخ الهجرة من يبرود
٩٥	زراعة القمح والشعير
٩٨	الحصاد
١٠١	الرجاد
١٠٢	الدراس
١٠٤	التذرية

١٠٦	نقل الغلات إلى البيوت
١٠٨	سلق البرغل
١١٧	سطاح العنب
١٢٠	ظواهر خاصة ببيروت نظام الري
١٢٨	المطاحن
١٣٤	غزل الشعر ونسجه
١٤٢	صناعة الدبس
١٤٨	المرأة ونظام الزواج - المرأة البيروتية
١٥٠	أعمال المرأة في بيروت
١٥٤	العادات الإجتماعية في الخطوبة والزواج
١٦٣	العرس
١٨٢	الخطوبة والزواج عند المسيحيين
١٨٩	بين القديم والحديث - الكتاب
١٩٢	حفلة ختام القرآن الكريم
١٩٤	تطور التعليم
١٩٨	الحرف والصناعات البيروتية القديمة
٢٠٢	تطور الصناعة في بيروت
٢٠٦	مفكرون وأدباء وفنانون من بيروت
٢١٩	الخاتمة

الكتب الصادرة عن العربي

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة
العرب واليهود في التاريخ	د. أحمد سوسة	2 - 8 حتى عام 95
المفسدون في الأرض	س. ناجي	2 - 4 حتى عام 95
من تاريخ المغتربين	د. حسن حده	2 - 3 حتى عام 75
المدخل للعرب واليهود	د. حسن حده	1 حتى عام 95
موسى والتوراة	د. حسن حده	1 - 2 حتى عام 95
الجذور اليهودية	د. حسن حده	1 - 2 حتى عام 75
الجذور الفلسطينية	د. حسن حده	1 - 2 حتى عام 95
الجزيرة العربية أم الحضارة	د. حسن حده	1 حتى عام 95
العرب الكنعانيون	د. حسن حده	أولى عام 95
الهجرات العربية من الجزيرة	د. حسن حده	1 - 2 حتى عام 95
يبرود تاريخ وحضارة	نور الدين عقيل	1 حتى 96
العموريون	د. حسن حده	96

تطلب هذه الكتب من كافة المكتبات في القطر العربي السوري

ومن العربي ص.ب: 12779 - دمشق

YABROUD

HISTORY

AND

CIVILIZATION

تحتل يبرود أحد أهم مواطن إنسان العصر الحجري القديم حيث عاش الإنسان في مغاور هذه المنطقة الغنية بكل مقومات الحياة وترك لنا الكثير من الدلائل كالأسلحة والأدوات الحجرية. وهذا الكتاب يتناول تاريخ يبرود وتطور سكانها في سلم المدينة والحضارة، كما يتناول عادات وتقاليد وقيم مجتمعتها وبعض المظاهر الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي سادت يبرود في النصف الأول من القرن العشرين. إننا نقرأ من خلاله قصة حياة ونشاط أجدادنا.

الناشرون



العربي للنشر والطباعة والتوزيع

ص.ب: 12779

دمشق - 4444164